دار الشروق



الجُنَيدُ البَغداديّ

الأَعْمالُ الكامِلَة

دراسة وجمع وتحقيق

د. سعاد الحكيم

تاج العارفين

الجُنيدُ البغداديّ

الطبعــة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م
الطبعــة الثـانيـة
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - مدينة نصر
تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com
www.shorouk.com





الأَعْمَالُ الْكَامِلَة

دراسة وجمع وتحقيق
د. سعاد الحكيم

دار الشروق

الإهــداء

إلى طُوَيْئرةٍ عملاقة ونسرٍ غاب..

إلى روحين زوجين تعارفا في الغيب ، وتخالّا في الشهادة، حتى ليكاد يرتفع من بينهما فَصْل الهويّة من وَصْل الهوى..

إلى فدوى وسمير حكيم.. تقديرًا مني لوَتَدَي قيم ومبادئ انغرسا عميقًا في وجود كل من عرفهما.

سعاد



بسم الله الرحمن الرحيم

تاج العارفين .. الجُنيد البغدادي

[٢١٥ هـ ـ ٨٣٠م / ٢٩٧ هـ ـ ٩٠٩م]

على أرض ـ تقول نصوص الجغرافيّين ـ إنّها تحمل اسمًا أعجميًّا لا أصل له في كلام العرب ولا اشتقاق من لغاتهم ، اسمًا مركّبًا من لفظيْن ، هما «باغ» و «داد» ، ومعناهما «بستان» رجل اسمه «داد» ، أو «باغ» و «دَاذوَيه» ، ومعناهما أيضًا «بستان» رجل من الفرس اسمه «دَاذوَيه» . .

على هذه الأرض ذات الموقع الجغرافي الجيّد مناخيًّا وسياسيًّا ، أقام الخليفة أبو جعفر المنصور ـ ثاني الخلفاء العباسيّين ـ مدينته ، سيّدة البلاد ، مدينة السّلام ، بغداد .

لقد شرع المنصور في عمارتها عام [١٤٥هـ ـ ٧٦٢م] ويُقال عام [١٤٠هـ ـ ٧٥٧م] ونزلها عام [١٤٩هـ ـ ٧٦٦م]، انتقل إليها ابتعادًا بجنده عن أهل الكوفة خوفًا من فعالهم في إفساد الجند . . وأنفق على عمارتها ثمانية عشر ألف ألف دينار .

وضع المنصور أساس مدينته مدوّرًا ، أقام قصره والجامع في وسطها ، وجعل لها أربعة أبواب وأحكم سورها ، فكان القاصد إليها من الشّرق يدخل من باب خراسان ، والقاصد إليها من الحجاز يدخل من باب الكوفة ، والقاصد من المغرب يدخل من باب الشّام ، والقاصد من فارس والأهواز وواسط والبصرة واليمامة والبحرين يدخل من باب البصرة[1] .

---

(١) را . بخصوص مدينة بغداد : إسمها وعمارتها وتخطيطها . . . ، **معجم البلدان** ج١ ص ٤٥٦ وما بعد . وجميل كمال الدين : **بغداد، مركز العلم والثقافة العالمية في القرون الوسطى**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٥ ، ص ص ١٥ ـ ١٨ .

وقد ظلّت مدينة بغداد عاصمة للخلفاء العبّاسيّين مدّة تزيد على سبعين سنة ، إلى أن جاء المعتصم ، ابن هارون الرّشيد وأخ المأمون ، وتحوّل عنها وبنى مدينة سُرَّ من رأى ، سامرّاء ، عام [٢٢٠هـ-٨٣٥م] .

ولد الجنيد في بغداد أواخر عهد المأمون على الأرجح ، حوالي عام [٢١٥هـ-٨٣٠م] ، ومنذ ولادته إلى وفاته عام [٢٩٧هـ - ٩٠٩م] ، أيْ على امتداد ما يقرب من ثمانين سنة ، اعتلى عرش الخلافة العباسيّة اثنا عشر خليفة ، قُتِل منهم من قُتِل ومات قلّة منهم بعلّة بدنيّة . .

ازدهَتْ بغداد صبًا أيّام المنصور ، وأيّام حفيده هارون الرّشيد ، وأيّام المأمون ابن الرّشيد ، ورغم تحوّل المعتصم - أخ المأمون وخليفته - عنها ، إلاّ أنّ استقطابها للعلماء في كلّ فنّ حرّك مسيرة المعرفة فيها ، فتواصلت وتنامت وتراكمت ، بحيث أصبحت بغداد عاصمة علم ومعرفة لا عاصمة خليفة من الخلفاء ، تعلو بعلوه وتتراجع بتراجعه . .

كان الجنيد طفلاً ، لعلّه لم يتجاوز الخامسة من العمر ، حين بدأ المأمون [عام ٢١٨هـ-٨٣٣م] يمتحن النّاس بالقول بخلق القرآن ، فمن قال من العلماء - قضاة ومفتين ، وخطباء ومعلّمين - بأنّ القرآن مخلوق أبقاه في خدمة علمه ومجتمعه ، ومن رفض الإقرار بخلق القرآن تعرّض للطّرد والإذلال والإقصاء . .

وبعد المأمون ، تابع أخوه المعتصم ، ابن هارون الرّشيد ، محنة خلق القرآن وضرب الإمام أحمد بن حنبل ليقرّ بخلق القرآن عام [٢٢٠هـ-٨٣٥م] .. ولم يَرْفع هذه المحنة إلاّ المتوكّل ابن المعتصم الّذي تولّى الخلافة عام [٢٣٢هـ-٨٤٦م] وأوقف إلزام النّاس بمقُولة المعتزلة في خلق القرآن عام [٢٣٤هـ-٨٤٨م] ..

كان المتوكّل ، الّذي حكم خمس عشرة سنة ، مُدافعًا عن السُنّة النبويّة ، متعاطفًا مع الصّالحين من رجالات الصوفيّة ، وممّا يُعرف عنه أنّ رئيس مصر رمى ذا النّون المصري بالزّندقة ، فوصل أمره إلى الخليفة ، الّذي استقدمه ، ولكن بعد أن سمع كلامه أولع به وأحبّه وأكرمه ، وكان يقول : إذا ذُكِر الصالحون فحيهلا بذي النّون . .

والمتوكّل أوّل من تمذهب بمذهب الشّافعي من الخلفاء ، وينقل عنه أنّه قال : واحسرتا على محمّد بن إدريس الشّافعي ، كنتُ أُحبّ أن أكون في أيّامه ، فأراه وأشاهده ، وأتعلّم منه ، فإنّي رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول : يا أيّها النّاس إنّ محمّدا بن إدريس المطّلبي قد صار إلى رحمة الله ، وخلّف فيكم علمًا حسنًا فاتّبعوه تهدوا .

بالإضافة إلى محنة خلق القرآن ، وأخبار صراع الخلفاء والطّامعين ، وحدوث زلازل في بغداد وزيادة مياه دجلة وتخريبها للبلاد ، دخلت الزّنج البصرة وتوالى القتال معهم من عام [٢٥٦هـ ـ ٨٦٩م] إلى عام [٢٧٠هـ-٨٨٣م] ..كما ظهرت القرامطة بالكوفة عام [٢٧٨هـ-٨٩١م] ، وظهر أبو سعيد القرمطي وقويت شوكته عام [٢٨٦هـ-٨٩٩م] بالبحرين . .

مات الجنيد في خلافة المقتدر بالله [٢٩٥هـ-٩٠٧م/ ٣٢٠هـ-٩٣٢م] ، الّذي جاء بعد أخيه المكتفى ، وكان له من العمر ثلاث عشرة سنة ، وهو أصغر خليفة تولّى الحكم . . استصباه الوزير العبّاس بن الحسن فعمل على خلعه ، وفي زمنه «صار الأمر للنّسوان» وجلست أمّ المقتدر للمظالم . . توفّى الجنيد وقد تجاوز الثّمانين من العمر وخليفة المسلمين المقتدر لا يتجاوز الخامسة عشرة[1] .

* * *

عاش الجنيد في زمن الكبار ، عاصر أئمّة المحدّثين وشيوخهم أمثال البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه . . الّذين توفّوا جميعًا في زمن خليفة واحد هو المعتمد على الله [٢٥٦هـ-٨٦٩م/ ٢٧٩هـ-٨٩٢م] .

ارتفع الجنيد ساقًا للمعرفة عاليًا وقت كانت بغداد غابة جليلة من عمالقة الصوفيّة العارفين . . وقت كان أستاذه الحارث المحاسبي [ت ٢٤٣هـ-٨٥٧م] يلملم من تقواه أطراف أثوابه الدنيويّة ويجرّ ذيل ثوبه الغيبيّ في شوارع المدينة وفي ضواحيها ، ويُنقّي خاله وأستاذه سريّ السّقطي [ت ٢٥١هـ-٨٦٥م] قلوب السّالكين على

(١) بخصوص الخلفاء العبّاسيّين الّذين تزامنوا مع الجنيد البغدادي ، مدّة حكمهم ومواصفات أدائهم وأحداث خلافتهم ، يراجع : **تاريخ الخلفاء** ، للسيوطى ص ص ٢٥٦-٢٨٦ .

ضفاف مجلسه الخاصّ ويُرسي معالم علم التّوحيد الصوفي ، ولا يُخالف خير النّساج [ت ٣٢٢ هـ] حروف حقّ في قول مكّار ، ولا يَملَح لسمنون [ت نحو ٢٩٠هـ-٩٠٢م] عشق امرأة إذ صار قلبه لا يَصْلُح لغير الله ، ويخطّ أبو سعيد الخرّاز [ت ٢٧٩هـ-٨٩٢م] الحروف الأولى في علم الفناء والبقاء ، وتتطاير شظايا وجدان الحلاّج [٣٠٩ هـ] من العشق على الخاصّة والعامّة معًا ، ويفور تنّور وجد الشبلي [٢٤٧هـ-٨٦١م/ ٣٣٤هـ-٩٤٥م] أحوالاً بلون قوس القزح ، ويضرب أبوالحسين النّوري [٢٩٥هـ-٩٠٧م] دنان خمر الخليفة المعتضد ، ويمشي حتى الموت حافيًا على أصول القصب ، ويجعَل رويْم بن أحمد [ت ٣٠٣هـ-٩١٥م] منزله حيث وقف قلبه . . عشرات من أئمّة التصوّف الكبار المقيمين ببغداد والمارّين ، قادمين غادين .

وعلى الرّغم من أنّ بغداد كانت لا تزال قطب الدّنيا الجاذب في القرن الثّالث الهجري ، إلاّ انّنا حين نضع أقدامنا فيها نرى في الأفق هامات صوفيّة عالية : فمن جهة الشّمال والشّمال الشّرقي نبصر أبا يزيد البسطامي [٢٦١هـ-٨٧٤م] ، وأباعثمان الحيرى النيسابوري [٢٩٨هـ] ، وسهل التّستري [٢٠٠هـ-٨١٥م/ ٢٨٣هـ-٨٩٦م] ، وحمدون القصار النيسابوري شيخ الملامتيّة [ت ٢٧١هـ-٨٨٤م] ، وعليّ ابن سهل الأصبهاني ، وإبراهيم الخواصّ [مات بالريّ ٢٩١هـ-٩٠٣م] ، وأبايعقوب الرّازي شيخ الريّ [٣٠٤هـ] . . ومن جهة الغرب ، نرى في الشّام أحمد بن أبي الحواري [ت ٢٣٠هـ-٨٤٤م/ أو ٢٤٠هـ-٨٥٤م] ريحانة أهل الشّام بحسب نصّ الجنيد ، وزوجته العابدة رابعة بنت إسماعيل ، وأبا عبد الله بن الجلاء الّذي كان في الشّام يَعْدل الجنيد في بغداد ، بحسب تقويم البعض . . وفي مصر يطلّ أبوالفيض ثوبان بن إبرَاهيم ، الصوفي المشهور بذي النّون [٢٤٥هـ] ، وأبو بكر الزّقاق الكبير [ت ٢٩١هـ-٩٠٣م] من أكابر مشايخ مصر ومن أقران الجنيد ، وبنان الحمّال أستاذ أبي الحسين النّوري ومن أصحاب الجنيد ، واسطي الأصل سكن مصر ومات بها عام [٣١٦هـ-٩٢٨م] ... ومن جهة الجنوب ، وجوه كثيرة تجاور الحرميْن الشريفيْن ، يلفتنا منها وجه أبي سعيد بن الأعرابي [٢٤٧هـ-٨٦١م/ ٣٤٠هـ-٩٥١م] الّذي سكن مكّة وصحب الجنيد والنّوري .

* * *

في أوج عصر النّهضة العربيّة الإسلاميّة ، وفي زمن تكوّن العلوم والمعارف ، عاش الجنيد البغدادي ، وساهم في بناء واحد من أهمّ العلوم الإسلاميّة ، وهو العلم الصوفيّ . . وحتى نتمكّن من تبيان ماهيّة هذا الرّجل ، ومكانته ودوره في عصره والعصور الّلاحقة ، تمهيداً لتقديم أعماله الكاملة ، أقسم هذا المدخل إلى أربعة أقسام عساها تحقّق المطلوب :

القسم الأوّل . . أخصّصه لشخص الجنيد ، أتتبع صباه وإلهاماته ، جلوسه للتّدريس وخطابه ومعارفه ، أدخل عليه محراب ذاته لأكشف عن عباداته ، عن خلواته وتسابيحه وأذكاره . .

القسم الثّاني . . أخصّصه لفكر الجنيد الصوفي المتمحور على مسألة التوحيد ، أبيّن معنى التصوّف عنده وأسس العلم الصوفي ومصادره ؛ وأستنبط من نصوصه رؤيته للوجود ، لله وللإنسان الكامل والعلاقة بينهما . . وأبيّن أنّه على نظريّة في الوجود بنى نظريّة في الوصول إلى مقامات الولاية الكبرى ، إلى الكمال الإنساني ، ووضع للطريق الصوفي أصولاً وفصّل أبوابه . .

القسم الثّالث . . أفرده لمكانة الجنيد البغدادي ، علاقته بشيوخه وأساتذته ، وأثره في جيل أقرانه ، وأجيال تلامذته . . وألتفت التفاتة سريعة إلى ما يسمّيه الهجويري «الجنيديّة» ، وكيف أنّ الجنيد البغدادي كتب اسمه في معظم سلاسل الطّرق الصوفيّة التي تأسّست في زمن لاحق لوقته .

القسم الرّابع والأخير . . أعرّف فيه بهذا الكتاب الّذي يشمل ما وصل إلينا من أقوال الجنيد . . سواء أكانت هذه النّصوص عبارة عن أقوال مفردة حفظتها كتب الطّبقات والتّراجم ، أو على شكل رسائل لأصحابه ، أو كتيّبات لا تتجاوز الأوراق القليلة ، أو أدعية يتوجّه بها إلى ربّه عزّ وجلّ ، أو شعر نطق بما سكت عنه النّثر .

* * *

I ـ الجُنيد .. الشَّخص

إنّ الكتابة حول حياة الجنيد الشخصيّة تكاد تكون معدومة ؛ لذا نرجع إلى نصوصه الكثيرة التي استخرجناها من كتب الطبقات ، في محاولة لجمع أبعاد الصورة . . . وفيما يأتي حصيلتها .

١ ـ ولادته :

لا تذكر المصادر الصوفيّة ، التي أرّخت للجنيد وحفظت أقواله ، السنة التي ولد فيها . لذلك نستند إلى قرائن لتحديد الوقت المحتمل لولادته ؛ والقرينة الأهمّ هي أنّه تفقّه على أبي ثور الكلبيّ ، إبراهيم بن خالد بن اليمان ، أحد الأئمّة المجتهدين صاحب الإمام الشّافعي وراوي مذهبه القديم[١] . . وأبو ثور معاصر لأحمد بن حنبل [١٦٤هـ ـ ٧٨٠م / ٢٤١هـ ـ ٨٥٥م] ، الّذي شهد له بالعلم والصّلاح . . ويقول ابن الملقن في طبقات الأولياء [ص ١٢٦] ، إنّ الجنيد كان يُفتي في حلقة أبي ثور وبحضرته وهو ابن عشرين سنة[٢] . . وحيث إن عبارة «كان يُفتي» تُفيد الكثرة والاستمرار لا القلّة والانقطاع ، وأنّ أبا ثور توفّي عام [٢٤٠هـ ـ ٨٥٤م] ، نستنتج أنّ الجنيد البغدادي ولد قبل عام [٢٢٠هـ ـ ٨٣٥م] بسنوات قليلة قد تصل إلى ثلاث أو خمس سنوات ، ولذلك لا نجد مانعًا من اعتماد سنة [٢١٥هـ ـ ٨٣٠م] التي سبق واعتمدها غيرنا من الباحثين[٣] .

---

(١) انظر **طبقات الشعراني** ج١ ص ٨٤ **وطبقات الصوفيّة** للسلمي ص ١٥٥ ؛ ولأبي ثور مصنّفات كثيرة ، منها كتاب ذكر فيه اختلاف مالك والشافعي ، وذكر مذهبه في ذلك . يُراجع بشأنه : **تذكرة الحفّاظ** ٢/ ٨٧ ، **ميزان الاعتدال** ١/ ١٥ ، **تاريخ بغداد** ٦/ ٦٥ ، **الانتقاء** ص ١٠٧ .

(٢) يذكر القشيري في الرّسالة نفس المعلومة .

(٣) علي حسن عبد القادر ، **رسائل الجنيد** . المقدّمة (باللغة الإنكليزيّة) ص ٢ .

وإذا اتّفقنا أنّ الجنيد ولد في بغداد حوالي عام [٢١٥هـ-٨٣٠م] ، فهذا يعني أنّه قَدم إلى عالمنا ، في زمن الصّراع الفقهيّ الكلاميّ متمثّلاً بالمعتزلة من جهة ، والصّراع الفقهيّ الصوفيّ الّذي سوف يشهد مصرع الحلاج في السنوات القادمة من جهة ثانية . . بالإضافة إلى التقلّبات السياسيّة العسكريّة بعد عهد المأمون .

٢- طفولته :

■ تقول المصادر إنّ والد الجنيد كان قواريريًا ، يمتهن بيع الزّجاج ، وتُضيف بعض المصادر أنّه توفّي والجنيد لا يزال صغيراً[١] ، فتولّى الاهتمام به خاله ، المربّي الصوفيّ الشّهير سريّ السّقطي [ت ٢٥١هـ-٨٦٥م] .

وأميل إلى الاقتناع بأنّ اهتمام سريّ السّقطي بالجنيد لم يتّخذ شكل الملازمة والعيش في منزل واحد ، فالجنيد- بحسب ما تُوحيه النّصوص- ظلّ يعيش في منزل أهله ويتردّد باستمرار على دار سريّ السّقطي .

أمّا النّصوص التي تسمح لنا بهذا الاستنتاج فهي عديدة : منها أنّ سريّ السّقطي سأل الجنيد مرّة ، «إذا فارقتني من تُجالس؟ فقال الجنيد : الحارث المحاسبي»[٢] . فهذا النصّ يدلّ على أنّ الجنيد لم يكن مقيمًا عند سريّ السّقطي .

وفي نصّ آخر نجد الجنيد يدعو الحارث المحاسبي إلى الطعام في منزله (نفهم من النصّ منزل أهله) ويُخاطبه بقوله «يا عمّ» ، ثمّ يعتذر من المحاسبي بأنّه لا يعلم أنّ مصدر الطعام الّذي قدّمه إليه قد جاء من عُرس[٣] . . إذن ، الجنيد حين دعا المحاسبي إلى الطعام كان في حدود العشرين ، لأنّ المحاسبي توفّي عام [٢٤٣هـ-٨٥٧م] ، وربّما كان لا يزال مقيمًا في دار أهله .

كما يذكر الجنيد أنّ الحارث المحاسبي كان يجيء إلى منزلهم ليخرج معه للمذاكرة في المعارف الصوفيّة وكان يمشي به في الطرقات وبين النّاس ، دالاً إيّاه على المعنى الحقيقي للوحشة والأنس[٤] . .

---

(١) Roger Deladrière . **Junayd. Enseignement spirituel** , P 20

(٢) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، قول رقم ٤٠٨ .

(٣) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، قول رقم ٣٢٣

(٤) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، قول رقم ٢٨ .

إذن ، نصوص عديدة تؤكّد أنّ الجنيد كان منذ طفولته في رعاية صوفيّة لخاله سريّ السّقطي ، ولكنّها رعاية لا وصاية .

■ برز الجنيد ـ منذ طفولته ـ **عالمًا في الوسط الصوفي** ؛ ممّا يدفعنا للقول بأنّه ملهم علميًا في الشّأن الصوفي قبل أن تبدأ مسيرة تعلّمه الكسبيّ . . كان طفلاً في السّابعة من عمره يلعب بين يديْ سريّ السّقطي ، وهذا الأخير يتداول مع نظرائه في مفهوم الشّكر ، ثمّ التفتَ إلى الجنيد وقال له : «يا غلام ما الشّكر ؟ فقال الجنيد : أن لاتعصيَ الله بنعمه»[1] . . فمن أين لابن سبع سنين هذا المعنى الّذي وجد معلّمه أنه مستوف للّفظ ؟ !

هذه الحادثة تجعلنا نتفكّر في معادن هؤلاء العلماء الكبار ، وفي بكور توجّهاتهم العقليّة نحو الموضوعات التي سوف تستأثر بحياتهم لاحقًا . . كما أنّها تدلّنا على النّمط العلمي للجنيد ، فهو صاحب علم لم يكتسبه بالتّعلّم وإنّما بالإلهام . ولنا وقفة مع علمه الصوفيّ في القسم الثّاني من المقدمّة .

طفل لم تغيّبه الطفولة بمغريات اللّعب عن الوعي والصحو . . كان يلعب وهو حاضر الذّهن صاحيًا غير مأخوذ .

٣ ـ شباب الجنيد وبدايات تكوّنه المعرفيّ .

لقد جمعنا أكثر من ستماية قول للجنيد ، كانت مرويّة على شكل مبعثر في كتب الطبقات والتّراجم وأمّهات المصادر الصوفيّة . . وهذه الأقوال مكّنتنا من إعادة تركيب شخص الجنيد وحياته وأفكاره . . وممّا يلفت النّظر أنّنا لا نجده يذكر في نصّ واحد أيًا من أبويه أو إخوته أو أفراد أسرته ، فيما عدا خاله ومربّيه سريّ السّقطي .

رجلان صوفيّان كان لهما النّصيب الأكبر في تكوين الجنيد الذّاتي ، حتى كأنّهما أصبحا جزءًا من كينونته ومن معرفته الشخصيّة ، ونستدلّ على تمثّله لهذيْن الرّجلين إذا قارنّا أحوالهما والمعاني الموجودة في نصوصهما والتي وصلت إلينا برواية الجنيد مع حال الجنيد والمعاني التي نطق بها على أنّها نتاج تجربته ومعرفته . . والأمثلة

---

(١) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «شكر» ، صفحة ١٣٦ ، قول رقم ٢٢٠ .

كثيرة نكتفي بإرجاع القارئ إلى أقوال الجنيد ومرويّاته . . وهذان الرّجلان هما : أوّلاً سريّ السّقطي، وثانيًا الحارث المحاسبي .

■ نستعرض الأقوال الكثيرة التي رواها الجنيد عن سريّ السقطي ، والمثبتة ضمن النّصوص في هذا الكتاب، لنرى سريّ في حدقة الجنيد وذاكرته . . فنجد صورة عالية من صور المجاهدات الصوفيّة، نجد رجلاً تطالبه نفسه منذ أكثر من ثلاثين سنة أن يغمس جزرة في دبس فما أطاعها[١] ، يجتهد ألا يستعمل من آنية بيته إلاّ جنسه ، أي إلاّ الطّين ، ويقول لا حساب عليه[٢] . . رجلاً ذهب مع الزّهد إلى خلوّ اليد من مطلق شيء ويقول : أعرف طريقًا مختصراً إلى الجنّة ، هو ألاّ تسأل أحدًا شيئًا ، ولا تأخذ من أحد شيئًا ، ولا يكن معك شيء تُعطي منه أحدا[٣] ، وقد بلغ من حدّة بصره في النّظر إلى أعماقه أن اعترف بأنّه نال من الزّهد ما أراد إلاّ الزّهد في النّاس ، فإنّه لم يُطقه[٤] .

إلى جنب هذه الصورة العالية من المجاهدة الصوفيّة ، أعطى سريّ السّقطي للجنيد صورة المحبّ لله العاشق . . وهو الّذي يرى أنّ المحبّة لا تصلح بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا[٥]، وصرّح أنّه وجد مكتوبًا في بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى هذه المقولة : إذا كان الغالب على عبدي ذكري ، عشقني وعشقته[٦] . وقد أثّر حبّه لله على بدنه ، فيبسَ منه الجلد على العظم والتصق الظّهْرُ بالحشا ، ولم تبقَ فيه جارحة ممتلئة كاسية ، يَسأل الجنيد عن معنى المحبّة ، فيقول الجنيد : قال قوم هي الموافقة ، وقال قوم هي الإيثار ، وقال قوم كذا وكذا ، فأخذ السريّ جلدة ذراعه ومدّها فلم تمتدّ ، ثمّ قال : وعزّته ، لو قلتُ أنّ هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبّته لصدقت[٧] . .

---

(١) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «رياضة ومجاهدة»، صفحة ١٢٢ ، قول رقم ١٦١ .

(٢) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «زهد» ، صفحة ١٢٨ ، قول رقم ١٨٩ .

(٣) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «طريق إلى الجنة» ، صفحة ١٥٢ ، قول رقم ٣٠٨ .

(٤) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «زهد» ، صفحة ١٢٨ ، قول رقم ١٩٠ .

(٥) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «محبة»، صفحة ٩٨ ، قول رقم ٥٦ .

(٦) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «محبة» ، صفحة ١٠١ ، قول رقم ٧٠ .

(٧) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «محبة» ، صفحة ١٠١ ، قول رقم ٧١ .

وحيث إنّ الحبّ عندما يكْمُل يُعشّق في القلب ولا يترك فيه مكانًا لغير المحبوب، فقد تداخل الحبّ الإلهيّ مع توحيد المحبّ لله، **فالموحّد الحقّ هو المحبّ على الحقيقة، والمحبّ هو الموحّد**.. وبالتّالي، كان سريّ السّقطي هو أوّل من تكلّم في «لسان التّوحيد» في بغداد، على ما تذكر المُتون.

لقد أعطى سريّ للجنيد مثالاً ملموسًا للمجاهدة والعبادة والمحبّة والتّوحيد.. فكان معلّمًا له من هذا الوجه.. وأقول، إنّ حال الجنيد الشّخصيّ تنامى، في جزء كبير منه، على نموذج سريّ السّقطيّ.. ولكن من جهة أخرى، لا نرى سريًّا معلّمًا للجنيد في حقل المعرفة والعلوم الصوفيّة، والأدلّة كثيرة على الاستقلال العلميّ للجنيد منذ طفولته، فها هو ابن سبع سنين يتكلّم في معنى الشكر أمام سريّ، وتَرِد قصص عديدة يذكرها الجنيد وتبدأ بعبارة «دخلت على سريّ»، وبدل أن نجد السَريّ معلّمًا والجنيد تلميذًا نجد العكس يتحوّل التلميذ إلى معلّم وسريّ لايتحرّج من غياب معلومة عنه نظرًا لعلوّ مرتبة حاله الشّخصيّ.. نذكر بعضًا من هذه القصص:

دخل الجنيد مرّة على سريّ فوجد عنده رجلاً مغشيًا عليه، سأل عن سبب غشيّته، فأعلمه سريّ بأنّ الرّجل سمع آية من كتاب الله تعالى، فقال الجنيد: تُقرأ عليه الآية مرّة أخرى. وعندما قُرئت أفاق الرّجل، عندها سأل سريّ الجنيد: من أين علمت هذا؟ فقال الجنيد: إنّ قَميص يوسف ـ عليه السلام ـ ذهب بسببه بصر يعقوب ـ عليه السلام ـ، ثمّ عاد بصره به [1].

وحادثة ثانية، دخل الجنيد يومًا على سريّ السّقطيّ فرأى عليه همًّا، فسأله عن سبب همّه، فقال: السّاعة دقّ عليّ داقٌّ الباب، وسألني عن معنى التوبة وشروطها فأنبأته، فقال: هذا معنى التوبة وهذا شرطها فما حقيقتها؟ فقلت: حقيقة التوبة ألاّ تنسى ما من أجله كانت التوبة [أيْ حقيقة التوبة ألاّ تنسى ذنبك]، فقال الرّجل: حقيقة التوبة ألاّ تذكر ما من أجله كانت التوبة. وأنا أفكّر في كلامه. فقال الجنيد مؤيّدًا كلام السّائل: ما أحسن ما قال. هنا، يسأل سريّ الجنيد: يا جنيد، وما معنى هذا الكلام؟ يقول الجنيد: يا أستاذ، إذا كنتُ معك في

---

(١) انظر **في هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «سماع»، صفحة ١٣٠، قول رقم ١٩٨.

حال الجفاء ، ونقلتني من حال الجفاء إلى حال الصفاء ، فذكري للجفاء في حال الصفاء غفلة[1] . . وغنيّ عن البيان أنّ سريًا والجنيد والرّجل يتكلّمون في الذّنب الّذي مضى وانقطع ولم يتكرّر ، ولا يتطرّقون إلى مسألة معاودة الذّنب بعد التوبة .

نكتفي بهاتيْن الحادثتيْن ، مع إرجاع القارئ إلى النّصوص التي وضعناها في متناول الجميع لمن أراد الاستزادة ، للتّدليل على تأثّر الجنيد بحال سريّ السّقطي من جهة ، واستقلاله العلميّ من جهة أخرى . . وإن أمكن القول : لقد كان **سريّ مربّيًا للجنيد لا معلّمًا** . . وفارق سريّ الجنيد بالموت عام [٢٥١هـ-٨٦٥م] أيْ والجنيد في الثّلاثينيات من عمره .

■ أمّا الرّجل الثّاني الّذي شارك في وضع أسس بناء الجنيد الصوفي فهو الحارث المحاسبي ؛ صوفي بغدادي وضع مؤلّفات عديدة في علوم الصوفيّة أهمّها : كتاب الرّعاية لحقوق الله ، وكتاب التّوهّم ، وكتاب الوصايا ، ويذكر له ابن النّديم في الفهرست (ص ٢٦١) كتاب التفكّر والاعتبار . ويذهب البعض إلى أنّ كتبه تبلغ مائتي مصنّف[2] . وممّا يميّز المحاسبي أنّه بالإضافة إلى زهده ومحاسبته لنفسه كان فقيهًا متكلّمًا . وبسبب من اشتمال خطابه الصوفيّ على مسائل في علم الكلام فقد هجره الإمام أحمد بن حنبل ولم ينصح بحضور مجالسه . .

تروي المصادر حوادث تجمع ابن حنبل بالمحاسبي ، وتكاد تُجمع على أنّ ابن حنبل استمع إلى كلام المحاسبي وكان يسمعه ويراه من حيث لا يشعر به . يُخبرنا الشّعراني في طبقاته (١/ ٦٤) أنّ ابن حنبل حضر ليلة مع المحاسبي إلى الصباح ، فكان يراه وأصحابه دون أن يروه ، ولم يُنكر من أحوالهم شيئًا ، بل العكس اعترف صباحًا بفضله ، واستغفر الله من سماعه لنقول الآخرين عن الصوفيّة . . أمّا السبكي فيروي أنّ الإمام أحمد طلب من إسماعيل بن إسحق السراج أن يُهيّئ له مجلسًا يسمع منه كلام الحارث وأصحابه ويراهم ولا يرونه ، وأنّه تأثّر بموعظة الحارث

---

١) انظر **في هذا الكتاب** : **أقوال الجنيد** ، مادة «توبة» ، صفحة ٩٤ ، وصفحة ٩٦ ، قول رقم ٤١ ورقم ٤٨ .

(٢) ابن تقيّ الدّين السبكي . **طبقات الشّافعيّة** ج٢ ص ٣٧ ، ط أولى القاهرة .

ويكي وقال: «ما أعلم أنّي رأيت مثل هؤلاء القوم، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرّجل؟ ومع هذا فلا أرى لك صحبتهم، ثمّ قام وخرج»[1].

هذا الموقف من الإمام ابن حنبل تجاه المحاسبي، يُقابله موقف شبه مماثل لسريّ السّقطي؛ سأل سريّ الجنيد: إذا فارقتني من تُجالس؟ فقال الجنيد: الحارث المحاسبي. يقول سريّ: نعم، خذ من علمه وأدبه، ودع عنك تشقيقه للكلام وردّه على المتكلّمين[2].

لقد أنكر ابن حنبل الفقيه، كما أنكر سريّ الصوفيّ، على المحاسبي خوضه في مسائل علم الكلام، ويتبيّن من موقفهما: تشدّد العقليّة الفقهيّة في الاحتياط رعاية للعامّة وسدًّا للذّرائع، وتتبع العقليّة الصوفيّة للمعرفة الحقّة والثّقة بقدرة الإنسان على تمييز النّافع من الضارّ.. فابن حنبل نصح بعدم الصحبة، وسريّ نصح بالصحبة مع الوعي والاستفادة من الطيّب.. أو لعلّ، نصيحة الأوّل ونصيحة الثّاني، كانتا تحتسبان قُدرات وتوجّهات الشّخص المخاطَب.

لا نلتقط من النّصوص التي يذكرها الجنيد عن المحاسبي، افتتانه بحاله الشّخصيّ، بعباداته ومجاهداته، كما هو شأنه مع سريّ السّقطي، ولكن ترتسم من ذاكرة الجنيد صورة للمحاسبي العالم العارف.. ونقول: لعلّ المحاسبي هو أوّل من ألّف كتابًا منفردًا في علوم الصوفيّة، وانتقل بالتّدوين الصوفي من الأقوال التي تُعبّر عن الحال الخاصّ إلى الموضوعات التي تخصّ العام، فلم تكن كتبه وأقواله تدوينًا لحياته ومجاهداته بل تدوينًا لعلوم المعاملة كما ظهرت في حقل الصوفيّة.. إنّ كتابه «الرّعاية لحقوق الله» يُعتبر من أهمّ مصادر الغزالي في إحيائه، وقد رسم فيه نهجًا لمن أراد سلوك سبيل معرفة نفسه وتنقيتها وتأديبها..

والأرجح، أنّ الجنيد الّذي جرى على لسانه وهو ابن سبع سنين معنى الشّكر، وجد في المحاسبي العالم ما يُنمّي الجانب الإلهامي في حياته الروحيّة.. يروي الجنيد، أنّ الحارث المحاسبي كان يجيء إلى منزلهم ويقول له: اخرج معنا نصحر.

---

(١) السبكي. **طبقات الشافعيّة**. ج٢ ص ٣٩.

(٢) انظر **في هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «علم الصوفية»، صفحة ١٧٤، قول رقم ٤٠٨.

والأرجح أنّ الجنيد كان لا يزال دون العشرين من العمر ، فيقول له الجنيد: تُخرجني من عُزلتي وأمني على نفسي إلى الطُّرُق والآفات ورؤية الشّهوات! فيقول الحارث: اخرج معي ولا خوف عليك. يُتابع الجنيد الرّواية فيخبرنا أنّه يخرج معه فكأنّ الطّريق فارغ من كلّ شيء لا يرى شيئًا يكرهه؛ فإذا حصلوا في المكان الّذي يجلس فيه الحارث، يقول للجنيد: سلني. فيقول الجنيد: ما عندي سؤال أسألك. فيقول له: سلني عمّا يقع في نفسك. فتنثال على الجنيد السّؤالات فيسأله عنها، ويُجيبه الحارث عنها للوقت ، ثمّ يمضي إلى منزله ويعملها كُتبًا[1] .

هذه الحادثة التي تؤكّد على جريان العلم على لسان الشّخص المسؤول إن كان من الملهَمين، نرى صداها في علم الجنيد الصوفيّ ، الّذي صرّح بأنّه ما أخرج الله إلى الأرض علمًا ، وجعل للخلق إليه سبيلاً ، إلاّ وقد جعل له فيه حظًّا ونصيبًا[2] ، كما اعتذر لمن أراد منه أن يُعيد عليه كلامه في مسألة التّوحيد إملاءً ليستطيع تدوينه، بأنّه لو كان يُجريه كان يُمليه[3] . . مواقف كثيرة، لعلّها ترد فيما سيأتي عند كلامنا على العلم الصوفيّ وأيضًا في ثنايا أقوال الجنيد التي ننشرها ؛ تؤكّد على الجانب الإلهاميّ العلميّ للجنيد . .

ونختتم الكلام على علاقة الجنيد بالمحاسبي، بأنّ هذا الأخير لم يكن معلّمًا بالمعنى التقليديّ، أيْ أنّنا لا نرى معلومات المحاسبي تتكرّر في أقوال الجنيد، بل لقد نمّي بنمطه العلميّ الجانب الإلهاميّ في حياة الجنيد الصوفيّة، وحقّق بذلك التوازن في شخص الجنيد . . وهذا التوازن ، الّذي ظهر فيه الجنيد للنّاس وشهد له به الكثير من رجال عصره، التوازن بين الحال وبين العلم، لعل تفسيره في نماء متوازن بين قطبيْن صوفيّين جليليْن هما سريّ السّقطي والحارث المحاسبي . . وفارق المحاسبي الجنيد بالموت عام [٢٤٣هـ-٨٥٧م] ، أيْ والجنيد لايزال في العشرينيات من عمره .

---

(١) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «أنس» ، صفحة ٩٠ ، قول رقم ٢٧ .

(٢) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «علم الصوفية» ، صفحة ١٧٥ ، رقم ٤١٠ .

(٣) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «علم الصوفية» ، صفحة ١٧٧ ، رقم ٤٢٤ .

٤ ـ جلوس الجنيد للتدريس :

نشأ الجنيد في بغداد نشأة أهل العلم المترفّعين عن أشكال اللّهو كلّها . . ولا نجد له إلاّ ترويحًا واحدًا هو سماعه ـ عفوًا لا قصدًا ـ لغناء مغنّيات من وراء الأسوار وهو يمشي في شوارع بغداد ، أو حضوره لحلقة من حلقات السّماع الصوفيّ واستماعه السّماع بشروطه الثلاثة : المكان والزّمان والإخوان . . وفيما عدا تمتّعه الشرعيّ بجمال الصوت والنّغم والكلمة لا نكاد نجد له اشتراكًا في لهو دنيويّ .

لم تكن علوم الجنيد كلّها إلهامًا لدنّيًا أو نتاج حال وجدانيّ ، بل اكتسب العلوم الفقهيّة بالتعلّم على أبي ثور الفقيه الشّافعي ، وبلغ مرتبة الإفتاء ، وكان يُفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين ، كما سبق ورأينا . . إذن ، لم يستغنِ عن تحصيل العلم الضروري ، الّذي لا يُحصّل إلاّ بالنّقل وهو علم الفقه والحديث .

لم يكد يبلغ الجنيد الثّلاثين من العمر ، حتى رأى سريّ السّقطي أنّه أصبح مؤهّلاً للجلوس للتدريس وإدارة حلقة علم عامّة ، وقد كانت مجالس التدريس العامّة إلى زمن الجنيد تُقام في المساجد ، فالمسجد هو المؤسّسة العلميّة العامّة الوحيدة ، لأنّ أوّل مدرسة نشأت في بغداد مستقلّة عن المسجد هي المدرسة النّظاميّة ، وكان ذلك في العاشر من ذي القعدة عام [٤٥٩هـ-١٠٦٦م] .. أيْ بعد وفاة الجنيد بأكثر من قرن ونصف القرن .

كما كان التدريس في المسجد وقفًا على الفقه والحديث وعلوم القرآن ، أيْ لم تكن للصوفيّة مجالس في المساجد ؛ بل كانت مجالسهم في حلقات خاصّة أو يقصدهم طلاّبهم إلى منازلهم . . إذن ، لعلّ الجنيد هو أوّل صوفي جلس للتدريس في حلقة عامّة في مسجد يُعدّ من أهمّ مساجد بغداد هو جامع المنصور[١] . .

قال للجنيد خاله سريّ السّقطي «تكلّم على النّاس» ، فلم يُسارع للقعود في المسجد وإنشاء حلقته الخاصّة ، بل تحشّم ولم يجد نفسه أهلاً لذلك . . ثمّ يُخبرنا أنّه لم يتكلّم على النّاس حتى أشار إليه وعليه ثلاثون من البدلاء وأجمعوا أنّه يصلح

(١) را . فهمي عبد الرازق سعد . **العامّة في بغداد** ، الأهليّة للنّشر والتوزيع . بيروت ١٩٨٣ ، ص ١٥٤ [ينقل عن الخطيب البغدادي وياقوت وابن النديم] .

لأن يدعو إلى الله (عز وجل)[١]، وعلى الرّغم من حثّ الجميع له لإنشاء حلقة عامّة، تكون الأولى في نوعها، إلاّ أنّه ظلّ متحرّجًا حتى رأى ليلة في المنام رسول الله ﷺ، وكانت ليلة جمعة، فقال له ﷺ: «تكلّم على النّاس»، انتبه من نومه، وأتى باب السريّ السّقطي قبل أن يُصبح، دقّ الباب، فقال له سريّ: لم تُصدّقنا حتى قيل لك.. وكان أمر رسول الله ﷺ حاسمًا، فقعد الجنيد في غد للنّاس بالجامع[٢].

ومع تصدّي الجنيد للتعليم في حلقة عامّة في المسجد، أرسى قواعد العلم الصوفي كواحد من العلوم الإسلاميّة جنبًا إلى جنب مع علم الفقه والحديث والتفسير وغيرها.. وعندما انتشر في النّاس أنّ الجنيد قعد للكلام، أمّ مجلسه متعلمون وعلماء في كافّة الاهتمامات والاختصاصات.. وممّن حضر مجالسه، الفقيه الشّافعيّ أبو العباس بن سريج، وقد سُئل عندما سمع كلامه: ما تقول في هذا؟ فقال: لا أدري ما أقوله ولكنّي أقول أرى لهذا الكلام صولة ليست بصولة مُبطل[٣]. وبعد أن استدام مجالسته واستفاد من تعاليمه، يقول لأبي الحسين عليّ ابن إبراهيم الحدّاد الّذي أعجب بكلامه في الفروع والأصول: أتدري من أين هذا؟ قال أبو الحسين: يقول القاضي. فقال ابن سريج: هذا ببركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد[٤].

وإلى جانب تتلمذ الفقهاء في مجالسه، ها هو أبو القاسم الكعبي المعتزلي، يقول: رأيتُ لكم شيخًا ببغداد، يُقال له الجنيد بن محمّد، ما رأت عيناي مثله، كان الكتبة يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة لدقّة كلامه، والشّعراء لفصاحته، والمتكلّمون لمعانيه، وكلامه ناء عن فهمهم[٥]... لقد أشار الكعبي إلى خصوصيّة في خطاب الجنيد، وهي انفتاح نصّه على عدّة مستويات معرفيّة من ناحية، وتقاطع الحقول المعرفيّة فيه من ناحية ثانية.

---

(١) انظر **في هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «إذن بالكلام»، صفحة ٨٥، قول رقم ١١.

(٢) انظر **في هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «إذن بالكلام»، صفحة ٨٦، قول رقم ١٢.

(٣) انظر **روض الرياحين**، لليافعي، ص ١٩.

(٤) انظر **تاريخ بغداد**، ٧/ ٢٤٣؛ **وشذرات الذّهب** ٢/ ٢٢٩.

(٥) انظر **تاريخ بغداد** ٧/ ٢٤٣؛ **وشذرات الذّهب** ٢/ ٢٢٩.

وقيل لعبد الله بن سعيد بن كحلان، وكان يُصنّف الطوائف والفرق ويدوّن معتقداتهم: أنت تتكلّم على كلام كلّ أحد، فها هنا رجل يُقال له الجنيد، فانظر هل تعترض عليه. فحضر حلقته وسأله عن التوحيد، فأجابه، فتحيّر عبد الله وقال: أعد عليّ ما قلت، فأعاده ولكن لا بالعبارة نفسها. فقال عبد الله: هذا شيء آخر لمَ أحفظه فأعده عليّ مرّة أخرى. فأعاده بعبارة أخرى. فقال عبد الله: ليس يمكنني حفظ ما تقولَ فأمْله علينا. فقال الجنيد: إن كنتُ أجريه فأنا أمليه[1].

وهكذا، وعلى الرّغم من تحرّج الجنيد من الكلام، وقوله إنّ «العبارة كلّها دعوى» وأنّه «من عرف الله كلّ لسانه»[2] إلاّ أنّ أخبار مجلسه ذاعت في الآفاق ولعب دوراً في حياة بغداد الثّقافيّة، وتناقلت أقواله طبقات من الصوفيّين وجرى تدوينها في الكتب. لقد تكرّس الجنيد شيخًا لطائفة الصوفيّة ليس في عصره فقط بل في العصور اللّاحقة. ولنا عودة إلى هذا الموضوع عند الكلام على مكانة الجنيد في التصوّف؛ في القسم الثّالث من هذه المقدّمة.

٥ ـ محنة الجنيد:

يقول السرّاج الطوسي في كتاب اللُّمع [ص ٥٠٠] إنّ الجنيد البغدادي مع كثرة علمه وتبحّره وفهمه ومواظبته على الأوراد والعبادات وفضله على أهل زمانه بالعلم والدّين، فكم من مرّة طُلب وأخذَ وشهدوا عليه بالكفر والزّندقة.. ولكن، وعلى الرّغم من إشارة السَرّاج هذه للمحن المتتالية التي تعرّض لها شيخ طائفة الصوفيّة إلاّ أنّنا نلحظ من تتبّعنا لمسار حَياته في دنيا النّاس أنّه كان في زمنه المرجع الدّيني الأكبر للعامّة والخاصّة في مدينة بغداد وفي المشرق العربي على امتداده؛ وأنّه عاش حياة اجتماعيّة هادئة قلّما عكّر صفوها سوء؛ في مقابل معاصره الحلاّج الّذي تعرّضت سفينة عمره لعواصف مدمّرة داخليّة وخارجيّة.

إنّ أزمة الجنيد كانت جزءاً من أزمة عامّة أصابت عدداً كبيراً من الصوفيّين.. ففي ستّينيات القرن الرّابع الهجري، وفي أيّام الموفّق أخ المعتمد، حمل غلام الخليل

---

(١) راجع: **روض الرياحين** ص ٢٠؛ وفي **هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «علم الصوفية»، صفحة ١٧٧، قول رقم ٤٢٤.

(٢) **كشف المحجوب** ص ٦٠٠، وفي **هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «عارف»، صفحة ١٦٤، قول رقم ٣٥٧.

[أحمد الباهلي ت ٢٧٥ هـ-٨٨٨م] وهو فقيه وصوفيّ، على كافّة المتصوّفة الّذين يقولون بالحبّ الإلهي[١] . .

ونبدأ منذ البداية، مع أبي الحسين النّوري الّذي كان أوّل من تعرّض لهجمات غلام الخليل . . رفع هذا الأخير إلى الموفّق، وهو يومئذ أمير المؤمنين، إنّ ببغداد رجلاً من الزّنادقة دمه حلال، فإن قتله أمير المؤمنين فدمه في عُنقي . فبعث الخليفة في طلبه، فحُملَ إليه، فشهد عليه غلام الخليل قائلاً: أنا سمعته يقول : «أنا أعشق الله ، وهو يعشقنيَ» . فقال النّوري : سمعتُ الله تعالى ذكره يقول [المائدة ٥٤] : ﴿ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ وليس العشق بأكثر من المحبّة ؛ غير أنّ العاشق ممنوع والمحبّ يتمتّع بحبّه . فبكي الموفّق من رقّة كلامه وأطلقه[٢] . . ثمّ اشتهر «غلام الخليل» بأنّه يتربّص بالصوفيّة ويتتبع هفواتهم ، ويصدّق - أو يريد أن يُصدّق - أنباء من يطعن فيهم . .

أمّا «المكيدة» التي أوصلت الجنيد إلى حدود القتل ظلمًا ، فقد بدأت بقصّة حبّ إنساني لا شأن لها بتعاليم الجنيد وأقواله ، بل لا شأن لها بالجنيد كليّة . . كان «سمنون» الصوفيّ الشّهير بلقب «المحبّ» ، موصوفًا ببهاء الوجه وحلاوة الكلام في المحبّة وعذوبة النّطق ، فهَويَتْه امرأة تتردّد على مجالسه ، فلمّا علم سمنون بذلك طردها من ندواته الصوفيّة . فذهبت إلى الجنيد البغدادي تشكو حالها ، وقالت له : ما تقول في رجل كان طريقي إلى الله ، فذهب الله وبقيَ الرّجل؟! أدرك الجنيد مرادها ، فلم يُجبها ، وقال «حسبنا الله ونعم الوكيل» . وأقول: هل ألْهم الجنيد بما تُخبّئه الأيّام وراء هوى المرأة فاحتسب وتَوكّل على الله سبحانه فيما سيَحدث ؛ المهمّ أنّ المرأة عرضت نفسها بالتّزويج على سمنون فأبى ذلك . .

تناهي إلى علم المرأة أنّ غلام الخليل يُنكر على الصوفيّة ويُعاديهم ، فذهبت إليه وقالت : إنّ هؤلاء الصوفيّة فلان وفلان ، وذكرت عددًا منهم ، يجتمعون معي كلّ ليلة على الحرام . فشهد عليهم غلام الخليل بذلك ، وقال: هؤلاء زنادقة ودمهم في عنقي . . . ويُضيف السرّاج أنّه بلغه أنّ السّلطان أمر بضرب أعناقهم[٣]، ولم

---

(١) **إحياء علوم الدّين** ج ٤ ص ٣٤٠ .
(٢) انظر: **اللّمع** للطّوسى ص ٤٩٢؛ كما يُراجع **تلبيس إبليس** لابن الجوزى ص ١٧٠ .
(٣) الطّوسى ، **اللُّمع** ، ص ٤٩٨ .

يُنجيهم من ذلك إلاّ تقدّم النّوري للسيّاف ليكون أوّل «الشّهداء» ؛ إيثاراً منه لأصحابه بلحيظات يذكرون فيها الله فيما بقيَ من العمر . . وكان هذا التصرّف من النّوري سببًا في تنبّه السيّاف من غفلته ، وتوقّفه عن تنفيذ الحكم ومراجعته الخليفة للتّحقّق من أمرهم . . وكان ممّن شملهم انتقام المرأة : الجنيد ، والنّوري ، والشّبلي ، وسمنون ، وأبو حمزة ، والشحّام ، والرقّام[1] .

٦ ـ الجنيد في أهله :

لم يصل إلينا نصّ يُخبرنا فيه الجنيد عن أبيه أو عن أمّه أو عن أحد من إخوته أو من أبنائه ، ونتساءل : هل لا تُسجّل ذاكرة الجنيد وحافظته أحداث الحياة اليوميّة ، هل يعتبر أنّ أشياء الحياة الصغيرة لا تستحقّ الرّواية والخبر ، أو أنّها تُعاش ولاتُقال . . المهمّ ، أنّنا نعرف أنّه تزوّج ، لأنّه يُصرّح بأنّه يحتاج إلى النّكاح كما يحتاج إلى القوت[2] ، يا له من اختصار جميل لحاجات الإنسان الحقيقيّة واعتراف بها . .

كما أنّه ورد ذكر لامرأته وذلك حين دخل الشبليّ عليه في داره وكانت جالسة فأرادت أن تستتر ، فقال لها الجنيد : اقعدي فلا خبر للشبليّ عنك ؛ وبعد أن فرّغ الشبليّ شُحنة الوجد التي تشقّه ، وبدأ في البكاء ، التفت الجنيد إلى امرأته وأشار عليها بأن تستتر[3] . .

ومع علمنا بأنّه تزوّج إلاّ أنّنا لا نعرف شيئًا عن امرأته ، وعن نمط العلاقة التي تربط بينهما . . هل يُقدّس أخباره الخاصّة عن الشيوع أم يعتبرها شأنًا فرديًّا لا يمسّ الجماعة ، أم أنّ التدوين لم يطلها لأنّه لم يتوفّر لها سائل يسأل عنها أو شاهد يُخبرنا بها؟!

والغريب ، أنّ النّصوص الكثيرة التي تروي خبر موت الجنيد ، وتفاصيل لحظاته الأخيرة ، تصوّره يحفّ به جمع من صحبه ، حتى النّفس الأخير ، حتى الجملة الأخيرة التي قالها ، ولا نجد بقربه أحدًا من أهل بيته ، لا ذكر لامرأته ولا ذكر لولد إلاّ عرضًا وبعد موته عند إتمام مراسم الدّفن .

---

(١) انظر : Roger Deladrière . **Junayd. Enseignement spirituel** , P 20-

(٢) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «قلب» ، صفحة ١٩٢ ، قول رقم ٤٨٦ .

(٣) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «غيبة» ، صفحة ١٨٠ ، قول رقم ٤٣٧ .

٧ـ الجنيد في محرابه..عباداته:

ندخل على الجنيد في محراب ذاته، نخترق حميميّة علاقته بربّه لنرى تسابيحه وأوراده، صيامه وصلواته..

■ لم يكن الجنيد معتزلاً العمل في الدّنيا ومنقطعًا إلى عمل الآخرة، كما لم يكن متّخذًا التّعليم مهنة رغم جلوسه للتّدريس في جامع المنصور؛ بل نراه يذهب كلّ يوم إلى دكّانه ويمارس متطلّبات مهنته وهي بيع الأقمشة الحريرية، لقد كان خزّازًا[١]. إلاّ أنّ تجارته لم تُلْهه عن ذكر الله.. فها هو يفتح دكّانه، وفي غياب الزّبائن يُسدل عليه ستراً ويُصلّيَ، ويقول أحد تلامذته، إنّه كان **يُصلّي يوميًا حوالي الثلاثماية ركعة** أثناء النّهار في دكّانه..

إلي جانب الصّلوات الخمس المفروضة، ونوافل صلواته طوال النّهار في دكّانه، نستشفّ وجود صلوات ليليّة يقوم بها الجنيد في إخلاص خلوته بمعبوده، وخاصّة عند الأسحار.

■ نقترب من ركن ثان من أركان العبادات **وهو الصوم**. لقد جعل الجنيد من الصوم نظام حياة، لأنّه منٍ خبرته الشخصيّة بالمجاهدة والرّياضة يجد أنّ الجوع من أهمّ العوامل التي تُساعد على تأهيل الشّخص للمعرفة الإلهاميّة.. ويذمّ الشّبع، ويرى أنّه السبب أحيانًا في عدم الشّعور بحلاوة العبادة، يقول: «يقوم أحدهم في صلاته، فيجعل بينه وبين الله تعالى زنبيل طعام، ويريد أن يجد حلاوة المناجاة، أو يسمع فهم الخطاب!»[٢]. كما يقول مؤكّدًا على أهميّة الجوع في تحصيل العلم الصوفيّ: «ما أخذنا التصوّف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدّنيا»[٣]، ويقول: «الصوم نصف الطريقة»[٤].

---

(١) را. **تاريخ بغداد** ج٧ ص ٢٤١.
(٢) انظر **في هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «طعام»، صفحة ١٥٤-١٥٥، قول رقم ٣٢٢.
(٣) انظر **في هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «تصوف»، صفحة ١٤٩، قول رقم ٢٩٣.
(٤) انظر **في هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «صوم»، صفحة ١٥١، قول رقم ٣٠٤.

وعلى الرّغم من أنّ الصوم كان النّظام شبه العاديّ لحياة الجنيد، إلاّ أنّه إذا دخل عليه إخوانه أفطر معهم، لأنّه يرى أنّ فَضْل مشاركة الإخوان يَعْدل فَضْل الصوم[1]. . وأظنّ أنّ الجنيد كان يُمارس صوم داود ـ عليه السلام ـ أيْ يَصوم يومًا ويُفطر يومًا، وهو لم يُنبئنا بنوع الصوم الّذي يتّبعه، وإنّما قال إخوانه أنّه يُداوم الصوم، وقول إخوانه يستند إلى لقائهم المتقطّع أو المتواصل به ولا يستند إلى إخبار شخصيّ من الجنيد نفسه. فلعلّهم من كثرة لقائه على صوم ظنّوا أنّه يُداوم الصوم.

■ إذا حاولنا أن نتحرّى كيف يؤدّي «صوفيًا» **فريضة الزّكاة**، نجد مصداق قول شيبان الرّاعي للإمام الشّافعيّ، بأنّ الزّكاة في حساب الفقهاء هي نسبة كذا في كذا، أمّا في حساب الصوفيّة فالكلّ ملك لله. . لقد تحرّر الجنيد من ممتلكات تُوجب زكاة، كان يُنفق كلّ ما يصل إلى يده على أصحابه، وعلى الفقراء. .

لقد كان يجد أنّ «ترك الدّنيا» هو باب واسع من أبواب التّحرّر النفسيّ، والتوجّه للتّلقي العرفاني، وسبب أكيد لحسن العلاقة بالنّاس. . ويجدر هنا، أن نتذكّر أنّنا في القرن الثّالث الهجري، حيث كان «الفقر» و «الزّهد» قيمتيْن اجتماعيّتيْن يحتلّ أهلهما عالي المراتب الإنسانيّة في نظر مجتمعات لا تزال شعوبها تتنسّم رحيق الرّوحانيّات.

■ من الأمور الغريبة التي نلاحظها في حياة الجنيد، أنّه لم يُسافر خارج موطنه، إلاّ مرّة واحدة، وهي المرّة الوحيدة التي حجّ فيها. . ففي حين نجد العديد من الصوفيّة يُكثر من الحجّ والاعتمار **لا يحجّ الجنيد إلاّ حجّة الفرض**[2]؛ وفي حين نجد التنقّل والسّفر سمتين بارزتين في حياة معظم الصوفيّة لا يكاد يترك الجنيد مدينة بغداد. .

لا نعلم لماذا لم يُغادر الجنيد بغداد، هل وجد فيها تلميذًا كفايته من الأساتذة، أم كانت إلهاماته مبكّرة ولم يضطرّ إلى الخروج والبحث والتنقّل لأنّه لم يعرف معاناة القلق المعرفيّ، أم أنّ الجلوس للتدريس في مسجد المنصور ألزمه بالإقامة المتواصلة، أم أنّ سفره كان داخليًا قطع فيه مسافات لا تُقاس أطوالها بمقادير متريّة؟! أسئلة ستظلّ إجاباتنا عنها في إطار المعرفة الظنيّة والتكهّنات.

---

(١) انظر **في هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «صوم»، صفحة ١٥١، قول رقم ٣٠٦.
(٢) انظر **في هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «حج»، صفحة ١٠٥، قول رقم ٩٠.

■ لم يكن الجنيد مجرّد عابد من العبّاد الصّالحين، بل تجلّى في حقل العلوم الإسلاميّة صاحب معرفة صوفيّة وتجربة وجدانيّة عالية، وعندما سُئل من أين استفاد علمه الصوفيّ، قال: «من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة، تحت تلك الدرجة» وأومأ إلى درجة في داره. . إذن، **الجلوس بين يدي الله هي العبادة المستمرّة التي لاتتقيّد بوقت معلوم**، والتي هي فرض كلّها لا مكان فيها لنافلة. . والجلوس بين يدي الله - عز وجل - ، يعني الحضور الّذي هو ضدّ الغفلة، ويُمارس - في أغلب الأحيان - عبر الذّكر.

لقد عاش الجنيد حال حضور دائم، وكان ذكره لله (عز وجل) رتيبًا متوازنًا متواصلاً لأنّه اتّحد بعمليّة التنفّس لديه، يُخبرنا أنّه ما تنفّس إلاّ كان ذكر الله مع نفَسه. . لكأنّ الجنيد جعل أنفاسه سُبحةً، كلّ شهيق منها حبّة، وقد يغفل إنسان عن سبحة في يده، ولكنّه لا يغفل عن جريان الرّوح بالنَّفَس في بدنه.

وهذا الحضور الدّائم بالذّكر المتواصل تواكبه مجاهدة نفسيّة رفيعة المستوى، فنحن لسنا أمام شخص يتدرّج في المجاهدة حتى يصل إلى أعلاها، بل أمام شخص بدأ من الخواتم. . لقد اعتبر أنّ النّفس هي الحجاب وليس مجرّد شهوات النّفس وأهوائها فحسب؛ لذلك كانت مجاهدته في السير من النّفس إلى الله تعالى[١] . . قطع هذه الطّريق وأصبحت نفسه ملكًا لله لا ملكًا لذاته، يقول إنه مرض مرضة فسأل الله أن يُعافيه، فقال له في سرّه: لا تدخل بيني وبين نفسك[٢] . . ويقول أيضًا: «كان أهل السموات والأرض مدّة يبكون على حيرتي، وكنتُ أيضًا أبكي على غيبتهم، والحال الآن أنّي لا أدري بهم، ولا بنفسي»[٣] .

---

(١) انظر **في هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «صبر»، صفحة ١٤٢، قول رقم ٢٥٦.
(٢) انظر **في هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «عبودية»، صفحة ١٦٣، قول رقم ٣٤٩.
(٣) انظر **في هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «غيبة»، صفحة ١٨٠، قول رقم ٤٣٦.

٨ ـ السّاعات الأخيرة للجنيد..وفاته:

تتقاطع عدّة روايات لترسم لنا السّاعات الأخيرة في حياة الجنيد، لحظة بلحظة . .

يقول ابن عطاء أنّه دخل على الجنيد وهو يجود بنفسه، فسلّم عليه، فأبطأ الجنيد في الجواب، وعندما تكلّم قال له: اعذرني، فلقد كنتُ في وردي. يقول ابن عطاء ثمّ بعد ذلك حوّل وجهه إلى القبلة ومات[١] .

ويروي أبو بكر العطّار موت الجنيد، فيقول: «حضرت الجنيد عند الموت، في جماعة من أصحابنا، فكان قاعداً يصلّي ويثني رجله، فثقل عليه حركتها، فمدّ رجليه، وقد تورّمتا، فرآه بعض أصحابه. فقال له: ما هذا يا أبا القاسم؟. قال: هذه نعَم، الله أكبر»[٢] . .

ويقول جعفر الخلدي: رأيتُ شابًا دخل على الجنيد ـ وهو في مرضه الّذي مات فيه ـ ووجهه قد تورّم، وبين يديه مخدّة يُصلّي عليها. فقال له الشابّ: وفي هذه السّاعة أيضًا لا تترك الصّلاة؟ فلمّا سلّم دعاه وقال: هذا شيء وصلت به إلى الله، ولا أحبّ أن أتركه. . فمات بعد ساعة[٣] . .

ويقول أبو محمّد الجريري: كنتُ واقفًا على رأس الجنيد وقت وفاته ـ وكان يوم جمعة ـ وهو يقرأ القرآن. فقلت له: ارفق بنفسك. فقال: ما رأيتُ أحدًا أحوج إليه منّي في هذا الوقت، وهو ذا تُطوى صحيفتي[٤] .

إنسان ظلّ متمسّكًا بأوراده وصلواته وقراءته للقرآن حتى الرّمق الأخير. . ومات على مرأى من صحبه وتلامذته. . بل كان مسرح موته مجلسًا مفتوحًا، كما كانت حلقته في الجامع وداره أيضًا مجلسان مفتوحان طوال العمر للنّاس.

نقترب بعد عشرة قرون من سريره لحظات وفاته، لنتبيّن وصاياه الأخيرة، فيلفتنا وصيّتان: **الوصية الأولى**، لقد أوصى بدفن جميع ما دوّن صحبه وتلامذته

---

(١) **طبقات الأولياء** ص ١٣٤ .

(٢) انظر **في هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «عبادة»، صفحة ١٥٨، قول رقم ٣٣٣.

(٣) انظر **في هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «عبادة»، صفحة ١٥٧، قول رقم ٣٣١ .

(٤) انظر **في هذا الكتاب**: أقوال الجنيد، مادة «عبادة»، صفحة ١٥٧، قول رقم ٣٢٩ .

وإخوانه من علومه ، والسبب الّذي قدّمه بين يديْ هذه الوصيّة هو أنّه أحبّ ألاّ يراه الله (عز وجل) وقد ترك شيئًا منسوبًا إليه وعلم رسول الله ﷺ بين ظهراني المسلمين[1] . **والوصيّة الثّانية** ، أوصي إخوانه أن يجتمعوا على وليمة طعام بعد الانتهاء من دفنه[2] ، ولعلّه قصد من هذه الوصيّة أكثر من غاية ؛ إذ نفهم منها أنّه أراد أن يحفظ على إخوانه اجتماعهم المعتاد ، بحيث لا يؤثّر فقده على الرّوابط بينهم ، كما نفهم منها أيضًا أنّه يُخاطبهم بالرّمز ، فالوليمة رمز الفرح والعرس ، لكأنّه يقول يوم موتي هو يوم فرحي وتعريسي .

وكانت وفاته في شوّال ، آخر ساعة من يوم الجمعة ، سنة سبع وتسعين ومائتيْن ببغداد . ودفن بالشّونيزيَّة عند خاله سريّ السّقطي[3] . وعلى الرّغم من حياة الجنيد المعمورة بالتّقوى والعبادة ، والممهورة بالإلهامات والمشاهدات والقُرْب والولاية ، إلاّ أنّه قال ـ ما سبق وقاله خاله سريّ السّقطي : أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد ، لأنّي أخاف ألاّ يقبلني قبري فأفتضح[4] .

* * *

(١) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «علم الصوفية» ، صفحة ١٧٥ ، قول رقم ٤١٢ .
(٢) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «عبادة» ، صفحة ١٥٧ ، قول رقم ٣٣٠ .
(٣) **طبقات الأولياء** ص ١٣٤ .
(٤) انظر **في هذا الكتاب** : أقوال الجنيد ، مادة «الخوف والرجاء» ، صفحة ١١٤ ، وصفحة ١١٥ ، قول رقم ١٢٩ ورقم ١٣٠ .

II ـ فكر الجنيد وتعليمه الصّوفي

منذ كان الجنيد في السّابعة من عمره بدا مُلْهمًا ، صاحب علم لدنيّ . وقد كشف لنا عن هذا الوجه فيه أستاذه السريّ السّقطي ، وذلك حين سأله عن معنى الشّكر ، وأردف بإشارة إلى حظّ الجنيد في الإلهام الّذي يجري على لسانه[1] . ولكنّ هذه الإلهامات المبكّرة التي ظهرت في أقوال الجنيد ، وإن دلّت على وصول أو على مقدّمات وتمهيدات للوصول ، إلاّ أنّها تبدو لنا مفردة مجتزأة ، ولم تتكامل بعد نظريًا في رؤية صوفيّة شاملة تفسّر الوجود من جهة ، وترسم منازل طريق الوصول من جهة ثانية .

ومع تقدّم الجنيد في حياته الرّوحانيّة ، وتحقّقه بالتّوحيد التامّ الكامل بعد منازلته إفناء نفسه ، وذوقه طعم موته ، واكتسابه بالموت مستوى جديداً في وجوده الإنسانيّ ، استوعب حياته الوجدانيّة على صعيد الإطار النظريّ ، أي **ترجم حياته إلى علوم** . ونتجت عن هذه الترجمة العلميّة للحياة الشخصيّة معرفة متّسقة عن الألوهيّة والإنسان والعلاقة بينهما ، وعن الطّريق الموصل إلى مواطن القرب ومبادئه ومعوقاته وصفة أعلى منازله . . لقد أصبح لدى الجنيد « **علمًا** » أو « **علومًا** » يمكن أن تساعد السّالكين ، وتُرشد المتحيّرين .

وسوف نقسم فكر الجنيد الصوفيّ إلى ثلاثة أقسام : في **القسم الأوّل** نصوغ من أقواله نظريّة في الوجود الإنسانيّ . وفي **القسم الثّاني** نرسم من عباراته مبادئ الطّريق الصوفيّ ومراحله . وفي **القسم الثّالث** : نتكلّم على ماهيّة الوصول وهويّة الواصل . ونختتم هذا القسم بالسّؤال : وماذا بعد الوصول؟

١ ـ رؤية الجنيد للوجود الإنسانيّ :

إنّ وعي الجنيد المبكّر مكّنه من أن يختزن في ذاكرته «مأساة التّوحيد» وذروتها امتحان ابن حنبل في صحّة توحيده لله . . هذه المأساة التي بدأها المأمون في مطلع

---

(١) انظر أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** مادة «شكر» ، صفحة ١٣٦ ، قول رقم ٢٢٠ .

القرن الثّالث الهجري نُصرةً للمعتزلة ، واستمرّت طوال سنوات نشأة الجنيد حتى أعلن المتوكّل سنة ٢٣٤هـ نُصرة أهل السُنَّة ضدّ المعتزلة . . لقد عاش الجنيد سنين كثيرة من عمره في ظلّ «دولة» الاعتزال وحربهم لإعلاء مفهومهم الخاصّ للتّوحيد، وشهد انحسارهم ومهادنة بعض الخلفاء لهم من بعد المتوكّل ، كما لم يكن غريبًا عن بروز كبار رجالاتهم المعاصرين له سواء في مدرسة بغداد أم في مدرسة الكوفة كالعلاف [ت٢٣٥هـ] وأبو على الجبائي [ت٣٠٣ هـ] ... ولم يكن بعد ظهور للأشعريّ والأشعريّة في أفق العلوم الإسلاميّة . لقد جاء الجنيد في مرحلة صراع الفقهاء مع علماء الكلام متمثّلين بالمعتزلة ، قبل حسم الأشعريّة للنّزاع وقبل جعلها علم الكلام - أو علم العقيدة - جزءًا من علوم الدّين .

ومن ناحية ثانية ، شهد الجنيد رعاية الخلفاء العباسيّين لحركة التّرجمة والتّعريب وخاصّة عن اليونان ، فالمأمون ، ابن هارون الرَّشيد أسّس مركزًا ثقافيًا رسميًا باسم «بيت الحكمة» عام ٢١٧ هـ ، وكان أهمّ قسم فيه هو مركز التّرجمة والتّعريب . . وقد أسهمت هذه التّرجمات بتحريض العقل الفلسفي العربي على طرح «مسألة التّوحيد» ، لا في بُعدها الكلاميّ فقط ، والدّفاع عن أحديّة الذّات العليَّة بل في بُعد عقلانيّ فلسفيّ ، يتفكّر حول ماهيّة «الواحد» ، وصدور الكثرة عنه .

ومن ناحية ثالثة ، كان الجنيد ربيب الوسط الصوفيّ ، وتلميذًا لخاله سريّ السّقطي ، الّذي يُجمع الدّارسون على أنّه أوّل من كان له «لسان في التّوحيد» في بغداد . . والتّوحيد الصوفيّ ، أو على الأصحّ التّوحيد كما فهمه معظم المتصوّفة ومارسوه ، هو نقلة للمفهوم من مستوى النّظر والفكر إلى مستوى العيش والذّوق . فالشّخص يوحّد الله - في عُرْف الصوفيّة - بمقدار ما يُفني حضور كلّ ما سوى الله لوعيه الشخصيّ . إذن ، **التّوحيد «الصوفيّ» جاء في سياق جدليّ مع عمليّة الفناء الصوفيّة .**

في مقابل هذه التيّارات والمدارس الفكريّة المتصارعة والمتكاملة حول مفهوم التّوحيد . . في مقابل نصّية الفقهاء وتوقيفاتهم ، وفي مقابل شغف علماء الكلام بالجدل وطرحهم التوحيد على مستوى علاقة الذّات العليّة بالصّفات الإلهيّة ، وفي مقابل انشغال الفلاسفة بأحديّة الخالق وبمعقوليّة صدور الكثرة عن الوحدة ،

تعلن أقوال الجنيد : أنّ **جوهر الإنسان هو التّوحيد** . والإنسان الكامل الإنسانيّة، الكامل الوجود، هو الإنسان الّذي بلغ في التّوحيد أعلى منازله . . إنّه الموحّد حقًّا، وإنّه المتحقّق بتمام الوجود وأمضاه .

والآن، من هو هذا الموحّد حقًّا، أيْ الفاني عن كلّ ما سوى الله حتى فانيًا عن وعيه لنفسه؟ وهل هذا الموحّد موجود عينًا، وبالتّالي يمكن للإنسان تحقيق هذا النّمط من التّوحيد، أم أنّ هذا التّوحيد هو غاية السّلوك الصوفيّ وسوف يظلّ غاية ووجهة مسار روحانيّ، لا هدفًا قابلاً للتّحقيق في حياة الإنسان الرّاهنة؟

كلّ الأسئلة حول الوجود الإنسانيّ الأتمّ الأكمل، والفناء النّهائيّ، وماهيّة الشّخص الّذي يستوطن «المنزل القريب»، تجد إجابتها في آية قرآنيّة، هي آية الميثاق، التي يفكّك الجنيد ألفاظها ليجعلها دالّة على الحال النّهائيّ للوجود الإنسانيّ، على أعلى وجود ممكن للإنسان في مسيرة حياته عبر العوالم .

لقد احتلّت «آية الميثاق» مركز المحور في تفكير الجنيد ومساره الروحانيّ، وتصوّر هذه الآية الكريمة مشهدًا يضمّ كافّة الجنس البشريّ، في نشأة ذريّة . وفي هذه النّشأة، وفي عالم لا نحيط بمكانه وزمانه وماهيّته، يأخذ الحقّ تعالى إقرار ذريّة بني آدم كافّة على أنّه ربّهم، يقول تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا** ﴾ [الأعراف ١٧٢] .

لقد حمّل الجنيد هذه الآية جوهر نظريّاته كلّها : (أ) إنّها بداية الوجود الإنسانيّ الفاعل، الواعي، السميع والمجيب، وفيها تميّزت الكائنات البشريّة وكانت درجات في مواهب ربّهم . . (ب) كما أنّها ـ ستكون غاية السّلوك الروحانيّ، ومحرّض الرّياضات والمجاهدات وألوان الفناءات . . هذه اللحظة الفريدة بين الحقّ وخلقه في آية الميثاق، هي اللّحظة التي تختزن الحال الأكمل للإنسان، والتي سوف يحنّ أبدًا إليها عندما يحلّ في العالم الأرضيّ .

وتتلخّص رؤية الجنيد في الوجود الإنسانيّ بالفكرة الآتية : إنّ الإنسان الواحد له وجود واحد، ولكن لهذا الوجود الواحد حال أعلى من حال، ونشأة أعلى من

نشأة . وهذه الأحوال المتفاوتة في الكمال الوجودي قد تكون في عالم بعد عالم ، مثلاً في عالم الذرّ ومن بعده في عالم الدّنيا ؛ كما أنّها قد تكون في العالم نفسه فيرقى الإنسان من حال إلى حال أكمل بالرّياضة والمجاهدة والوهب الإلهيّ .

إنّ النّاس جميعًا ، كانوا على أكمل نشأة تخصّهم ، حين كانوا على صورة ذَرّ ، أخذهم ـ عز وجل ـ من ظهور آبائهم ، أسمعهم خطابه «ألسْتُ بربّكم» ، وأقدرهم على ردّ الخطاب ، فقال الكلّ «بلى» . . لم يمانع إنسان ، ولم يمتنع مخلوق ، لأنّهم كانوا في أكمل نشأة وأكمل وجود . . ولكن ، وعلى الرّغم من هذه الموافقة العامّة ، إلاّ أنّ المخاطبين كانوا مراتب في المواهب الإلهيّة ، فمنهم من وهب لهم سبحانه حبّه حين أوجدهم ، فكانوا أسرع تلبية منّة منه وفضلا[1] . . إذن ، لكلّ إنسان وجود نهائيّ يخصّه ، هذا الوجود النّهائيّ صيغته محفوظة في مشهد الميثاق ، في عالم الذرّ كان كلّ واحد من بني البشر على نشأته الكماليّة ، لكأنّها ـ إن أمكن التّعبير ـ هي هويّته الروحانيّة ، التي لا يمكنه أن يتخطّاها . . إنّها كماله الخاصّ ، وهويّته الفرديّة ، وسقف وجوده الذي لا يحمل بذوراً تمكّنه من أن يتخطّاه . .

وعلى الرّغم من تفاوت النّاس في موافقتهم في آية الميثاق ، ففيهم سريع التلبية والأسرع ، إلاّ أنّهم جميعًا متساوون في الفناء . . ذَرّ بني آدم الّذين أخرجهم الله (عز وجل) من ظهور آبائهم ، وأنشأهم في حال فنائهم بمشيئته ، وأقامهم بين يديْه ، وخاطبهم ، وأقدرهم على ردّ الجواب ، هم جميعًا غير موجودين لأنفسهم ، بل هم موجودون بوجود الله لهم . .

هذا الوجود هو أكمل وجود للإنسان ، لأنّ الجميع أقرّ بالرّبوبيّة ولم يُمانع أو يمتنع ؛ إذن ، الإنسان يكون في أكمل حال وأتمّ نشأة إن كان فانيًا عن نفسه ، موجوداً بوجود الله له لا بوجود نفسه له .

إنّ جوهر الإنسان ـ بحسب رؤية الجنيد ـ في وجود الله له ، في كينونته أمام الله لا أمام نفسه . . وحيث إنه تذوّق هذه اللّحظة الكماليّة في آية الميثاق ، وكان في

---

(1) انظر كتاب «الفناء» ، الكتاب الخامس ص ٢٤٧ ، حيث يقول الجنيد : «الحمد لله الّذي قطع العلائق عن المنقطعين إليه . ووهب الحقائق للمتصلين به المعتمدين عليه ، حين أوجدهم ووهب لهم حبّه ، فأثبت العارفين في حزبه ، وجعلهم درجات في مواهبه . . .»

القرب القريب ، قبل وجوده في هذا العالم ، فهو لا يزال يحمل بذور كماله في حال نقصانه . . وما عليه إلاّ أن يعود «**فيكون كما كان قبل أن يكون**» ، أيْ يعمل على أن تكون نشأته في هذا العالم على صيغة نشأته في آية الميثاق ، فناء عن كلّ ما سوى الله حتى عن نفسه ، وبقائه بوجود الله له .

إنّ صيغة آية الميثاق هي البداية ، هي الدّالة على الكمال الفرديّ والكمال الجماعيّ ، وهي أيضًا النهاية ، لأنّها المحرّك والموجّه للسّلوك الصوفيّ . .

٢ ـ السّلوك الصوفيّ : أصوله ومراحله .

لقد تصدَّت فئة من النّاس ـ نطلق عليهم اسم الصوفيّة ـ للقيام بمغامرة جريئة ، لقد آمنت هذه الفئة واقتنعت بأنّه من الممكن أن تصبح مميّزة لدى الذّات العليّة ، أو أنّها ـ على الأصحّ ـ سوف تصبح مميّزة لأنّ الله سبحانه انتخبها للولاية ووهب لها حبّه بداية . . لقد حظيت بالوهب الإلهيّ ، فلم يبقَ لديها إلاّ العمل بمقتضى هذه المواهب . . وبناءً عليه ، أصّلت الأصول ، ورسّمت معالم الطّريق ومنازله ومراحله .

إنّ نهاية الطّريق الصوفيّ ، عند الجنيد ، التي يُحقّق فيها الشّخص الحال النّهائيّ الأكمل بالنّسبة له ، هي أن يكون في هذا العالم كما كان في آية الميثاق . وحتى يستطيع الإنسان أن يرجع بكينونته الحاليّة إلى الكينونة الأولى ، يضع له الجنيد جملة قواعد وأصول ومنطلقات . وسوف نقسم الكلام على السّلوك الصوفي عند الجنيد إلى قسميْن : في الأوّل نحصي ـ قدر الإمكان ـ المنطلقات والأصول وأنماط المجاهدات والرّياضات ، وفي الثّاني نحاول أن نتقصّى مراحل الطّريق عند الجنيد ، أيْ ما هو عدد المراحل التي علينا أن نقطع بها المسافة بين الكينونة الحاليّة والكينونة المستهدفة .

أ ـ أصول السّلوك الصوفيّ ومنطلقاته .

■ يُدافع الجنيد بداية عن **مشروعيّة الطّريق الصوفيّ وشرعيّته** ، ويؤكّد أنّ التصوّف والطّريق التي تسلكها الصوفيّة هي اتّباع نبويّ لا إبداع صوفيّ . .

فـالصـوفيّ يبُدع في حـدود المسمـوح ، ولا يُمـارس فـتـوحـاته في الممنوع . يقـول الجنيد : الطّرق كلّها مسدودة على الخلق ، إلاّ [على] من اقتفي أثر الرّسول ﷺ ، وتبّع سُنّته ، ولزم طريقه[1] . . ويقول أيضًا : الطّريق إلى الله مسدود على خلق الله (عـز وجل) ، إلاّ المقـتـفين آثار الرّسـول ﷺ والتّـابعين لسُنّتـه[2] . . ويقـول أيضًا : من لـم يسمع الحديث ، ويُجالس الفقهاء ، ويأخذ أدبه من المتأدّبين ، أفسد من اتّبعه[3] .

■ وكـمـا دافع الجنيد عن السّلوك الصـوفيّ ، فهـو **يُدافع عن العـلـم الصـوفيّ** . . فالعلم الصوفيّ هو علم إلـهاميّ ، لـدُنيّ ، موهوب ، لا يكتسبه الإنسان بالتعلّم من الكتب أو من النّاس ، بل يستفيـده من «جلوسـه بين يدي الله» . . قيـل للجنيد : من أين استفدت هذا العلم ؟ فقـال : من جلوسي بين يديْ الله ثلاثين سنة ، تحت تلك الدّرجة . وأومأ إلى درجة في داره[4] . .

وهذا العلم الإلهاميّ ، وإن استفاده الإنسان من «جلوسه بين يديْ الله» ، إلاّ أنّه ليس من عنديّاته ، بل الإنسـان هنا أشبـه بالمحلّ النقيّ الصّـافي العالي الشّـفافيّـة ، الّذي يمرّ به شُعاع النّور دون أن يتكسّر أو يتحـرّف ، فيضيء على من حوله دون أن يمتلك النُّور . . يقـول الجنيـد : لو أنّ العلـم الّذي أتكلّم به من عندي لَفَنِيَ ، ولكنّه من حقّ بَدَا ، وإلى الحقّ يعود[5] .

وهذه العلوم الإلهاميّة التي تجري على ألسنة أشخاص اختصّهم الله سبحانه بها ، لا تخـرج عن إطار الحـديث النبـويّ الشّـريف . . يقـول الجنيـد : علـمنا مـضبـوط بالكتاب والسُّنّة[6] ، ويقول أيضًا : علمنا هذا مشبك بحديث رسول الله ﷺ[7] . .

---

(١) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «طريق إلى الله» ، صفحة ١٥٢ ، قول رقم ٣٠٩ .

(٢) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «طريق إلى الله» ، صفحة ١٥٢ ـ ١٥٣ ، قول رقم ٣١٠ .

(٣) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «طريق إلى الله» ، صفحة ١٥٣ ، قول رقم ٣١٥ .

(٤) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «علم الصوفية» ، صفحة ١٧٤ ، قول رقم ٤٠٦ .

(٥) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «علم الصوفية» ، صفحة ١٧٣ ، قول رقم ٤٠١ .

(٦) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «علم الصوفية» ، صفحة ١٧٣ ، قول رقم ٤٠٤ .

(٧) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «علم الصوفية» ، صفحة ١٧٤ ، قول رقم ٤٠٥ .

يُعلي الجنيد هذه العلوم الإلهاميّة ، ويجد أنّها أشرف العلوم ، لأنّها تدلّ المخلوق على الطّريق الموصل إلى الخالق . . ويقول الجنيد : لو علمتُ أنّ علمًا [تحت أديم السّماء] ، أشرف من علمنا هذا لسعيْتُ إليه ، وإلى أهله ، حتى أسمع منهم ذلك[١] . ويقول لأصحابه : لو علمتُ أنّ صلاة ركعتيْن أفضل من جلوسي معكم ، ما جلستُ عندكم[٢] .

ولكن وعلى الرّغم من أنّ هذه العلوم هي لخدمة الجنس البشريّ، إلاّ أنّ الجنيد يرى أن تُعامل كالجواهر النّادرة والكنوز الثّمينة ، فلا تُوضع في يد عوامّ الطّالبين ، يقول الجنيد مؤنّبًا الشبليّ على إشاعته هذه العلوم بين العوامّ : نحن حبّرنا هذا العلم تحبيراً ، ثمّ خبّأناه في السّراديب ، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ . فقال الشبليّ : أنا أقول ، وأنا أسمع ، فهل في الدّاريْن غيري[٣] . . نصّ يُظهر لنا صحو الجنيد، وبُعده التربوي التعليميّ وإحساسه بالمسؤوليّة المعرفيّة في مقابل سكر الشبليّ وانشغاله بأحواله .

هذا العلم الذي يوازي نوادر الجواهر ويحقّ له أن يُخبّأ في السّراديب ، لا خوف عليه إن ألقي به على أرصفة الشّوارع . . لكانت طاقته الإلهامية لا تنفتح إلاّ لصاحبها ، كالجوهرة التي تكون في يد غير مالكها حجارة عاديّة وترجع إلى كينونتها الجواهريّة في يد صاحبها . . يقولَ الجنيد : لو كان علمنا هذا مطروحًا على مزبلة ، لم يأخذ كلّ واحَد منه إلاّ حظّه على مقداره[٤] . .

ويُعلن الجنيد عن حظّه العظيم في علم أهل زمانه الإلهاميّ ، فيخبرنا بأنّه ماأخْرجَ الله إلى الأرض علمًا ، وجعل للخلْقِ إليه سبيلاً ، إلاّ وقد جعل له منه حظًّا ونصيبًا[٥] . .

إذن ، باختصار إنّ الجنيد البغدادي ، شيخ طائفة الصوفيّة ، وتاج العارفين ، **هو العارف الكامل للقرن الثّالث الهجري** . . لا يوجد علم إلهاميّ تنزّل إلى تذوّق إنسانيّ

(١) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «علم الصوفية» ، صفحة ١٧٣ ، قول رقم ٤٠٣ .
(٢) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «علم الصوفية» ، صفحة ١٧٦ ، قول رقم ٤١٦ .
(٣) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «علم الصوفية» ، صفحة ١٧٥ قول رقم ٤٠٩ .
(٤) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «علم الصوفية» ، صفحة ١٧٥ ، قول رقم ٤١١ .
(٥) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «علم الصوفية» ، صفحة ١٧٥ ، قول رقم ٤١٠ .

في القرن الثّالث الهجري إلاّ وللجنيد منه طرف وذوق . . وعلى الرّغم من تذوّقه لعلوم قرنه كلّها إلاّ أنّه يتحسّر على الزّمن الفائت ويُعلن عن المسار التناقصيّ الّذي تحتلّه العلوم الإلهاميّة في ثقافة الإنسان ، يقول : علمنا هذا الّذي نتكلّم فيه قد طُوِيَ بساطه منذ عشرين سنة ، وإنّما نتكلّم في حواشيه[1] .

■ بعد أن جلنا مع الجنيد في دفاعه عن الطّريق الصوفيّ وعن العلم الصوفيّ ، نتوقّف عند السّلوك لنرى **ما هي الأصول التي يبني الجنيد عليها طريق الوصول** :

يريد الجنيد أن يصل ، ويصل بمن أراد السّلوك من المريدين ، إلى مقام الفناء الكامل ، إلى التّوحيد الكامل . . لذلك يتّخذ من الرّياضات والمجاهدات وسائل لتصفية النّفس وتغيير أخلاقها الطبيعيّة ، ومن أهمّ الرّياضات لديه : الجوع ، والزّهد في الدّنيا ، وعدم الرّكون إلى عادة مألوفة ومستحسنة ، والسّهر ، والصّمت . . يُمارس السّالك هذه الرّياضات ليُفني نفسه عن الأسباب فيلحق سرّه بالحقّ ، ليموت عن نفسه ويحيي بالحقّ . .

يقول الجنيد مبيّنًا أهميّة الجوع والزّهد وترك العادات المستحسنة في اكتساب المعارف اللدنيّة ، أهميّة لم يدلّ عليها المنطق النّظريّ بقدر ما دلّت عليها تجربة الجنيد نفسه ، هذا طريقه الّذي يبيّنه للنّاس عسى أن يجدوا فيه ما يفيدهم ، يقول : «ما أخذنا التصوّف عن القيل والقال ، لكن من الجوع ، وترك الدّنيا ، وقطع المألوفات والمستحسنات»[2] . . كما يقول : «الصوم نصف الطّريقة»[3] . . ويقول مستغربًا أن يجد شبعان حلاوة العبادة : يقوم أحدهم في صلاته ، فيجعل بينه وبين الله تعالى زنبيل طعام ، ويُريد أن يجد حلاوة المناجاة ، أو يسمع فهم الخطاب»[4] .

تتركّز رياضات الصوفيّ ـ في الغالب ـ على الطّعام والنّوم والكلام . . فالجوع والسّهر والصمت إن لم تتجاوز الحدّ الصحيّ فهي أبواب مفتوحة على التغيير

---

(١) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «علم الصوفية» ، صفحة ١٧٥ ، قول رقم ٤١٣ .
(٢) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «تصوف» ، صفحة ١٤٩ قول رقم ٢٩٣ .
(٣) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «صوم» ، صفحة ١٥١ ، قول رقم ٣٠٤ .
(٤) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «طعام» ، صفحة ١٥٤ ـ ١٥٥ ، قول رقم ٣٢٢ .

الإنساني ، على تعديل السّالك لمستوي وجوده ، على تحقّقه بالحياة الحقيقيّة ، يقول الجنيد : بُني الطّريق على أربع : لا تتكلّم إلاّ عن وجود ، ولا تأكل إلاّ عن فاقة ، ولا تَنَم إلاّ عن غَلَبَة ، ولا تسكت إلاّ عن خشية[1] . .

ويصوّر الجنيد العمليّة التغييريّة التي تتمّ في أعماق الصوفيّ ، عمليّة تبديل صفاته البشريّة وأخلاقه الطبيعيّة ودواعيه النفسيّة ، بالصّفات الرّوحانيّة والوفاء لله على الحقيقة لا الوفاء لنفسه . . يقول في تصوير المجاهدة الصوفيّة : تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعيّة ، وإخماد الصّفات البشريّة ، ومجانبة الدّواعي النفسانيّة ، ومنازلة الصّفات الرّوحانيّة ، والتعلّم بالعلوم الحقيقيّة، واستعمال ما هو أولى على الأبديّة ، والنّصح لجميع الأمّة ، والوفاء لله على الحقيقة ، واتّباع الرّسول في الشّريعة . . أسطر ثلاثة أجملت عمليّتيْ التخلّي والتحلّي الصوفيّتيْن ، هذا الإجمال الّذي سوف نحظي ـ كقرّاء ـ بتفصيله في موسوعة الغزالي في إحياء علوم الدّين .

إنّ الإنسان إذا مارس رياضة الجوع والسّهر والصّمت ، سَهُل عليه مجاهدة نفسه وتغيير أخلاقها ، أمّا الأخلاق التي يتوخّى الجنيد أن تتحلّى بها النَّفس بعد ترويضها ورضّها بالجوع والسّهر والصمت والزّهد فهي ثمانية . . يقول : مبنى التصوّف على أخلاق ثمانية من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسّلام ـ : السّخاء وهو لإبرهيم ، والرِّضا وهو لإسحق ، والصّبر وهو لأيّوب ، والإشارة وهي لزكريّا ، والغربة وهي ليحيي ، ولبس الصّوف وهو لموسي ، والسّياحة وهي لعيسي ، والفقر وهو لمحمّد[2] . . ونلاحظ أنّه نسب الرِّضا لإسحق (عليه السلام) ، لكأنّه يُشير إلى أنّ الذّبيح هو إسحق لا إسماعيل . . ونجدها مناسبة لنقول ، أنّه مرّت فترة زمنيّة تأثّر فيها علماؤنا بالمرويّات المعروفة باسم «الإسرائيليّات» فيما يتعلّق بشخص الذّبيح ، وفي مرحلة نقديّة لاحقة ، تمّ تدقيق النّقول والمرويّات ومقارنتها بالأصول النبويّة والقرائن القرآنيّة ، التي تؤكّد لنا أنّ شخص الذّبيح هو إسماعيل (عليه السلام) . . كما أنّنا نعجب لكون الجنيد يجعل السّياحة واحدة من الأخلاق الثّمانية التي ينبني عليها التصوّف ، وهو لم يُغادر بغداد إلاّ مرّة للحجّ المفروض . . ونستدرك فنقول :

---

(١) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «طريق إلى الله» ، صفحة ١٥٣ ، قول رقم ٣١٣ .

(٢) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «تصوف» ، صفحة ١٤٨ ، قول رقم ٢٨٥ .

نعته يُشير إلى السّياحة الباطنة لا السّياحة البدنيّة الظّاهرة ؛ سياحة السرّ وعروج الرّوح إلى مواطن القرب ، وهي سياحات روحيّة أشار إليها في رسائله إلى أصحابه(1) .

إلاّ أنّ المجاهدة الأكبر تتمثّل في عدم الغفلة عن ذكر الله طرفة عين ولا أقلّ من ذلك . . لأنّ أخلاق الأنبياء الثّمانية هي طريق لا غاية ، فهي مطلوبة لما وراءها لا لذاتها . . إنّها مطلوبة لتفني الإنسان عن كلّ ما سوى الله (عز وجل) . . قال الجنيد للشبليّ : إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله ، فلا تَعُدْ ثانيًا ، فإنّه لايجيء منك شيء في الطّريق[2] . . إذن ، الذّكر والحضور مع المذكور ومراقبة ما يَرِدُ منه هي الوجه الثّاني للرّياضة والمجاهدة ، فالإنسان لا يكفي أن يبدّل صفات نفسه يُفنيها ، بل الفناء هو العمليّة التحضيريّة لاستقبال البقاء بالله . . سُئل الجنيد : كيف الطّريق إلى الله تعالى! فقال : توبة تحلّ الإصرار ، وخوف يُزيل الغرّة ، ورجاء مزعج إلى طريق الخيرات ، ومراقبة الله في خواطر القلوب[3] . .

وهكذا ، يبني الطّريق على رياضات كالجوع ، والسّهر ، والصّمت والكلام بحقّهما . . . وعلى مجاهدات لإخماد كلّ ما هو نفسانيّ . . . وعلى منازلة الصّفات الرّوحانيّة كالسّخاء والرِّضا والصّبر والإشارة ، والغربة ، ولبس الصوف ، والسياحة والفقر . . كلّ ذلك حتى يُثمر ذكر الله ويفني كلّ سوى في ساحة الوجدان . . ولا يبقى إلاّ الله وحده .

ب ـ مراحل الطّريق الصوفيّ .

بعد أن حدّدنا لدى الجنيد مشروعيّة الطّريق ومنطلقاته ، فلننظر في مراحله . . تختلف مراحل الطّريق ومنازله بين معلّم صوفيّ وآخر ، فعلى حين يقول أبو سعيد ابن أبي الخير : ليس الطّريق سوى خطوة واحدة ؛ أن يتقدّم الإنسان خطوة خارج

---

(1) انظر خاصّة . الرّسالة الثّانية عشرة **في هذا الكتاب** ؛ حيث يتكلّم عمّا يُشبه المعراج الرّوحانى ، ويذكر عظيم المواطن وقريب الأماكن . . .

(2) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «طريق إلى الله» ، صفحة ١٥٤ ، قول رقم ٣٢٠ .

(3) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . مادة «علم الصوفية» ، صفحة ١٥٣ ، قول رقم ٣١١ .

نفسه ليصل إلى الله . . نجد فريد الدّين العطّار يجعل بين السّالك وبين مواطن القُرْب والوصول سبعة أودية : وادي الطّلَب ، وادي العشْق ، وادي المعرفة ، وادي الاستغناء ، وادي التّوحيد ، وادي الولَه والدَّهشة ، وادي الفناء . . ولعلّ أكثر المتصوّفين يجعلون الطّريق سبعة مقامات ، تترقّى فيها النَّفس الإنسانيّة من حال إلى حال ، وهذه المراتب السّبع للنّفس هي : النَّفس الأمَّارة ، والنَّفس اللّوامة ، والنَّفس الملهمة ، والنَّفس المطمئنّة ، والنَّفس الرَّاضية ، والنَّفس المرضيّة ، والنَّفس الكاملة[1] .

ولا يرسم لنا الجنيد منازل طريقه ومراحلها ، ولا يُشير إلى عدد خطاها ، وهذا منطقيّ في إطار القرن الثّالث الهجري ، نظراً لتداخل المنطلقات والمراحل في هذه المرحلة التّأسيسيّة للعلوم الصوفيّة . . ولكن ؛ حيث إننا ننظر إلى الجنيد على أنّه أول من أرسى قواعد العلم الصوفيّ ، لذلك يمكننا أن نستنطق نصوصه عدد خُطى طريقه . .

وإنّني أستخدم هنا لفظ «خُطى» التي يستخدمها معظم الصوفيّة ، لأنّ **الوحدة المرحليّة للطّريق الصوفيّ لا تُقاس بالزّمان** أيْ بعدد السنوات التي يُمضيها السّالك في المرحلة الواحدة ، **ولكنّها تُقاس بالحركة** أيْ بانتقاله من حال إلى حال ، كمن يخطو من مستوى وجودي إلى مستوى آخر . . ومن الناس من يظلّ في مرحلة واحدة لاينتقل عنها طوال عمره ، ومنهم من يقطعها في ثوان ؛ فالعبرة بحركة الأعماق ، وسرعة استجابة الإنسان وشفافيّة بُعده الرّوحاني لا في حجم مجاهداته ورياضاته وأطوال أيّامه ولياليه .

وأرجّح أنّ طريق الجنيد يُقاس بأربع خطوات ؛ وقد استنتجت هذا العدد من دراستي للفناء عنده . وذلك أنّ الفناء هو محور العمل الصوفيّ ومعيار التّوحيد عند الجنيد ، فإن استطعنا تحديد مراحل الفناء نكون في الوقت نفسه نحدّد عدد خُطى الطّريق .

نرجع إلى نصوصه ، إلى رسائله لإخوانه وإلى كتبه ، لنستطيع التكهّن بعدد «العتبات» التي يتبدّل فيها وجود السّالك من مستوى إلى مستوى ، فنجد أنّها ـ على

---

(١) انظر : **جلال الدّين الرّومي والتّصوف** . إينادى فيتراى رميروفتش . تر : د . عيسى العاكوب . طهران . وزارة الثّقافة والإرشاد الإسلاميّ . ص ص ١٢٥ ـ ١٣٣ (تجربة الطّريق) .

حسب تقديرنا ـ أربع ؛ فالإنسان يفنى أربع مرّات ، أو ـ على الأصحّ ـ يتذوّق أربع «فناءات» ، يكون في الخطوة الرّابعة منها «تحت العرش» . سُئل الجنيد : أين موطنك ؟ فقال : تحت العرش[1] .

ونلخّص فيما يأتي مراحل الفناء الأربع ؛ ونذكّر أنّها أربع نظريًا ، وأنّها متتالية نظريًا ، وعليه فإنّه من الممكن أن تحدث دفعة واحدة وفي جزء زمن .

الفناء الأوّل .. فناء اللّغات . . لقد تذوّق الجنيد فناء لغته الشخصيّة لتجري العلوم الإلهاميّة على لسانه ، وأكّد في أكثر من مناسبة أنّ «كلامه» من حقّ بدا وإلى الحق يعود[2] . . **وفناء لغة الإنسان مع بقاء نطقه** ، نجده واقعًا في آية الميثاق ، وعندما ينتسب الإنسان إلى حقائق التّوحيد ، ويجد الحَظوة وقرب المحبوب ، يكون الأمر في إبدائه كما لم يزل في ابتدائه . . يقول الجنيد : «وتفانت اللّغات من وصفي ، فلا صفة تُبدي ولا داعية تُحْدي . كان الأمر في إبدائه ، كما لم يزل في ابتدائه . . نطقتُ بغيبتي عن حالي ، ثمّ أبدى عليّ من شاهد قاهر وظاهر شاهر . أفناني بإنشائي كما أنشأني بديًا في حال فنائي ، فلم أؤثر عليه لبراءته من الآثار ، ولم أخبر عنه إذا كان متوليًا للإخبار» .

الفناء الثّاني .. فناء الرّسم . . يقول الجنيد واصفًا حال الفانين عن صفاتهم : «فأمّا أهل الخاصّة والخاصّة المختصّة ، الّذين غرّبوا لغربة أحوالهم ، فإنّ حضورهم فقد ، ومتعتهم بالمشاهدة جهد ، لأنّهم قد محوا عن رسم ومعنى يجدونه بهم ، أو يشهدونه من حيث هم ، بما استولى عليهم فمحاهم ، **وعن صفاتهم أفناهم ، حتى قام بهم وقام عنهم بما لهم**»[3] . كما يقول : «أليس قد محي رسمي بصفته»[4] .

الفناء الثّالث .. فناء الحواسّ والمذاقات . . يستخدم الجنيد عبارة «فقدان الحسّ»[5] ، وإن كان في الواقع يُدلّل على فقدان الحسّ المعتاد المشترك في خبرة

---

(١) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** ، مادة «عرش» ، صفحة ١٦٣ ، قول رقم ٣٥١ .

(٢) انظر : أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** ، مادة «علم الصوفية» ، صفحة ١٧٦ قول رقم ٤١٩ .

(٣) انظر : كتب الجنيد **في هذا الكتاب** . الكتاب الخامس . كتاب الفناء .

(٤) انظر : كتب الجنيد **في هذا الكتاب** . الكتاب الخامس . كتاب الفناء .

(٥) انظر : كتب الجنيد **في هذا الكتاب** . الكتاب الخامس . كتاب الفناء .

عامّة البشر ، لوجود مستوى حسيّ مختلف . . يقول : «ولا أجد نعيمًا من جنس النّعيم ، ولا [أجد] التّعذيب من جنس التّعذيب ، فطارت المذاقات عنّي . . . »[(١)]

. . وهذا الفناء مهم جدًا في الحياة الروحيّة ويتخطّى ما نسمّيه «بمقام الرّضا» ، وهو ما نلمسه من مقاربتنا ـ سواء عبر النّصوص أم خلال لقاءات شخصيّة ـ لشخصيّات صوفيّة كبرى ، إذ نجد أنّهم «غارقون» فيما تعارفنا في تجاربنا ولغاتنا على أنّه «مصائب» ، وفي الوقت نفسه نجد أنّهم سعداء ، لكأنّ مذاقاتهم اختلفت عن مذاقاتنا ، فلا يجدون التّعذيب من جنس التّعذيب . . لقد أصبحت مذاقاتهم روحانيّة ، لكأنّ النّعيم والجحيم ليسا من جنس نعيمنا وجحيمنا! .

والجنيد ليس غريبًا عن تفعيل هذا الفناء في إطار حفاظه على الإثنينيّة في ذروة فناء الموحّد في التّوحيد ، إذ يظلّ الموّحد عبارة عن ذات تتذوّق البلاء بذوق ترقّى إلى مستوى أعلى من المذاق المعهود . . ولنا عودة إلى موضوع «الفناء والبلاء» .

الفناء الرّابع .. فناء الأنا.. لعلّ فناء الأنا هي القفزة الأخيرة التي يقوم بها السّالك وتدخله إلى «الموطن العجيب» و «المنزل القريب»[(٢)] . . ففي مرحلة أخيرة ، لايبقى إلاّ أن يفنى الإنسان عن «أناه» ، فلا يكون موجوداً لنفسه ، ولا تكون نفسه موجودة له ، بل يكون موجودًا بوجود الله له . . وهنا لا تنمحي «الأنانيّة» التي تقابل «الإيثار» بل تنمحي «الأنا» ليبقي الإنسان على صيغة «ذات» ، أيْ روح صرف ووجود صرف . يقول الجنيد : «فأنا أضرّ الأشياء عليّ ، الويل لي منّي ، أكادني وعنه بي خدعني ، كان حضوري سبب فقدي» [(٣)] . . كما يقول : «اعلم أنّك محجوب عنك بك وأنّك لا تصل إليه بك»[(٤)] . . الأنا هي الذّنب الأكبر الّذي لا يُقاس به ذنب[(٥)] ، لذلك يسعى لأن يُفني النّفس ، ويفني عن حضورها له . ولا يقف الأمر عند هذا الفناء ، بل يشهد الله هذا الفاني «الوجود في وجوده» . .

---

(١) انظر : كتب الجنيد . الكتاب الخامس . كتاب الفناء .

(٢) انظر : كتب الجنيد . الكتاب الخامس . كتاب الفناء [موطنهم العجيب ومنزلهم القريب] .

(٣) انظر : كتب الجنيد . الكتاب الخامس . كتاب الفناء .

(٤) انظر : كتب الجنيد . المقطوعة الثّامنة . «كنت بلا أنت» .

(٥) انظر : شعر الجنيد . قافية الباء .

يقول الجنيد : «فامتحت الآثار وانقطعت الأوطار حتى توالت النّسَب ، وتعالت الرّتب ، بفقدان الحسّ ، وفناء النّفس ، ثمّ أحضرهم الفناء في فنائهم ، **وأشهدهم الوجود في وجودهم**»(١) .

وبهذا الشّهود يكتسب السّالك مستوى وجوديًا جديدًا ، يشهد وجوده في حال فنائه . . وفي الوقت نفسه ، يكون هذا الشّهود كالسّتر الخفيّ والحجاب اللّطيف الّذي يدرك به غصّة الفقد ، ويتلوّن عليه البلاء في موطنه العجيب ومنزله القريب»(٢) .

٣ـ نهاية الطّريق : ماهيّة الوصول وهويّة الواصل:

يصل السّالك في نهاية الطّريق الصوفيّ إلى صيغته الوجوديّة التي كان عليها في البداية ، النّهاية عين البداية . يقول الجنيد : «النّهاية هي الرّجوع إلى البداية»(٣) . فالسّالك عندما يصل إلى آخر «مقام» ، ويصبح فانيًا في التّوحيد ، هو في الحقيقة يعود بكونه لما كان عليه قبل أن يكون في هذا العالم الأرضيّ ، أيْ يعود بوجوده إلى صيغته الأولى التي كان عليها في آية الميثاق . ويكرّر الجنيد كثيراً عبارة «يكون كما كان قبل أن يكون» ، أيْ يكون الآن ، كما كان في آية الميثاق ، قبل أن يكون في هذا العالم .

والواصل هنا يحظى بأسماء كثيرة ، كلّ اسم استحقّه من حيثيّة مختلفة : فالواصل هو **الموحّد** ، وهو **الفاني** ، وهو **صاحب الوجود الأتمّ الكامل** ، أي الإنسان الكامل ، وهو **الوليّ** ، وهو **المحبوب** ، وهو **الصوفيّ** . . وسوف نتوقّف باختصار عند هذه الأسماء كلّها لإنسان الجنيد الكامل حتى تتضّح هويّته في تفاصيلها :

أ ـ الواصل هو الصوفيّ .. عندما يُسأل الجنيد عن التصوّف وعن الصوفيّ ، يُجيب بعبارات نستدلّ منها أنّه يُريد الإشارة إلى هذا المقام الأخير ، إلى مقام

---

(١) انظر : كتب الجنيد . الكتاب الخامس . كتاب الفناء .

(٢) انظر : كتب الجنيد . الكتاب الخامس . كتاب الفناء .

(٣) انظر : أقوال الجنيد . مادة «وصول» ، صفحة ٢١٦ ، قول رقم ٥٩٧ .

الوصول ، إلى الوجود في آية الميثاق . . فالصوفيّ هو الّذي وصل ليكون كما كان قبل أن يكون ، والتصوّف هو أن نعمل على أن نكون كما كنّا قبل أن نكون .

يقول : «التصوّف هو أن يُميتك الحقّ عنك ويُميتك به»(١) ، أيْ أن يفنى الإنسان عن نفسه وأناه ليبقي ببقاء الله له ، وهي صيغة آية الميثاق . . ويقول أيضًا : «التصوّف هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة»(٢) ، أيْ أن تكون موجودًا دون أن تكون طرفًا في علاقة ، لأنّ العلاقة تفترض إرادتيْن وطرفيْن ، والإنسان في آية الميثاق يُطلق عليه لفظ «موجود» وهو «كائن» مع الله ولكن هذه الكينونة لا تفترض وجود علاقة ، بل يبقى الله سبحانه ، رغم كون الإنسان ، كما كان واحدًا لاشريك له . . ويقول أيضًا : «التصوّف هو لحوق السرّ بالحقّ ، ولا يُنال ذلك إلاّ بفناء النَّفس عن الأسباب ، لقوّة الرّوح والقيام مع الحقّ» ، إنها عبارات أخرى للدّلالة على الوجود الإنسانيّ في آية الميثاق ، وجود بذهاب الأنا .

ب ـ **الواصل هو الموحّد** . . يعرّف الجنيد التّوحيد والموحّد بعبارات تدلّ على الواصل إلى كينونة الميثاق . يقول : «التّوحيد هو إفراد القدَم عن الحدث ، والخروج عن الأوطان ، وقطع المحابّ ، وترك ما عُلم وجُهل ، **وأَن يكون الحقّ سبحانه مكان الجميع**»(٣) . . كما يقول : «والوجه الثّانَي من تَوحيد الخواصّ ، فشَبَحٌ قائمٌ بين يديه ليس بينهما ثالث ، تجري عليه تصاريف تدبيره ، في مجاري أحكام قدرته ، في لُجج بحار توحيده ، بالفناء عن نفسه ، وعن دعوة الحقّ له ، وعن استجابته له ، بحقائق وجود وحدانيّته في حقيقة قربه ، بذهاب حسّه وحركاته ، لقيام الحقّ له فيما أراد منه ، والعلم في ذلك أنه **رجع آخر العبد إلى أوّله ، أن يكون كما كان، إذ كان قبل أن يكون**، والدّليل في ذلك قول الله (عز وجل) [الأعراف ١٧٢] : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ** ﴾ ، فمن كان قبل أن يكون ، وهل أجابت إلا الأرواح الطّاهرة العذبة المقدّسة ، بإقامة القدرة النّافذة والمشيئة التّامة ، الآن كان إذ كان قبل أن يكون ، وهذا **غاية**

(١) انظر : أقوال الجنيد . **في هذا الكتاب** ، مادة «تصوف» ، صفحة ١٤٨ ، قول رقم ٢٨٦ .

(٢) انظر : أقوال الجنيد . **في هذا الكتاب** ، مادة «تصوف» ، صفحة ١٤٨ ، قول رقم ٢٨٧ .

(٣) انظر : أقوال الجنيد . **في هذا الكتاب** ، مادة «توحيد» ، صفحة ٢١٠ ، قول رقم ٥٦٥ .

حقيقة توحيد الموحّد للواحد بذهاب هو»[1] . . فهذا نصّ صريح ، في أنّ الموحّد هو العبد الّذي يكون شبحًا بين يدي الله سبحانه ، هو الّذي فنيَ عن «أناه» بذهاب هو . . وهذه صيغة الوجود في آية الميثاق .

وهذا التّوحيد الخاصّ يظلّ عند الجنيد في إطار الإثنينيّة ، فالموحّد تذهب أناه ويبقى موجودًا ، شبحًا بين يدي الله ، يسمع الخطاب ويردّ الجواب ، يقوم الحقّ له فيما أراده منه . وتجدر الإشارة هنا ، إلى أنّ الفكر الصوفيّ هو فكر يقبل الآخر ، ويُفسح له مجالاً في الوجود داخل الذّات لا خارجها . . لذلك ، وعلى الرّغم من قول الجنيد بالتّوحيد الخاصّ الّذي انفرد به خواصّ الصوفيّة إلاّ أنّه يترك المجال متّسعًا لقبول ثلاثة أنماط أخرى من التّوحيد ، يتدرّج طموحه عبرها ومعها إلى التّوحيد الخاصّ[2] .

٣ ـ **الواصل هو الفاني** . . لقد سبق الكلام على الفناء ، وأنّه معيار الوصول ، فلن تطأ روح إنسان أرض الوصول إلاّ بالخروج عن رؤية نفسها . . ويختلف الفناء الصوفيّ عن الفناء الهندوسيّ ، بأنّه منهج لا غاية . فالصوفيّ ينتهج الفناء للبقاء يقول الجنيد : «فيوصلك بفنائك إلى بقائك»[3] ، أي لا يذوب في الألوهيّة ، لأنّ الوجودَيْن من طبيعتَيْن متغايرتَيْن ، بل يظلّ موجودًا في وجوده الجزئيّ المباين على صيغة «ذات» . لذلك يطرح الجنيد مسألة : **الفناء والبلاء** . وهي أن يبقى الإنسان ذاتًا تتذوّق بلاء ليس من جنس البلاء لشهودها الوجود في وجودها . يقول الجنيد : «فلو رأيتهم بعين إشهاده إيّاهم ، وكون فيما فيه أحلّهم ، لرأيْتَ رهائن أشباح أسرى . . قد رهقوا بالمحو في ملكوت عزّه ، وأرهقوا بفرط ابتلاء الحقّ لهم بفقده . . . قد جمع أنفاسهم ، وحبس أرواحهم في أرواحهم ، فهم به عليه يتردّدون ، ومنه به إليه يتوحّدون . . . »[4] . . ويقول أيضًا في وصف بلاء هذه الصفوة : «وابتلاها فما نكلت . . . سمحت له بهلاكها فيما أبدى عليها من

---

(١) انظر : كتب الجنيد . المقطوعة الثّالثة .

(٢) انظر : كتب الجنيد . المقطوعة الثّالثة بكاملها حيث يقول الجنيد على أربع مراتب للتّوحيد .

(٣) انظر : كتب الجنيد . المقطوعة الثّامنة .

(٤) انظر : كتب الجنيد . الكتاب السّادس . «كلام في الألوهيّة» .

ابتلائها . ولم تعزم على الاهتمام بأنفسها استغناء بحبّه وتعلّقًا به في محلّ قربه . . . حتى أمتعها بلاؤها ، وآنسها به بقاؤها . . . هم الأبطال فيما جرى عليهم لما أسرّ إليهم»[1] .

٤ ـ **الواصل هو صاحب الوجود الأتمّ الكامل** . . يُشير الجنيد إلى تلك النّخبة التي سارعت بالإجابة في آية الميثاق فضلاً منه ومواهب ، فيقول : «أخبر جلّ ذكْرُه أنّه خاطبهم وهم **غير موجودين إلاّ بوجوده لهم** ، إذ كانوا واجدين للحقّ من غير وجودهم لأنفسهم ، فكان الحقّ بالحقّ في ذلك موجوداً بالمعنى الّذي لا يعلمه غيره ، ولا يجده سواه . . . أولئك هم الموجودون الفانون في حال فنائهم الباقون في بقائهم . . . أحاطتْ الأمور بهم حين أجري عليهم مراده من حيث يشاء ، بصفته المتعالية التي لا يُشَارك فيها . **فكان ذلك الوجود أتمّ الوجود**»[2] . . إنّ أكمل وجود للإنسان هو صيغة وجوده في آية الميثاق . وقد سبق الكلام على رؤية الجنيد للوجود الإنساني . فليراجع .

٥ ـ **الواصل هو الوليّ** . . لم تكن فكرة «الولاية الصوفيّة» متداولة في الوسط الثقافي في القرن الثّالث الهجري ، لذلك لا نكاد نجد سائلاً يسأل الجنيد عن معنى الولاية وماهيّة الوليّ[3] . . ولكن غيابها في الثقافة العامّة لا يستتبع غيابها لدى مؤسّس للفكر الصوفيّ كالجنيد . . [ولا نستطيع أن نجزم بأنّ الجنيد اطّلع على نتاج الحكيم الترّمذي الّذي يُعدّ مؤسّسًا لعلم الولاية الصوفيّة] .

يُشير الجنيد إلى الوليّ ، فنعرف أنّها اختصاص إلهيّ وانتخاب ، لم يستحقّها الإنسان بجهد مخصوص ، وإن كان الجهد الإنسانيّ محترمًا لدى الجنيد وفاتحة لكلّ خير ، بل قد تكون الولاية هي سبب العمل ، لا العمل سبب الولاية . . كما نعرف من نصوصه أنّ الوليّ هو ذاك الإنسان الكائن في آية الميثاق . يقول : «إنّ لله ـ عز وجل ـ صفوة من عباده وخلصاء من خلقه ، **انتخبهم للولاية** ، واستخلصهم للكرامة ، وأفردهم به له . جعل أجسادهم دنيويّة ، وأرواحهم نورانيّة ، وأوهامهم روحانيّة ، وأفهامهم عرشيّة ، وعقولهم حجبيّة . جعل أوطان أرواحهم غيبيّة في

---

(١) انظر : كتب الجنيد . كتاب الفناء .

(٢) انظر : كتب الجنيد . الكتاب الأوّل . كتاب الميثاق .

(٣) انظر : النصوص الخاصّة بالولاية **في هذا الكتاب** .

مغيب الغيب . جعل لهم تسرّحًا في غوامض غيوب الملكوت . ليس لهم مأوى إلاّ إليه ، ولا مستقرّ إلاّ عنده . أولئك الّذين أوجدهم لديه في كون الأزل عنده ومراكب الأحديّة لديه ، **حين دعاهم فأجابوا سراعًا** ، كرمًا منه عليهم وتفضّلاً . . . »[1] .

٦ ـ **الواصل هو المحبوب** . . جرى مألوف النصّ الصوفيّ على أنّ المحبّ هو الإنسان والمحبوب هو الله المتعال ، لذلك نلتقط الأنفاس عند قراءة مطلق نصّ يكشف عن حب الله للإنسان ، ليس ذاك الحبّ العام الّذي كان السبب في خلق هذا الجنس بكامله، ولكن حبّ خاصّ لإنسان مخصوص . . ونُربَك حين يصبح الله سبحانه هو المحبّ والإنسان هو المحبوب . . ونجد هذه الإشارات الفريدة في نصوص للنّفري ولابن عربي . . فالنّفري يتكلّم عن «مقالة غريبة في الحبّ»[2] ، وابن عربي ينصح المحبّ بأن لا يشرب من كأس شهود حبّ الله سبحانه له[3] . .

وعلى الرّغم من تعثّر النصّ الصوفيّ وتحرّجه من البوح بالحبّ الإلهيّ الخاصّ لإنسان ، إلاّ أنّه يستند إلى قوله تعالى : ﴿يُحبُّهم ويُحبُّونَه﴾، وفي هذه الآية الكريمة قدّم سبحانه حبّه إيّاهم على حبّهم إيّاه ؛ وهذا ما أشار إليه أبو يزيد البسطامي ، حين أدرك أنّه أخطأ في بداياته، إذ ظنّ أنّه أحبّ الله ابتداءً وعندما وصل علم أنّ حبّ الله له سبق حبّه إيّاه . . وإضافة إلى هذه الآية الكريمة ، يُجمع المسلمون على أنّ رسولهم المصطفي ﷺ هو «حبيب الله» .

وتأسيسًا على هذا الحبّ الإلهيّ الخاصّ لأشخاص مخصوصين ، يفرّق الصوفيّة بين الجنّة وبين القرب الإلهيّ . . فالجنّة يبيحها الله سبحانه للعامّة من النّاس وللخاصّة ، عدلاً منه وفضلاً ، ويمتّعهم بها بأعمالهم وبرحمته ، ولكنّه سبحانه لا يُدخل في مواطن قُربه ولا يُصافي من عباده إلاّ أهل محبّته . فالمحبوبون هم المقرّبون ، وهذا الحبّ وهذا التّقريب هما اختصاص إلهيّ «في كون الأزل عنده»[4]، وهبهما الحقّ تعالى لأهل خاصّته حين أوجدهم ، وبهذا الحبّ انتسبوا إلى حقائق التّوحيد ، فهم المحبوبون وهم المقرّبون وهم الموحّدون . . يقول الجنيد :

---

(١) انظر : كتب الجنيد . الكتاب الأوّل . كتاب الميثاق .

(٢) انظر : النّفرى . مقالة غريبة في الحبّ .

(٣) انظر : سعاد الحكيم ، مقالة بعنوان : مذاقات الحبّ ، مجلة الفكر العربى المعاصر، بيروت ١٩٩٩ .

(٤) انظر : كتب الجنيد ، كتاب الميثاق .

«الحمد لله الّذي قطع العلائق عن المنقطعين إليه ، ووهب الحقائق للمتّصلين به المعتمدين عليه ، **حين أوجدهم ووهب لهم حبّه** ، فأثبت العارفين في حزبه ، وجعلهم درجات في مواهبه ، وأراهم قوة أبداها عنه ، ووهبهم منّة من فضله ، فلم تعترض عليهم الخطرات بملكها ، ولم تلتق بهم الصّفات المسبّبة للنّقائص في نسبتها ، لانتسابهم إلى حقائق التّوحيد ، بنَفاذ التّجريد فيما كانت به الدّعوة ، ووجدت به أسباب الحظوة ، من بوادي الغيوب ، وقرب المحبوب»[١] .

ماذا بعد الوصول ؟

إنّ الواصل ، بحسب وصف الجنيد للوصول ، يعيش حالة وجوديّة تعلو على التّعبير ، وحتى على المعقول العامّ للنّاس ، لذلك نجد «معظم الواصلين» يؤكّدون أنّ النّهاية هي الحيرة . . فالواصل يعجز عن وصف «البقاء في الفناء» ، عن وصف «ذهاب الأنا مع شهود الوجود» . . لذلك ينقل الجنيد عبارة بعض إخوانه من عقلاء أهل خراسان ، ينقل ما يعبّر عن تجربته فيقول : «إنّ عقول العقلاء إذا تناهتْ ، تناهتْ إلى الحيرة»[٢] .

ومع اعترافنا بقصور تصوّراتنا الذهنيّة عن الإحاطة بنوع الوجود الّذي يعيشه الواصل ، وجود روحاني صرف يقطع مع إحساسه بنفسه ووجودها له . . «شبحٌ قائمٌ بين يدي الله سبحانه» وعيٌ مقبل كليًا على الله لا مساحة فيه ليعي ذاته وإنّما يشهدها . . إلاّ أنّ اعترافنا هذا لا يمنعنا من أن نخلص إلى نتيجتيْن :

النتيجة الأولى : إنّ الوصول الصوفيّ لا يعني القرار وعدم الحركة ، لأنّه وصول معنويّ إلى مقام يعتبر هو الأقرب ولا أقرب منه ، لا بعد بَعده . . ولكنّ الواصل لا يتوقّف عن الترقّي ، بل يظلّ يترقّى مع الأنفاس وهو في مقامه هذا . . النّهاية هي نهاية مراحل الطّريق هي نهاية المقامات ، ولا نهاية لترقّي الواصل .

---

(١) انظر : كتب الجنيد ، كتاب الفناء .

(٢) انظر : أقوال الجنيد . مادة «حيرة» ، صفحة ١١٠ ، قول رقم ١٠٨ .

النتيجة الثّانية : نلاحظ أنّ الجنيد يُدافع عن الصحو ، وعن دور الواصل في حياة الجماعة . . فالله سبحانه حين يختصّ واحداً من عباده بالتقريب والمواهب ، فهذا الاختصاص يكون تامّاً إن عاد نفعه على النّاس . لذلك ينتقد الجنيد الشبليّ بقوله «لو أفاق لجاء منه إمام يُنتفع به» . . أيْ أنّ الجنيد يشير إلى **عودة الواصل** . فكما أنّ السّالك يقطع مراحل الفناء ليعود إلى صيغته الوجوديّة التي كان عليها في آية الميثاق ، إلاّ أنّه بعد الوصول يرجع إلى النّاس لينتفعوا بتجربته الرّوحانيّة وهذا الرّجوع لا يعني مفارقة الوصول ، لأنّ الوصول معنويّ لا مكانيّ ، كما أنّه لا يعني العودة إلى الوجود النّفساني . بل يظلّ الواصل في صفائه الرّوحاني وفنائه التامّ الكامل ، وفي الوقت نفسه يُمارس تعليمه عن خبرة وذوق ، ويكون موجوداً للنّاس من وجود الله له ، لا من وجوده لنفسه ووجود النّاس له .

III ـ مكانة الجنيـــد ..
أساتذته ، صحبــه ، تلامذته ، الأجيال اللاحقة .

عندما ننظر إلى التصوّرات والمفاهيم التي نتجت عن المسار الوجدانيّ للجنيد ، أو التي تأسس عليها سلوكه الصوفي ، والتي سبق وأوردناها في القسم الثاني من هذه المقدمة ، قد ننكر عليه توجّهاته الإنسانيّة ، وقد نصفها ـ في لغتنا ـ بالسلبيّة . فقد نجد أنّ أفكار الجنيد ورؤيته للوجود وللوصول الإنسانيّ تؤسّس لبناء إنسان مُسْتَلَب بوجود وراء الوجود ، إنسان يعيش في هذا العالم وليس منه ، إنسان فاقد أو مستقيل من الفاعليّة الاجتماعيّة .

ولكن ، لو أزحنا هذه الأحكام عن حدقة رؤيتنا الفكريّة ، وانتقلنا إلى درجة ثانية من تحليل نصوص الصوفيّة وأفكارهم ومستوى ثان من الوعي الإنسانيّ ، لأمكننا أن نستشفّ **المنطق العقليّ الذي تنبني عليه المنهجيّةً الصوفيّة** في إعادة بناء الإنسان لذاته . وبالتالي ، لأمكننا أن ندرك العقلانيّة الصوفيّة وأسُسها في علم الإنسان ، ورفضها أن ترسم معالم «الذّات الإنسانيّة الجديدة» على صحائف «الذّات القديمة» ، بل لا تجد بُدّاً من «مَحْو» كافّة المعالم والرّسوم وهدمها استعداداً لإعادة البناء ، و«للكتابة الجديدة» ؛ أي إنّ **«الهدم» هو ـ منهجيًا ـ أوّل خطوة من مراحل «إعادة البناء» ، بل هو خطوة لا بدّ منها** .

يعطينا الصوفيّ الأصيل انطباعًا بأنّه عندما يتجرّد للبدء في مساره الداخليّ ، يكون «كالمغامر» الذي يُضحّي بكلّ شيء من أجل الحصول على كلّ شيء . . يُضحّي بنفسه وبملكيّاته كلّها عسى أن يصبح «ذاتًا تخصّ الله» ، وإن ـ حظي بهذا الحظّ العظيم ـ وصار «يخصّ الله» ، نَعم بالسّعادة الكاملة والأبديّة ؛ لأنّه عندها تنطبق عليه الشّروط الوجوديّة التي تنطَبق على كلّ شيء «عند الله» ، يصبح أكثر حضوراً في زمنه وفي الزّمان وأكثر فعاليّة ، إنسانيًا وكونيًا .

ويدلّ على ذلك أنّنا نجد نصوص الواصلين تخبرنا عن إلهاماتهم وعلومهم اللدنيّة ، كما تُخبرنا عن «كراماتهم» ، أيْ عن فاعليّاتهم الروحانيّة ، لا في العالم الغيبيّ المشهود لهم فقط ، وإنّما في العالم الملموس لنا جميعًا ، أيْ العالم الفيزيائيّ .

ودليلنا ـ المادي لا المنطقيّ ـ في دفع تهمة السلبيّة عن الصوفيّ الأصيل لا الصوفيّ المقلّد ، هو ما نشهد من مكانة لعَلَم من أعلام الصوفيّة بين رجال عصره . . فالدَّوْر الذي لعبه الجنيد مثلاً في الحَياة الثقافيّة في بغداد يؤكّد على إيجابيّة الصوفي وحضوره ومشاركته أهل عصره مواجهة التحديات التاريخانيّة .

لقد ارتفع «صوت الجنيد» عاليًا وفي كلّ اتجاه في بغداد القرن الثّالث الهجريّ ، وكان أيضًا صاحب هامة صوفيّة عالية مدّت ظلّها على تصوّف القرون اللاحقة وصولاً إلى اليوم . لذلك نجعل هذا القسم الثالث على خمس فقرات : في **الفقرة الأولى** ، نتكلّم على الجنيد وأساتذته . وفي **الفقرة الثانية** : نتتبّع الجنيد بين أقرانه . وفي **الفقرة الثالثة** : نحاول أن نتقصّى هويّات تلامذته والذين يحضرون مجالسه . وفي **الفقرة الرابعة** : نتلمّس ظلّ الجنيد لنرى أثره بعد موته في التصوّف اللاحق . وفي **الفقرة الخامسة** : نكشف عن وجه للجنيد هو الناقد الصوفيّ .

١ ـ الجنيد وجيل الأساتذة :

لقد جعل الصوفيّ الحريّة النفسيّة بداية لكلّ خطوة في مساره الوجدانيّ ، فلا رياضة ولا مجاهدة ولا سلوك قبل التحقّق بالحريّة النفسيّة ، المتمثّلة في الانتصار على الدّنيا ، وفي تجاوز رأي الآخرين ، وفي محاربة أهواء النفس . . هذه الحريّة النفسيّة الضروريّة لكلّ مسار وجدانيّ ، تُقابلها حريّة فكريّة ضروريّة ليصبح الصوفيّ مؤهّلاً للعلم اللّدنيّ . . إذن ، عندما نقول إنّ سريّ السقطي أو المحاسبي هما من أساتذة الجنيد ، فهذا يعني أنّهما كانا سببين ساعداه على إدراك ذاته ووجّهاه للتحقّق بهويّته .

فالعلم الصوفيّ ، يختلف عن العلم الكسبيّ ، بأنّه ليس معلومة تنتقل من جيل إلى جيل ، بقدر ما هي معرفة تنقدح كالنّار من احتكاك حجريْن ، نطلق عليهما تجاوزًا : المعلّم والمتعلّم . لذلك قلّما نجد عند أساتذة الصوفيّة برامج تعليميّة معدّة مسبقًا للجميع ، بل يُنتج كلّ برنامج بين الأستاذ وتلميذه . وبالإضافة إلى هذا البرنامج الشخصيّ تبرز أهميّة التعلّم «بالصحبة» ، ودور «السؤال» في تحريك العمليّة المعرفيّة .

أمّا أهمّ الأشخاص الذين تعلم الجنيد من صحبتهم ، فهم :

١ ـ **أبو ثور الكلبيّ** ، إبراهيم بن خالد بن اليمان ، أحد الأئمة المجتهدين ، صاحب الإمام الشّافعي . وقد سبق الكلام على تتلمذ الجنيد على يديْه في الفقه الشّافعي ، وأنّه كان يفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة .

ونلاحظ في علاقة الجنيد بأستاذه الفقيه أمرين :

الأوّل : إنّ الجنيد لم يرو عن هذا الأستاذ رأيًا أو حُكْمًا أو حتى عبارة ، ولعلّه يكون قد روي شيئًا في مجَالس تدريسه ، ولكن ليس بأيدينا أيّ نصّ يُثبت مطلق رواية . ولعلّ السبب في عدم رواية الجنيد لنصّ يخصّ أبا ثور ، أنّ هذا الأخير هو ناقل لعلوم الشافعيّ لا صاحب لها . لذلك نجد الجنيد يذكر الشافعيّ صاحب العلم ، ويقول عنه : «كان الشافعيّ ـ رحمه الله ـ من المريدين الناطقين بلسان الحقّ في الدنيا» ، وينقل وعظًا له موجّهًا إلى أخ : «يا أخي إنّ الدّنيا مزلّة ودار مذلّة ، عمرانها إلى الخرائب صائر ، وساكنها إلى القبور زائر ، شملها على الفرقة موقوف ، وغناها إلى الفقر مصروف»[1] .

الثّاني : إن الجنيد لم يذكر هو شخصيًا علاقته بأبي ثور ، ودراسته على يديْه ، بل ذكرت المراجع هذه العلاقة .

وقد توفّي أبو ثور عام ٢٤٠ هـ والجنيد لا يزال في عشرينيات العمر .

٢ ـ **الحارث المحاسبيّ** . . الحارث بن أسد المحاسبي ، وكنيته أبو عبد الله . من علماء مشايخ الصوفيّة بعلوم الظّاهر ، وعلوم المعاملات والإشارات . وهو من أهل البصرة وأستاذ أكثر البغداديّين . عندما توفّي والده ترك له سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئًا ، وذلك لأنّ أباه كان يقول بالقدر ، فرأى من الورع أن لا يأخذ من ميراثه شيئًا ، وقال «صحّت الرواية عن النبيّ ﷺ أنّه قال : «لايتوارث أهل ملّتيْن» . . ويقول عنه أبو عليّ الدقّاق : كان الحارث المحاسبي إذا مدّ يده إلى طعام فيه شُبهة تحرّك على إصبعه عرق : فكان يمتنع عنه .

---

(١) الغزالي ، **إحياء علوم الدّين** ، ج ٣ ص ٢١٠ .

ومن أقواله التي تدلّ على عمق تجربته الصوفيّة : «لكلّ شيء جوهر ، [وجوهر الإنسان العقل] ، وجوهر العقل الصبر» . . «الظّالم نادم وإن مَدَحَه الناس ، والمظلوم سالم وإن ذمّه الناس ، والقانع غنيّ وإن جاع ، والحريص فقير وإن مَلَك» . . «إن أنتَ لم تسمع نداء الله ، فكيف تجيب داعي الله؟» . . أمّا علاقة الحارث بالجنيد فقد سبق الكلام عليها عند الكلام على حياة الجنيد . وتوفي الحارث عام ٢٤٣ هـ ؛ والجنيد لا يزال في العشرينيات[1] .

٣ـ **سريّ السقطي** [ت٢٥١هـ] .. سريّ بن المُغَلَّس السَّقْطي ، لُقّب بالسَّقْطيّ لأنّه كان يبيع سَقْط الثياب أي الثياب القديمة ، كنيته أبو حَسن . صحب معروفًا الكرخيّ . وهو أوّل من تكلّم ببغداد في لسان التوحيد ، وحقائق الأحوال . وهو إمام البغداديّين في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، وإليه ينتمي أكثر الطبقة الثانية من مشايخ الصوفيّة .

والملاحظ أنّه كان كثير العبادة في هدأة الليل وسكونه ، لأنّه يرى أنّها أكثر فعاليّة ، يقول : «رأيتُ الفوائد ترِدُ في ظُلَم الليل» .

أمّا الحادثة الشهيرة التي كتبت اسمه في سجلّ التوّابين ، فهو يحكي عن نفسه بأنّه منذ ثلاثين سنة وهو في الاستغفار من قوله «الحمدلله» مرّة . أي قال مرّة «الحمدُ لله» ، وظلّ يستغفر الله ثلاثين سنة لأنه اعتبر قوله هذا ذنبًا . وتفسير ذلك أنّه شبّ حريق ببغداد في السوق ، فركض سريّ مع الرّاكضين للاطمئنان على دكّانه ، فلقيه رجل وقال له : أبْشرْ يا سريّ ، نجا حانوتك . فقال : الحمد لله . فمنذ ثلاثين سنة هو نادم على ما قالَ ، حيث أراد لنفسه خيراً ممّا حصل للمسلمين[2] !

ويكثر سريّ في تعاليمه من استخدام المؤثّرات اللفظيّة كالسجع مثلاً ، والمؤثّرات المعنويّة كالرّمز والصورة الشعريّة . . يقول مثلاً مستخدمًا السجع : «أحسن الأشياء خمسة : البكاء على الذّنوب ، وإصلاح العيوب ، وطاعة علاّم الغيوب ، وجلاء الرّين عن القلوب ، وألاّ تكون لكلّ ما تهوى ركوب» . . كما يقول : « لا تَصْرم أخاك على ارتياب ، ولا تدَعْهُ دون الاستعتاب» . أمّا في الرّمز والصورة الشعريّة

---

(١) انظر : القشيرى ، **الرّسالة** ج ١ ص ص ٧٢ـ٧٣ ؛ السلمى ، **طبقات الصوفيّة** ص ص ٥٦ـ٦٠ .
(٢) انظر : القشيرى ، **الرسالة** ص ٦٦ ؛ تاريخ بغداد ٩/ ١٨٨ ؛ **سير أعلام النبلاء** ١٢/ ١٨٦ .

فيستخدم رمز الجبل والشجرة والريشة ليصوّر بها أحوال القلوب ، يقول : «القلوب ثلاثة : قلب مثل الجبل لا يُزيله شيء ، وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والرّيح تُميلها ، وقلب كالريشة يميل مع الرّيح يمينًا وشمالاً» .

أمّا أسلوبه التعليميّ ، فقد أشار الجنيد أنّه يعتمد على «السؤال» ، يقول الجنيد : كان السريّ إذا أراد أن يُفيدني سألني» . .

كان لسريّ أثر كبير في حياة الجنيد، سبق لنا الكلام عليه عند الكلام على حياة الجنيد، فليراجع[1] .

٤ ـ **أبو جعفر القصّاب البغدادي [ت٢٧٥هـ]** .. وهو محمّد بن عليّ القصّاب الصوفيّ ، وكان أستاذًا للجنيد والنّوري وسمنون . ويذكر الجنيد تتلمذه للقصّاب في نصّين، لعلّ الأوّل منهما ، قاله الجنيد في حياة القصّاب، والثّاني بعد وفاته ، والنصّ الأوّل يقول فيه الجنيد : «النّاس ينسبونني إلى سريّ [السقطي] ، وإنّما أستاذي هذا [يعني القصّاب] [2] » .

ويقول في النصّ الثاني : «الناس ينسبونني إلى سريّ ، وكان أستاذي محمّد القصّاب»[3] .

هذان النصّان ، إن ثبت صحّة نسبتهما للجنيد ، يدفعاننا إلى التأمّل :

١ـ عندما توفي سريّ كان الجنيد في بدايات الثلاثين من عمره ، وعندما توفي القصاب كان الجنيد في حوالي الخامسة والخمسين . . فهل يُميّز الجنيد على مستوى الحاجة المعرفيّة والفائدة أيضًا ، بين بدايات الصوفي وشبابه وبين النهايات وكهولة العمر؟!

٢ ـ لا نقول بأنّ الجنيد في هذيْن النصّين أراد إزاحة أستاذيّة سريّ السقطيّ ولكن

---

(١) بخصوص سرى السقطى فليراجع : القشيرى، **الرسالة**، ج ١ ص ص ٦٤ ـ ٦٧ ؛ **حلية الأولياء** ج ١٠ ص ص ١١٦ ـ ١٢٦ ؛ **طبقات الشعراني** ج ١ ص ص ٨٦ ـ ٨٧ ؛ **صفة الصفوة** ج ٢ ص ص ٢٠٩ ـ ٢١٨ ؛ **طبقات الصوفية** ص ص ٤٨ ـ ٥٥ .

(٢) را . **طبقات الأولياء** ص ١٣٦ .

(٣) را . **طبقات الصوفيّة** ص ١٥٥ حاشية (ج) .

نقول إنّه وضع القصّاب - أمام النّاس - في رتبته إن لم يكن أرفع . . إلاّ أنّنا عندما ننظر في النصوص المرويّة من الجنيد ، نجد عشرات الأقوال التي تحفظها الكتب لسريّ برواية الجنيد ، والتي أثبتنا في كتابنا هذا ما استطعنا الوصول إليه ؛ على حين لا يكاد يروي عن القصّاب أكثر من حديثَيْن .

٣ - إنّ من عادة الصوفي أن يُعدّد أساتذته ، والجنيد نفسه اعترف بطبقات أربع من الأساتذة [المحاسبي - المسوحي - السقطي - الكرنبي] (١) والقصّاب ليس من بينها . فمتى دخل القصّاب في حياة الجنيد؟وهل استفاد منه دعمًا معرفيًا في خمسينيات عمره ، وهو الذي يؤكّد على فعل التاريخ في العلاقات ، ويتحسّر على صفو البدايات؟!

٤ - أمّا القول الأشهر للقصّاب فهو تعريفه للتصوّف على أنّه «أخلاق كريمة ، ظهرت في زمان كريم ، من رجل كريم ، مع قوم كرام » . . ويشير القصاب بالرجل صاحب الخلق الكريم إلى رسول الله ﷺ .

٥ - **أبو جعفر الكَرَنْبي** . . تحرّف اسمه بيد الناسخين وتناقلته الكتب على عدة صيغ ، فقيل : الكُرِيْني ، والكُرَيني ، والكُرَيْبي ، والكريتي (٢) . . .

والملاحظ أنّ الجنيد يحترم كثيراً شخص الكرنبي ، لأنّه عندما دفعه خاله سريّ السّقطي ليتكلّم على النّاس ، كان الكرنبي واحداً من الذين استشارهم في الموضوع ، وأشار عليه الكرنبي بأن يجلس للناس ليستفيدوا من معارفه (٣) . . كما أنّ الجنيد يعترف بكون ابن الكرنبي أستاذاً له ، يقول : كنتُ عند أستاذي ابن الكرنبي ، وهو يجود بنفسه . فنظرتُ إلى السّماء ؛ فقال : بعد . ثمّ نظرتُ إلى الأرض . فقال : بعد (٤) .

أمّا القصّة المشهورة ، التي تصوّر لنا قساوة ابن الكرنبي على نفسه ، وبالتالي قساوة الصوفي على نفسه إن قصّرت في حقّ الله (عز وجل) ، فهي أنّه احتاج ليلة إلى الاغتسال من جنابة ، وكانت ليلة باردة ، فحدّثتْهُ نفسه

---

(١) را . **إحياء علوم الدين** . ج٢ ص ١٨٩ .

(٢) Deladriere . **Enseigment spirituel.p** 24

(٣) انظر قول رقم (١٤) من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** .

(٤) انظر قول رقم (٥٧٠) من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** .

بالتأخير حتى الصباح ، فيتمكّن من تسخين الماء ودخول الحمّام دون أن يشقّ على نفسه . . وقصاصًا لنفسه بحديثها هذا ، آلي ألاّ يغتسل إلاّ في مرقعته ، ولا ينزعها ، ولا يعصرها ، ولا يُجفّفها في الشّمس(١) .

٦ـ **حسن المُسُوحي** ، أبو علي [ت بعد ٢٦٠ هـ] .. شيخ الزّهاد ، حكي عن بشر ابن الحارث ، كان من أقران سريّ السقطيّ ، وأستاذ معظم متصوّفة بغداد . . ويقول الذهبي إنّه كان من أوّل من عُقِدَتْ له حلقة ببغداد للكلام في الحقائق . ويُنقل عن ابن الأعرابي أنّ المسوحَي لم يكن يجاوز في حلقته علم الوصول والعبادات والإرادات والأحوال دون المعارف . كما يُنقل عن السُّلَمي أنّه قال سمعتُ أبا العباس البغداديّ ، حدّثنا جعفر الخلدي ، سمعتُ الجنيد يقول : كلمتُ حَسَنًا المُسُوحي في شيء من الأنس . فقال لي : ويحك ، الأنس! لو مات من تحت السماء ما استوحشت(٢) .

كما يعترف الجنيد بنصّه أنّ المسوحي وطبقته التي تعدادها ثلاثون رجلاً ، كانوا في موقع أساتذته . . يقول : «صحبتُ أربع طبقات من هذه الطائفة ، كلّ طبقة ثلاثون رجلاً : حارثًا المحاسبي وطبقته ، وحسنًا المسُوحي وطبقته ، وسريًا السقطيّ وطبقته ، وابن الكرنبي وطبقته»(٣) .

٧ـ أبو **جعفر الحدّاد** . توفي في العام نفسه الذي توفي فيه الجنيد ، ٢٨٩ هـ . . وكان الجنيد ينصّ على كون أبو جعفر الحدّاد في مقام التوكّل ، ويُخبر عن نفسه بأنّه يستحي أن يتكلّم في مقامه وهو حاضر(٤) .

ولعلّ الجنيد بعد وفاة الحدّاد شعر بحدوث ثلمة في التوكّل ، لأنّه يقول : كان التوكّل حقيقة واليوم هو علم . . أيْ لم يبقَ من التوكّل سوى علم به نتناقله ولا يتحقّق بحقيقته أحد(٥) .

---

(١) انظر : قول رقم (٩٦) من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** .
(٢) الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، ج ١٢ ص ٥٨٠ـ٥٨١ .
(٣) را . القول رقم (٢٥٩) من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** .
(٤) را . القول رقم (٦١٢) من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** .
(٥) را . القول رقم (٦١٣) من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** .

٨ - **أحمد بن وهب الزيّات** . . [ت ٢٧٠ هـ] ؛ تلميذ بشر الحافي وسريّ والمحاسبيّ، بقي في مسجد الشونيزيّة بهدف التوكّل ، وكان الجنيد يأتي إليه للتباحث معه في المعارف الصوفيّة[١] .

٣ - أقران الجنيد ومعاصروه :

عاش الجنيد في مرحلة تاريخيّة غنيّة صوفيًا ، وأيضًا في منطقة جغرافيّة تعتبر عاصمة ثقافيّة وقطبًا صوفيًا جاذبًا : إنّها بغداد في القرن الثالث الهجري . .

ومن أعلام التصوّف آنذاك من صحت علاقته بالجنيد ، ومنهم من لم يتسنَّ لنا إثبات علاقة رفقة أو حتى لقاء بينه وبين الجنيد . . وسنذكر فيما يأتي بعض الأشخاص الذين دار عليهم الوجود الصوفي في القرن الثّالث الهجري ؛ ووجه علاقتهم بالجنيد :

١ - **أبو يزيد البسطامي** [ت ٢٦١ هـ] .. هو أبو يزيد طَيْفُور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن عليّ البسطامي ؛ الملقّب بـ : سلطان العارفين .

لا يُؤثر عن البسطامي كتابات في التصوّف ، ولكن أقوال جمعها أصحابه ، محبّوه وخصومه على السّواء ، ممّا يضع بين أيدينا نهجًا صوفيًا يقوم على الفناء والتّوحيد ، كما اشتهرت عنه عبارات عديدة مستغربة نطق بها تحت وطأة الحال ، ويُطلق عليها اسم «الشَّطح» أو «الشَّطحات» . . ويعتذر عنه الجنيد في شطحاته ، بأنّ حاله يُشبه حال مجنون ليلى ، فإنّ حبّه لليلى تملّكه ولم يعُد معه يرى في الأشياء والمخلوقات ، وحتى في نفسه ، إلاّ أنّها ليلى ، فلمّا سألوه : من أنت؟ قال : ليلى[٢] .

على الرّغم من كون البسطامي معاصرًا للجنيد إلاّ أنّه ليس بأيدينا مطلق نصّ للجنيد أو لغيره يُثبت نسبًا ما بين البسطامي والجنيد . . لعلهما لم يلتقيا ، ولعلّه جرى بينهما لقاء روحانيّ لم تبقَ معه حاجة إلى لقاء البدن . .

---

(١) را . . **Deladriere . Enseigment spirituel** p p 25 - 26 .
(٢) را . عبد المنعم الحفني . **الموسوعة الصوفيّة** . ص ص ٥١ ـ ٥٦ .

مجرّد تخمينات، إلاّ أنّ الثّابت هو أنّ الجنيد فسّر أقوال البسطامي، وخاصّة شطحاته.. وتبيّن لنا من هذا التفسير وجهًا للجنيد، هو وجه النّاقد الصوفيّ، الّذي لا تُبهته الأسماء الكبيرة، وتُخرجه عن موضوعيّة الرؤية والكلام.

[انظر في هذا الكتاب النصوص رقم: ٩٨ + ٤٧٢ + ٥٨٠ + ٥٨١ + ٥٨٥ + ٥٨٦].

٢ ـ **أبو سعيد الخرّاز [ت ٢٧٩ هـ]** .. واسمه: أحمد بن عيسى، وهو من أهل بغداد. صحب ذا النون المصري وسري السقطيّ وبشر بن الحارث وغيرهم.. ويقول أصحاب التراجم إنّه أوّل من تكلّم في «علم الفناء والبقاء»[١]. وللخرّاز كتب عديدة، منها: كتاب الصّدق، كتاب الصّفاء، كتاب الضياء، كتاب الكشف والبيان، كتاب الحقائق. وهي رسائل صغيرة تبيّن مذهبه الصوفيّ القائم على الفناء والبقاء؛ فمن يفنى عن جهله يبقى بعلمه، ومن يفنى عن المعصية يبقى بالطّاعة، ومن يفنى عن الغفلة يبقى بالذِّكْر... وصولاً إلى الفناء الكامل والبقاء التّام الخالص، حيث لا مقام ولا حال، ولا عارف ولا معروف. وكان الجنيد يقول: لو طالبنا الله بحقيقة ما كان عليه أبو سعيد الخرّاز لهلكنا، فإنّه أقام كذا وكذا سنة يخرز فما فاته الحقّ بين الخرزتيْن[٢].

وعلى الرّغم من معاصرة الخرّاز للجنيد ومساكنته له في مدينة واحدة إلاّ أنّنا لانرصد وجود اتصال بينهما، ما عدا ما كان ينقله أهل بغداد من أخبار الواحد للآخر..

وقد توفّي الخرّاز قبل الجنيد بحوالي عشر سنوات، وذُكر أمام الجنيد حال الخرّاز عند وفاته وكثير تواجده، فشرح الجنيد حال الخرّاز، معترفًا بقيمته وعلوّ مكانته العلميّة وأيضًا بولايته وقربه من الله (عز وجل)[٣].

٣ ـ **سهل التُّسْتَري [ت ٢٨٣ هـ]** ..هو أبو محمّد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التُّسْتَري، نسبة إلى تُسْتَر من خوزستان. سكن البصرة

---

(١) انظر. السُّلَمي. **طبقات الصوفيّة**. ص ٢٢٨.

(٢) انظر: الحفني. **الموسوعة الصوفيّة**. ص ١٣٧.

(٣) انظر القولين رقم (٢٥٠) و (٣٦٤) من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب**.

عبادان ، صحب ، أي تتلمذ على ، خاله محمّد بن سوار ، «ولم يكن له نظير في وقته في المعاملات والورع»[١] ، وله اجتهاد ورياضة عظيمان . لقي ذا النون المصري بمكّة المكرّمة سنة ٢٧٣ هـ . ويقول الهجويري في كشف المحجوب إنّ سهل طريقة تُسمّى «**السهليّة**» ، أساسها المجاهدة ، ورياضة النّفس ومراقبتها ومخالفتها كسبيل للخلاص والنّجاة والوصول . وأقوال سهل التُّسْتَري تؤكّد على دور المجاهدة في الوصول ، فهو يرى أنّ **العيش على أربعة أوجه** : عيش الملائكة في الطّاعة ، وعيش الأنبياء في العلم وانتظار الوحي ، وعيش الصدّيقين في الاقتداء ، وعيش سائر النّاس - عالمًا كان أو جاهلاً ، وزاهداً كان أو عابداً - في الأكل والشّرب . وكان يرى أنّ **الأصول سبعة** : التمسّك بكتاب الله تعالى ، والاقتداء بسُنّة رسوله ﷺ ، وأكل الحلال ، وكفّ الأذى» ، واجتناب الآثام ، والتّوبة ، وأداء الحقوق»[٢] .

وعلى الرّغم من معاصرته للجنيد إلاّ أنّنا لا نجد اتصالاً مباشراً ، وإنّما تبادل احترام تجلّى في موقف الجنيد من الحلاّج أثر معاملته لسهل التستري . . .

٤ - **ذو النون المصري [ت ٢٤٥ هـ]** . . وهو ثوبان بن إبراهيم ، أبو الفيض ، وذو النّون لقب . يقول عنه جامي في كتابه نفحات الأنس : هو رأس هذه الفرقة ، فالكلّ أخذ عنه وانتسب إليه ، ولقد سبقه في التصوّف مشايخ ، ولكنّه كان أوّل من نشر إشارات الصوفيّة وتكلّم في هذا الطّريق ، وكان أوّل من تكلّم في مصر في الأحوال ومقامات أهل الولاية ، وأوّل من عرّف التّوحيد بالمعنى الصوفيّ .

وعلى الرّغم من معاصرة الجنيد لذي النّون إلاّ أنّنا لا نرصد لقاءً ظاهراً بينهما . . . وهذا لا ينفي معرفة كلّ واحد منهما بأفكار الآخر وأقواله ، كلّها أو بعضها . كما يظهر إعجاب الجنيد بذي النون أنّه ناجي ربّه في مرضه بقولة قالها ذوالنّون وهي : «يا من نَشْكُرُ ما يَهَب ، هب لنا ما نَشْكر»[٣] . . كما لا يتأخّر عن تفسير أقواله ويدمغها بتأييد منه وموافقة[٤] .

---

(١) را : القشيري ، **الرّسالة** . ج ١ ص ٨٣ ؛ وابن خلكان ، **وفيّات الأعيان** ، ج ٢ ص ٤٢٩ .

(٢) انظر : عبد المنعم الحفني ، **الموسوعة الصوفيّة** ، ص ص ٧٩-٨١ .

(٣) انظر : القول رقم (٢٢٧) من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** .

(٤) انظر : القول رقم (٣٦١) من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** .

٥ ـ **أحمد بن أبي الحواري [ت٢٣٠هـ]** .. من أهل دمشق ، وصحب أبا سليمان الدّاراني وسفيان بن عُيينة ، كان عذب الكلام في الوعظ ، يُكثر من القصص ، ويروي الحديث الشّريف . . . كان الجنيد صغيراً عندما مات الحواري ، وهذا لم يمنعه من أن ينظر إليه كمعاصر له ، ويُعطيه مكانته في زمانه ومكانه ، فكان يقول : أحمد بن أبي الحواري : ريحانة الشّام(١) .

٦ ـ **أبو حفص النيسابوري [ت٢٧٠ هـ]** ..وهو عمر بن سلمة ، وصناعته الحدادة ، ولذلك يُقال له : أبو حفص الحدّاد . رافق أحمد بن خضرويه البلخي ، وكان أحد الأئمّة السّادة ، انتسب إليه شاه الكرماني ، وأبو عثمان الحيرى [ت ٢٩٨هـ] الذي أسهم في نشر النهج الصوفي في نيسابور(٢) . والتصوّف عند أبي حفص هو : آداب ، ولكلّ وقت أو مقام أدبه ، ومن لزم الآداب بلغ مبلغ الرّجال ، ومن ضيّع الآداب فهو بعيد من حيث يظنّ أنّه قريب . . ومعظم كلامه في الفتوّة(٣) .

حين دخل أبو حفص مدينة بغداد ، كانت له لقاءات ومجالس مع الجنيد ، وتُظهر مرويّات الجنيد عن أبي حفص ، عمق تقديره لهذا الشّخص وعلى الأخصّ إعجابه الشديد بنهجه التربويّ الصوفيّ . وقد نوّه بهذا التأديب فكان جواب أبي حفص : إنّ حُسْن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن(٤) .

وإلى جانب اعتراف الجنيد لأبي حفص بفاعليّة نهجه التربويّ الصوفيّ ، فقد اعترف له ببلوغ مراتب عليّة في المجاهدة ، حين تطرّق الحوار إلى «ماهيّة الفتوّة» ، فقال الجنيد : هي ترك الرؤية وإسقاط النّسبة . فقال أبو حفص : هي أداء الإنصاف وترك مطالبة الانتصاف . فما كان من الجنيد إلاّ أن أنهى الحوار واعتبر قول أبي حفص غاية ، فقال : قوموا يا أصحابنا فقد زاد أبو حفص على آدم وذريّته في الفتوّة(٥) .

---

(١) انظر : القشيري ، **الرّسالة** ، ج ١ ص ٩٥ ؛ **وطبقات الشعراني** ج ١ ص ٨٢ .
(٢) انظر : السُلَمي . **طبقات الصوفيّة** ، ص ١٧٠ .
(٣) انظر : حفني ؛ **الموسوعة الصوفيّة** ص ٣٩٨ـ٣٩٩ .
(٤) انظر : القول رقم (٢٣٣) من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** .
(٥) انظر : القول رقم (٤٤٤) من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** .

بالإضافة إلى إعجاب الجنيد بتربية أبي حفص، وتعريفاته، فهو يسلم له إتيانه «الكرامات» بل ويبرّر إظهاره لها. . فحين أدخل أبو حفص يده في كور الحدادين المحمّي، ليدلّل لمريد له على جريان «الكرامة» لشخصه، دافع عنه الجنيد، بأنّه فعل ذلك شفقة على مريده؛ بمعنى أنّه أجرى الكرامة لغيره لا لنفسه.

٧ـ **سمنون الخوّاص**، وهو سمنون بن حمزة، أبو الحسن ويُلقّب **بالمحبّ** لشدّة وجده، ولكون معظم كلامه في المحبّة. . وعندما يصفه الواصفون يقولون حَسَن الوجه، عذب المنطق، يُحسن الكلام في المحبّة[1] . . وقد سبق لنا الكلام على صلته بالجنيد عند إشارتنا لمحنة الجنيد، التي أثارتها امرأة عَشقت سمنون.

لقد كان سمنون مأخوذاً بالمحبّة مستلبًا بها، لا يتّسع حضوره لغيْر محبوبه، يقول شعراً[2] :

وكان فؤادى خاليـًا قبل حُبِّكُم	وكان بذكرِ الخَلْقِ يلهو ويَمرَح
فلمّا دعا قلبى هواك أجابَه	فلستُ أراه عن فِنَائكَ يَبْرَحُ
رُميتُ ببَيْنٍ منكَ إن كنتُ كاذبًا	وإن كنتُ ـ فى الدُّنيا ـ بغيرِكَ أفرَحُ
وإن كان شيءٌ فى البلاد بأسرِها	إذا غبتَ عن عينى، بعينى يَمْلُحُ
فإن شئتَ واصِلْنى، وإن شئتَ لا تَصِلْ	فلستُ أرى قلبى لغيْرِكَ يَصْلُحُ

٨ـ **أبو الحسين النّوري [ت ٢٩٥هـ]** .. هو أحمد بن محمّد، أبو الحسين النّوري، ويعرف بابن البغوي. بغداديّ المولد والمنشأ، خراسانيّ الأصل. صحب سريًا السّقطي، ومحمّد بن عليّ القصّاب، ورأى أحمد بن أبي الحواري. ويتّفق جميع الرّواة على أنّه من **أقران الجنيد**. .

---

(١) را. قول رقم (٨١) من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب**.

(٢) السُّلَمى، **طبقات الصوفيّة**، ص ١٩٨. ويُراجع بشأن سمنون: **طبقات الصوفيّة** ١٩٥ـ١٩٩؛ **طبقات الأولياء** ص ١٦٥ وما بعد؛ **طبقات الشّعراني** ج ١ ص ١٠٤؛ **الحلية** ج ١٠ ص ص ٣٠٩ ـ ٣١٤؛ **صفة الصفوة** ج ٢ ص ٢٤٠ـ٢٤٢.

ويتأسّس نهجه الصوفيّ على الإيثار ، وحقيقته أنّ النّوري يُطالب نفسه وتلامذته بحفظ حقّ الصّاحب في غيبته ، والتضحية بنصيبه له ، واحتمال التّعب من أجل راحته . لذلكِ فهو اجتماعيّ يكره للصوفيّ العُزلة ويذمّ الانزواء ويُعلّم مريديه الصحبة وحُسْن العشرة .

ويتجلّى مذهب النّوري في الإيثار واضحًا ، حين تقدّم النّوري للسيّاف وطلب منه أن يسبق صحبه بالموت ، في قضيّة «محنة الصوفيّة» المذكورة سالفًا ، وعندما ناقش السيّاف النّوري في سبب تقدّمه للموت على أصحابه ، أجابه بأنّ طريقته مبنيّة على الإيثار ، وهو يؤثر صحبه بأنفاس قليلة يمضونها في ذكْرِ الله قبل الموت[1] .

كما يظهر الإيثار واضحًا في أنّ النّوري كان يمدّ يده أحيانًا ويسأل النّاس ، وحين نقل خبر ذلك للجنيد ، بيّن مذهب النّوري في الإيثار ، وهو أنّه «لم يسأل النّاس إلاّ ليعطيهم» . وبرهن على ذلك ، بما ورد في النصّ رقم ٦ من أقوال الجنيد في هذا الكتاب ، وهو إرساله مالاً موزونًا أضيف إليه غير موزون ؛ فأخذ النّوريّ المال المضاف وأرجع المائة درهم إلى الجنيد [فلتراجع القصّة في النصّ رقم٦] .

وما يدلّ على تحرّره العميق من رقّ الأكوان ، أنّه كسر دنان خمر الخليفة المعتضد وهو يعرف أنّها له ، وحين سأله المعتضد : من أنت . قال : محتسب . قال : من ولاّك الحسبة! قال : الذي ولاّك الخلافة[2] . .

وكان النّوريّ كثير الوجد عنيف التواجد ، ولم يكن يُخرجه من غرقه في موج الوجد العالي إلاّ الجنيد أحيانًا ، الذي كان مرجعًا صوفيًّا لكافّة متصوّفة بغداد في عصره . . ومن الأمثلة على دور الجنيد في حياة أقرانه ، أنّ النّوري ظلّ مرّة يصرخ لمدّة ثلاثة أيّام وليال في بيته ، واقفًا في مكان واحد . فأخبروا الجنيد ، فذهب إليه . وقال : يا أبا الحسين! إذا كنتَ تعرف أنّ الصراخ يُفيد معه ، فأخبرني لأصرخ أنا أيضًا . وإن كنتَ تعرف أنّه لا يفيد ، فارضَ بالتسليم ليسعد قلبك . فكفّ النّوري

---

(١) انظر : **حلية الأولياء** ١٠/ ٢٤٩-٢٥٥ ؛ **صفة الصفوة** ٢/ ٢٩٤ ؛ **طبقات الشّعراني** ١/ ٨٧ ؛ **تاريخ بغداد** ٥/ ١٣٠-١٣٦ ؛ كما يُراجع عبد المنعم الحفني . **الموسوعة الصوفيّة** . ص ص ٣٩٧-٣٩٨ .

(٢) انظر : **طبقات الشعراني**، ج ١ ص ٨٧ .

عن الصراخ ، وقال : ما أحسنك معلّمًا لنا يا أبا القاسم[1] .

وقد شهد الجنيد للنوري ، الذي مات قبله ، فقال : منذ مات النوري لم يخبر عن حقيقة الصّدق أحد[2] .

٩ - رويْم بن أحمد البغدادي [ت ٣٠٣ هـ] .. وهو رُوَيْم بن أحمد بن يزيد، وكنيته أبو محمّد . من كبار مشايخ بغداد . وجدّه ، رُوَيْم بن يزيد ، حدّث عن ليث بن سعد وغيره .

رويم فقيه على مذهب داود الأصبهاني [ت ٢٧٠ هـ] ، وكان مُقرئًا ، قرأ على إدريس بن عبد الكريم الحدّاد [ت ٢٩٢ هـ] .

ومن ينظر في أقوال رُوَيْم وممارساته ، يرى أنّه مارس النّقد الصوفيّ في زمنه ، حاور الصوفيّة وصنّف طبقاتهم ومقاماتهم ومناهجهم ، وبيّن المتهافت منها من القائم على أساس سليم [شخّص الدّاء على سببيْن وكلّ سبب منهما على أصليْن] .. ويُحمد له أنّه انتقد المناهج الصوفيّة من موقع الصوفيّ لا من موقع الفقيه . فكان صوفيًا ناقدًا للصوفيّة ، لذلك عندما أرسي الصواب الذي يراه ، جاء هذا الصواب من داخل التجربة الصوفيّة ورؤاها ومعاييرها لا من خارج منظومتها . . يقول : «لاتزال الصوفيّة بخير ما تنافروا [أي ما تعدّدت مناهجهم وتجاربهم] فإن اصطلحوا هلكوا» ، وفي أدب السّفر يقول : «لا يجاوز همه قدَمه ، وحيثما وقف قلبه يكون منزله» . . وما يدلّ على نقده الصوفي وصوابه ، قوله : «أقلّ ما في هذا الأمر [أيْ التصوّف] بذل الرّوح ، فإن أمكنك الدّخول مع هذا فيه ، وإلاّ فلا تشتغل بترّهات الصوفيّة»[3] .

---

(١) انظر : قول رقم ١٩٧ من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** .

(٢) انظر قول رقم ٢٤١ من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** .

(٣) يراجع بشأن رُوَيْم البغدادي : **طبقات الصوفيّة** ص ص ١٨٠ - ١٨٤ ؛ **الرّسالة القشيريّة** ص ٢٧ ؛ **حلية الأولياء** ١٠/ ٢٩٦ - ٣٠٢ ؛ **صفة الصفوة** ج ٢/ ٢٤٩ ؛ **طبقات الشّعراني** ١/ ١٠٣ ؛ كما يُراجع : الحفني . **الموسوعة الصوفيّة** ص ص ١٨٦ - ١٨٧ .

ورُوَيْم بن أحـمـد من **أقران الجنيد** ، يقـول الهـجـويري [ص ٣٤٧ كـشف المحجوب] : إنّ رُوَيْم من أصحاب سرّ الجنيد وأقرانه . . ومن المستغرب أنّ الجنيد نقد رُوَيْمًا ، وكان نقده صوفيًا ، إذ اتّهمه بحبّ الدّنيا عندما تولّي القضاء ، وقال : من أراد أن ينظر إلى من خبّأ في سرّه حبّ الدّنيا عشرين سنة ، فلينظر إلى هذا[1] .

١٠ ـ أحمد بن عطاء الأدمي [ت ٣٠٩ هـ] .. وهو أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن سهل بن عطاء الأدمي ، نسبة إلى بيع الأدم وهو الجلد . ويقول القشيري في رسالته [ج١ ص ١٣٥] ، إنّ الخرّاز كان يُعظّم شأنه ؛ وأنّه من أقران الجنيد ، وصحب إبراهيم المارستاني . ويرى الهجويري أنّ ابن عطاء لم يكن من **أقران الجنيد** بل من مُريديْه[2] . ويقول السُّلَمي في طبقاته [ص ٢٦٥] ، إنّ ابن عطاء كان له لسان في فهم القرآن يختصّ به .

وكان ابن عطاء يقول بطبقات «دينيّة» ، وبرسالة اجتماعيّة لكلّ طبقة ، ثمّ جعل لكلّ منها آدابًا تكون بها الصلاحيّة بمقام يُسمّيه بساطًا ؛ يقول : من تأدّب بآداب الصّالحين صلح لبساط الكرامة ، ومن تأدّب بآداب الأولياء صلح لبساط القُرْبة ، ومن تأدّب بآداب الصدّيقين صلح لبساط المشاهدة ، ومن تأدّب بآداب الأنبياء صلح لبساط الأنس والانبساط[3] . . كما يقول : خُلقَ الأنبياء للمشاهدة ، والأولياء للمجاورة ، والصّالحين للملازمة ، والعوامّ للمجَاهدة[4] . .

وقد جرى بين الجنيد وبين ابن عطاء مناظرة في المفاضلة بين الغنيّ والفقير ؛ وذهب ابن عطاء إلى أنّ الأغنياء أفضل ، وذهب الجنيد إلى العكس[5] .

١١ ـ خير النسّاج [ت ٣٢٢ هـ] : وكنيته أبو الحسن . . أصله من أهل سامرّاء ثم سكن بغداد . صحب أبا حمزة البغداديّ ، وسأل سريّ السَّقطي عن مسائل ،

---

(١) را . قول رقم ١٤٢ من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** .

(٢) الهجويرى . **كشف المحجوب** . ص ٣٦١ .

(٣) انظر : الحفني ، **الموسوعة الصوفيّة** ، ص ٢٩٤ .

(٤) انظر : **طبقات الشّعراني** ج ١ ص ٨٧ .

(٥) انظر قول رقم ٤٦٣ من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** . كما يُراجع الأقوال المشار إليها بالأرقام الآتية : رقم ٣٢٨ + رقم ٤٩٥ + رقم ٥٠٢ + رقم ٥٢١ .

وكان من أقران النّوري ، وتاب في مجلسه علمان من أعلام الصوفيّة هما : إبراهيم الخواصّ ، والشبليّ . وقد عمّر خير طويلاً ، يُقال عاش مائة وعشرين سنة .

والنسّاج من أقران الجنيد وله معه حادثة ، إذ كان في بيته وخطر له أنّ الجنيد بالباب ، فلم يلتفت إلى خاطره ، حتى خطر له ذلك ثانيًا وثالثًا ، فخرج ، فإذا الجنيد يقول له : يا خير ، لم لا تخرج مع الخاطر الأوّل(١) .

وكان الجنيد يشهد لخير بالتقدّم على أقرانه ، فيقول : خير خيرنا(٢) .

١٢ ـ أبو إسحق ، إبراهيم الخوّاص [ت ٢٩١هـ] .. هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل ، كنيته : أبو إسحق . يقول السُّلَمي والقشيري ، أنّه من أقران الجنيد والنّوري(٣) . .

كان أبو إسحق يبيع الخوص ، فلقّب بالخوّاص ؛ ولد في سامرّا وتوفي في جامع الريّ . أغلب كلامه قصص مرموزة ، له كتب مصنّفة ، وله أشعار . . ونهجه الصوفي يرتكز على التوكّل(٤) .

١٣ ـ أبو حمزة البزّاز [ت ٢٨٩ هـ] ..يؤكّد القشيري أنّه من أقران الجنيد؛ وأنّه مات قبله . كما صحب سريًا السَّقطي ، وبشر الحافي ، والحسن المسوحي(٥) .

سُمّيَ بالبَزّاز لاشتغاله بالبزازة ، واشتهر بلقب الصوفيّ . وكان الإمام أحمد ابن حنبل ، إذا جرى في مجلسه شيء من كلام الصوفيّة يقول له : ماذا تقول في هذا يا صوفي؟ فعرف هذا عنه .

وكان فقيهًا عالمًا بالقراءات ، وأوّل من تكلّم في بغداد بالمحبّة ، حتى قيل هو

---

(١) انظر قول رقم ١١٣ من أقوال الجنيد **في هذا الكتاب** .

(٢) انظر : الهجويري . **كشف المحجوب** ص ص ٣٥٦ـ٣٥٧ .

(٣) **طبقات الصوفيّة** ص ٢٨٤ .

(٤) يُراجع بشأن الخوّاص : **طبقات الصوفيّة** ص ٢٨٤ـ٢٨٧ ؛ **صفة الصفوة** ج ٤ ص ص ٨٠ـ٨٤ ؛ الرّسالة القشيريّة ج ١ ص ١٣٦ ؛ **طبقات الشّعراني** ج ١ ص ٨٧ وما بعد ؛ الحفني : **الموسوعة الصوفيّة** ص ١٥٠ـ١٥١ .

(٥) **الرسالة القشيريّة** ج ١ ص ١٣٩ ، **وطبقات الصوفيّة** ص ٢٩٥ .

لسان الصوفيّة في المحبّة والشّوق والأنس والقرب وموارد القلوب . وله شعر رقيق(١) .

١٤ ـ **عليّ بن سهل الأصبهاني ، أبو الحسن** .. كان يُكاتب الجنيد(٢) ، وهو من أقرانه(٣) . قصده عمرو بن عثمان المكيّ في دَيْن ، فقضاه عنه ، وهو ثلاثون ألف درهم . كما يقول الشّعراني في طبقاته [ج ١ ص ٨٧] أنّه عُرف منه ، أنّه إذا بلغه عن أحد من المسلمين أنّ عليه دينًا يُرسل فيفي عنه الدَّيْن بغير علم المديون ، فيأتي صاحب الدَّيْن فيقول للمديون : قد وفى الله عنك . ولم يعلم الناس بذلك إلاّ بعد موته .

من أقواله : «من وقت آدم إلى قيام السّاعة ، والناس يقولون : القلب . القلب. وأنا أحبّ أن أرى رجلاً يصف لي ، إيش القلب ، وكيف القلب ، فلاأرى» .

١٥ ـ **أبو حمزة الخراساني [ت ٢٩٠ هـ]** ..أصله من نيسابور ، صحب مشايخ بغداد، وهو من أقران الجنيد والخرّاز ، سافر مع أبي تُراب النخشبي ، وأبي سعيد الخرّاز . . وهو من أفتى المشايخ ، وأورَعِهم ، كما يشهد له بذلك السُّلَمي في طبقاته(٤) .

١٦ ـ **يحيى بن معاذ الرّازي [ت ٢٥٨ هـ]** ..هو أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرّازي ، الواعظ ، توفّي بنيسابور . . تكلّم في علم الرّجاء ، وأحسن الكلام فيه ، بشهادة السُّلَمي في طبقاته(٥) .

كما مارس ابن معاذ النّقد الصوفيّ ، وكره للصوفيّ أن يبدأ العمل قبل إحكام الأصل العلمي . وكان **بينه وبين الجنيد مكاتبات**(٦) .

---

(١) انظر **الرسالة القشيريّة** ج ١ ص ١٣٩ ؛ و**طبقات الصوفيّة** ص ٢٩٥ ؛ **وطبقات الأولياء** ص ١٥٠ ؛ والحنفي : **الموسوعة الصوفيّة** ص ٦٠ ـ ٦١ .

(٢) انظر الرسالة الخامسة من رسائل الجنيد **في هذا الكتاب** .

(٣) **الرسالة القشيريّة** ج ١ ص ١٣٢ ، و**طبقات الصوفيّة** ص ٢٣٤ .

(٤) راجع **طبقات الصوفيّة** ص ص ٣٢٦ ـ ٣٢٨ ؛ **و الرّسالة القشيريّة** ج ١ ص ١٤٧ .

(٥) **طبقات الصوفيّة** ص ١٠٧ .

(٦) انظر الرّسالة الرّابعة من رسائل الجنيد المنشورة **في هذا الكتاب** .

ـه شقيقان هما إسماعيل وإبراهيم ، والثلاثة كانوا زُهّادًا . . ومن أقواله : «ثلاث خصال من صفة الأولياء : الثّقة بالله في كلّ شيء ، والغنى به عن كلّ شيء ، ـ الرّجوع إليه في كلّ شيء» ؛ ويقول : «جوع التوّابين تجربة ، وجوع الزّاهدين سياسة ، وجوع الصدّيقين تكرمة» ؛ ويقول : «الزّاهد صافي الظّاهر مختلط ـباطن ؛ والعارف صافي الباطن مختلط الظّاهر»[1] ؛ كما يقول : «بئس الأخ أخٌ تحتاج أن تقول له : ادعُ لي . وبئس الأخ أخ تحتاج أن تعتذر إليه عند زلّتكَ»[2] .

١٧ ـ **يوسف بن حسين الرّازي [ت ٣٠٤ هـ]** .. وهو يوسف بن حسين ، أبو يعقوب ـرّازي . شيخ الريّ والجبال في وقته ، روي الحديث الشّريف . ونهجه الصوفيّ يرتكز على إسقاط الجاه وترك التصنّع واستعمال الإخلاص . صحب ذا النّون ـصري وأبا تراب النّخشبي . وكان **بينه وبين الجنيد مكاتبات**[3] . . كتب إلى لجنيد : لا أذاقك الله طعم نفسك ، فإنّك إن ذُقتها لم تذُق بعدها خيرًا أبدًا .

١٨ ـ **أبو بكر الزَّقّاق الكبير [ت ٢٩١ هـ]** ..هو أبو بكر أحمد بن نصر الزَّقّاق الكبير ، من أقران الجنيد ، وهو من كبار مشايخ مصر[4] .

١٩ ـ **أبو عبد الله بن الجلاّء** ، واسمه أحمد بن يحيى . أصله من بغداد ، وأقام بالرّملة ، ودمشق . وكان من جلّة مشايخ الشّام . صحب أباه ، يحيى الجلاّد ، وأباتراب النخشبي ، وذا النون المصري .

لم نرصد لقاء بينه وبين الجنيد إلاّ أنّه كان مقارنًا له في أذهان النّاس يروي السُّلَمي في طبقاته عن جدّه ، إسماعيل بن نجيد ، الذي كان أحد تلامذة الجنيد قوله : «إنّ في الدّنيا ثلاثة من أئمّة التصوّف لا رابع لهم : الجنيد ببغداد ، وأبوعثمان بنيسابور ، وأبو عبد الله بن الجلاّء بالشّام» .

---

(١) انظر أقواله في **طبقات الصوفيّة** ص ص ١٠٧ ـ ١١٤ .
(٢) **طبقات الصوفيّة** ص ١٠٧ .
(٣) انظر : **طبقات الصوفيّة** ص ١٨٥ ـ ١٩١ ؛ كما تراجع الرسالة الثالثة من رسائل الجنيد المنشورة **في هذا الكتاب** .
(٤) **الرسالة القشيريّة** ، ج ١ ص ١٢٠ .

٢٠ ـ **إبراهيم بن داود الرقّي** [ت ٣٢٦ هـ] .. هو أبو إسحق ، إبراهيم بن داود الرّقي . من كبار مشايخ الشّام ، عمّر طويلاً . وكان من **أقران الجنيد** ، وابن الجلاّء[١] .

٢١ ـ **أبو العباس بن مسروق الطوسي** [ت ٢٩٨ هـ] .. من أهل طوس ، سكن بغداد ، وصحب الحارث المحاسبي والسري السَّقطي . توفي ببغداد . ولا يذكر القشيري أو السُّلَمي أنّه من أقران الجنيد أو تربطه به علاقة صحبة ، مع أنّهما صحبا الأساتذة أنفسهم وعاشا في المدينة نفسها .

٢٢ ـ **محمّد وأحمد ابنا أبي الورد** . . وهما من كبار مشايخ العراقيّين وجلّتهم ، وكانا من جلساء الجنيد وأقرانه . صحبا سريًا السَّقطي ، وأبا الفتح الحمّال ، وحارثًا المحاسبي ، وبشرًا الحافي . وطريقتهما في الورع قريبة من طريقة بشر»[٢] .

٢٣ ـ **عمرو بن عثمان المكيّ** [ت ٢٩١ هـ] ..وهو عمرو بن عثمان بن كُرَب بن غُصَص ، وكنيته : أبو عبد الله . وهو عالم بعلم الأصول ، وله كلام حسن . . وكان ينتسب إلى الجنيد في الصحبة ، ولقيَ أبا عبد الله النِّباحي ، وصحب أباسعيد الخرّاز ، وغيره من المشايخ»[٣] .

٣ ـ تلامذة الجنيد :

نجد أسماء كبيرة لمعت في أفق العلوم الصوفيّة ، وهي ـ بشكل أو بآخر ـ استفادت من تعاليم الجنيد البغداديّ . . «شيخ الطّائفة» و «طاووس العلماء» و «تاج العارفين» . ومن هؤلاء الرّجال الذين صحبوا الجنيد ليتكسبوا منه ويكتشفوا ذواتهم ، الأشخاص الآتي ذكرهم :

١ ـ **جعفر الخلدي** [ت ٣٤٨ هـ] .. أبو محمّد جعفر بن محمّد بن نصير ، بغدادي المولد والمنشأ والوفاة . صحِبَ **الجنيد** والنّوري ورُوَيْمًا وسمنون . وفي رأي البعض

---

(١) انظر : **الرسالة القشيرية** ج ١ ص ١٤٣ .
(٢) انظر : **طبقات الصوفيّة** . ص ٢٤٩ . كما يُراجع أقوالهما في **طبقات الصوفيّة** ص ص ٢٥٠ ـ ٢٥٣ .
(٣) **طبقات الصوفيّة** . ص ٢٠٠ .

أنّ نسبته إلى الخلد وهي محلّة ببغداد . وينقل ابن الملقن في طبقات الأولياء [ص ١٧٠] ، أنّه سُمّي الخُلديّ لأنّه كان يومًا عند الجنيد ، فسئل الجنيد عن مسألة ، فقال له : أجبهم . فأجابهم . فقال له الجنيد : يا خُلديّ [أيْ يا من يخطر في خُلده خواطر] ، من أين لك هذه الأجوبة . فبقيَ عليه هذا الاسم .

يقول الخطيب في تاريخه ، هو شيخ الصوفيّة ، رحل إلى مكّة ومصر ولقيَ فيها المشايخ الكبار من المحدّثين والصوفيّة ، ثمّ عاد إلى بغداد وروى بها علمًا كثيرًا ، وكان يفخر بأنّ عنده مائة ونيّف وثلاثين ديوانًا من دواوين الصوفيّة(١) . لذلك اشتهر بالرواية ، حتى قيل : إنّ عجائب بغداد ثلاثة : إشارات الشبليّ ، ونكت المرتعش ، وحكايات جعفر . . ويذكر عنه أنّه قال : «إنّي أخاف أن يوقفني المشايخ بين يدي الله ، ويقولون : لمَ أخرجتَ أسرارنا إلى النّاس»(٢) .

ويذكر ابن الملقن أنّه حجّ قريبًا من ستّين حجّة [طبقات الأولياء ص ١٧٠] . انظر في هذا الكتاب . أقوال الجنيد التي يرويها الخلدي ونشير إليها بالأرقام الآتية : ١٢٠ + ١٥٣ + ١٦٠ + ٢٣٨ + ٢٦٤ + ٣٣١ + ٣٣٤ + ٣٨٥ + ٤٦١ + ٥٢٦ .

٢ ـ **أبو محمّد الجريرى [ت ٣١١ هـ] .. وهو من كبار أصحاب الجنيد** ، وصحب أيضًا سهل بن عبد الله التُّسْتَري . وجلس للتدريس بعد الجنيد في مجلسه ، لتمام حاله ، وصحّة علمه(٣) . انظر أقوال الجنيد في هذا الكتاب التي يرد فيها ذكر الجريري : ٢٠٨ + ٢١٢ + ٢١٥ + ٣١٩ + ٣٢٩ + ٣٣٠ + ٣٩٩ + ٥٢١ .

٣ ـ **ابن الأعرابي [ت ٣٤١ هـ]** .. هو أبو سعيد ، أحمد بن محمّد بن زياد ، والمعروف بابن الأعرابي . بصريّ ، نزيل مكّة ، جاور الحرم وبه مات . له تصانيف مشهورة منها : طبقات النسّاك ، الاختصاص ، الإخلاص ، معاني علم الباطن ، معاني الزّهد وأقوال النّاس في صفة الزّاهدين ، المواعظ والفوائد .

---

(١) انظر : **الرّسالة القشيريّة** ج ١ ص ١٦٧ حاشية ١ .

(٢) ابن الملقن . **طبقات الأولياء** . ص ١٧١ .

١٧١ انظر . **طبقات الصوفيّة** ص ص ٢٥٩ ـ ٢٦٤ . كما تُراجع **طبقات الأولياء** لابن الملقن ص ٧١ ومابعد .

صحب **الجنيد** ، وعمرو بن عثمان المكيّ ، وأبا الحسين النّوري . أسند الحديث ورواه ؛ وصفه الذّهبي وغيره بالإمام الحافظ الثّقة الزّاهد . روى عنه الطبرانيّ والخطابي .

من أقواله : المعرفة كلّها الاعتراف بالجهل ؛ والتصوّف كلّه ترك الفضول ، والزّهد كلّه أخذ ما لا بدّ منه وإسقاط ما بقي ، والمعاملة كلّها استعمال الأولى فالأولى من العلم ، والرّضا كلّه ترك الاعتراض ، والمحبّة كلّها إيثار المحبوب على الكلّ ، والصبر كلّه تلقّي البلاء بالرحب ، والثّقة بالله علمك أنّه بك وبمصالحك أعلم منك بنفسك[1] .

٤ ـ الشبليّ [ت ٣٣٤ هـ] .. هو أبو بكر دلف بن جحدر . ولد في سامرّاء عام ٢٤٧ هـ ، وكان أبوه صاحب الحجّاب للموفق ، وخاله أمير الأمراء بالإسكندريّة . بلغ المناصب العالية في السياسة ، وكتب الحديث ورواه ، وتفقّه على مذهب الإمام مالك . ثمّ دخل في علوم الصوفيّة وتوجّهاتهم بعد «انقلابه» في مجلس خير النسّاج . أراد سلوك طريق الصوفيّة فنصحه النسّاج بالذّهاب إلى الجنيد شيخ الطائفة . . وله معه قصص طريفة ومشهورة .

عُرفت عن الشبليّ شطحات ، شبيهة بشطحات البسطامي . . وله شعر جميل يتطاير شرراً ، جمع د . كامل مصطفى الشيبي ما أمكنه منه في ديوان[2] . .

يُراجع بشأن الشبلي وعلاقته بالجنيد ، أقوال الجنيد الآتية أرقامها في هذا الكتاب : ١٠١ + ١٣٧ + ١٧٢ + ٢٦٧ + ٣٢٠+ ٤٠٩ + ٤٢٠+ ٤٣٧ + ٤٤٠ + ٥٢٢ + ٥٤٢ + ٥٤٣ + ٥٦٠ .

وعلى الرّغم من مكانة الشبليّ واعتراف الجنيد بصدقه ، إلاّ أنّ الجنيد ، هذا الناقد الصوفيّ الذي «يُقدّس» مسألة انتفاع الناس بالعالم ، وضرورة توصيل العالم علمه إلى الأجيال ، ينتقد الشبليّ ويتحسّر على كونه مأخوذاً بحاله لا مساحة فيه للآخرين ، وأنّه لو أفاق من سُكره لجاء منه إمام يُنتفع به .

---

(١) انظر : **الرّسالة القشيريّة** . ج ١ ص ١٦٥ مع الحاشية رقم ١ ؛ كما يُراجع ؛ الحنفي : **الموسوعة الصوفيّة** . ص ٢٥ـ٢٦ .

(٢) انظر : **الرسالة القشيرية** ج ١ ص ١٤٨ ـ١٤٩ ؛ كما يُراجع الحفني : **الموسوعة الصوفيّة** ص ٢٣٦ ومابعد .

٥ ـ **الحلاّج ، الحسين بن منصور [٣٠٩ هـ]** . تكثر المرويّات عن علاقة الحلاّج بالجنيد ، ويروي البعض «أساطير» ضمنها أقوالاً للجنيد تعليقًا على مأساة الحلاج بهذا القتل العنيف الذي وقع عليه . . لذلك نترك جانبًا كافّة الروايات ، لنقول فقط : إنّ الحلاج جاء إلى الجنيد طالبًا صحبته ، ولكن الجنيد تحرّج عن قبول هذه الصحبة نظرًا للتاريخ المنظور للحلاج مع أساتذته السّابقين[١] . .

بالإضافة إلى تاريخ الحلاج قبل الجنيد ، والذي كان سببًا ـ مباشرًا أو غير مباشر ـ لرفضه الصحبة ، إلاّ أنّ السبب الأهمّ ، هو أنّ الجنيد صاحب مدرسة في «الصحو»، ويوجّه تلامذته نحو استيعاب تجربتهم بالعقل والسيطرة عليها . . أمّا الحلاج فكان من أهل الحال ، مستغرقًا بحاله لا يكاد يُفيق ، يُمثّل تيّار «السُّكْر» الذي يوازي تيّار الجنيد ولا يكاد يتقاطع معه إلاّ هنيهات قليلة . .

والجنيد مات قبل الحلاج ، لذلك ليست بأيدينا أيّة نصوص تعلق على مأساة الحلاج ، أو تعيد النّظر في تجربته ، أو تحكم على ما حدث بموضوعيّة صوفيّة .

٦ ـ **إسماعيل بن نجيد [ت ٣٦٦ هـ]** .. يؤكّد السُّلَمي في طبقاته أنّ إسماعيل بن نجيد هو جدّه لأمّه . يقول : هو أبو عمرو بن نجيد ، إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف بن سالم بن خالد ، السُّلَمي ، جدّي لأمّي .

«صحب أبا عثمان الحيرى ولقى الجنيد . وكان من أكابر مشايخ وقته ، له طريقة ينفرد بها ، من تلبيس الحال ، وصون الوقت . سمع الحديث ورواه وأسنده وكان ثقة»[٢] .

٧ ـ **عليّ بن بندار ، أبو الحسن [الصيرفي]** [ت ٣٥٩ هـ] .. كتب الحديث الكثير وكان ثقة .

صحب ببغداد الجنيد ورُوَيْم وسمنون وأبا العطاء بن عبّاس ، وأبا محمد الجريرى . وبالشام طاهراً المقدسي ، وأبا عبد الله بن الجلاء ، وأبا عمرو الدمشقي .

---

(١) يروى الهجويري في **كشف المحجوب** ص ٤١٩ وص ٣٦٢ ـ ٣٦٣ ؛ اختلاف الحلاج مع المكيّ ومجيئه إلى الجنيد ليصحبه وكيف أنّ الجنيد لم يقبل ، وجرى بينهما حوار في الصحو والسكر . . وكيف أنّ الصوفيّة هجروه جميعًا لنمط العلاقات التي كان يُقيمها ، وعدم خضوعه لصحبه . .

(٢) **طبقات الصوفيّة** . ص ٤٥٤ ـ ٤٥٧ . كما يراجع الترجمة رقم ٢٥ في ابن الملقن ، **طبقات الأولياء** .

وبمصر أبا بكر المصري والزَّقَّاق وأبا عليّ الروذباري . وبنيسابور أبا عثمان ، ومحفوظًا .

ومن الطرائف أنّه كان يعتبر صحبته للجنيد ، أو حتى مجرّد لقائه به فضلاً يحتسب للإنسان على غيره ، فليس من لقي الجنيد كمن لم يلقَه . . وهذا يؤكّد على أهميّة الصحبة ومفهوم الصوفيّة لها ، كما يختزن ذلك دلالة لمسألة «الصحابة» . يقول الصيرفي : «كنتُ يومًا أماشي أبا عبد الله بن خفيف . فقال لي : تقدّم يا أبا الحسن . فقلت : بأيّ عذر أتقدّم . قال : بأنّك لقيت الجنيد وما لقيته»[1] .

٨ ـ **أبو محمّد عبد الله بن محمّد الشّعراني** [ت ٣٥٣ هـ] .. مولده ومنشأه بنيسابور . صحب الجنيد ، وأبا عثمان ، ورُوَيْمًا ، وسمنون وغيرهم . كان ثقة في الحديث[2] .

٩ ـ **عليّ بن محمّد المزني ، أبو الحسن البغدادي** [ت ٣٢٨ هـ] ..من أهل بغداد ، صحب الجنيد ، وسهل بن عبد الله ، ومن في طبقتهما من البغداديّين . توفي بمكّة مجاوراً وكان من أروع المشايخ[3] .

١٠ ـ **عبد الله المرتعش النيسابوريّ ، أبو محمّد** [ت ٣٢٨ هـ] . أحد مشايخ العراق . كان يُقيم في مسجد الشونيزيّة ببغداد . . صحب الجنيد ، وأبا حفص ، وأبا عثمان[4] .

١١ ـ **ابن أبي سعدان البغدادي ، أبو بكر** . بغداديّ من أصحاب الجنيد والنّوري . شافعيّ المذهب . إمام في المعارف . ومن جميل أقواله : «خُلقَت الأرواح من النّور ، وأسكنت ظُلَم الهياكل ، فإذا قويَ الرّوح جانس العقل ، وتَواترت الأنوار ، وأزالت عن الهياكل ظلمتها ، فصارت الهياكل روحانيّة بأنوار الرّوح والعقل ، فانقادت ولزمتْ طريقها ، ورجعت الأرواح إلى معدنها من الغيب ، تطالع مجاري الأقدار ، فهذه تطالع المجاري من الأقدار ، وهذه ترضى بموارد القضاء والقدر . وهذا من لطائف الأحوال»[5] .

---

(١) انظر : **طبقات الصوفيّة** ص ٥٠٤ ؛ طبقات الأولياء ص ١٣٨ .
(٢) انظر : **طبقات الصوفيّة** ص ٤٥١ وما بعد .
(٣) انظر : **طبقات الصوفيّة** ص ص ٣٨٢ـ٣٨٥ ؛ **طبقات الأولياء** ص ١٤٠ وما بعد .
(٤) انظر : **طبقات الأولياء** ص ١٤١ـ١٤٤ .
(٥) **الرسالة القشيريّة** ص ٤٢٢ .

١٢ ـ **محمّد بن عليّ بن جعفر الكتّانيّ** [ت ٣٢٢ هـ] .. بغدادي هاجر إلى مكّة ومات بها مجاوراً . صحب **الجنيد** والنّوري والخرّاز . قال عنه المرتعش : «الكتّاني سراج الحَرَم» . وهو صاحب التعريف المشهور للتصوّف : التصوّف خُلُقٌ فمن زاد عنيك في الخُلُق زاد عليك في التصوّف»[1] .

١٣ ـ **محمد بن موسى الواسطي ، أبو بكر** [ت بعد ٣٢٠هـ] . . من قدماء **أصحاب الجنيد** وأبي الحسين النوري ، يعرف بابن الفرغاني . وكان عالمًا بالأصول وعلوم الظاهر . خرج من العراق وهو شاب ، استوطن خراسان ، ومات بها[2] .

١٤ ـ **أبو الحسين عليّ بن هند القرشيّ الفارسيّ** [ت ٣٤١ هـ] .. من كبار مشايخ الفرس وعلمائهم ، **صحب الجنيد** ، وعمراً المكيّ ، وأبا محمّد جعفر الحذّاء . . وكان له أحوال عالية ومقامات زكيّة[3] . . توفي بشيراز .

١٥ ـ **محمّد بن إبراهيم الزجّاجي ، أبو عمرو النيسابوري** [ت ٣٤٦ هـ] ..نيسابوري الأصل ، **صحب الجنيد** والنّوري وأبا عثمان ورويمًا والخوّاص . أقام بمكّة وصار شيخها . حجّ قريبًا من ستين حجّة . وتوفّي بمكة[4] .

١٦ ـ **بنان الحمّال** [ت ٣١٦ هـ] .. هو بنان بن محمّد بن حَمْدَان بن سعيد ، وكنيته : أبو الحسن . واسطي الأصل ، سكن مصر ، واستوطنها ، ومات بها . **صحب أبا القاسم الجنيد** ، وكان أستاذ أبي الحسين النوري[5] . .

ومن أهمّ أقواله ما رتّب فيه مقامات المخلوقات ومراتبهم . . يقول : «إنّ الله تعالى خلق سبع سموات ، في كلّ سماء له خَلْق وجنود ، وكلّ له مطيعون ، وطاعتهم على سبع مقامات : **فطاعة أهل السماء الدّنيا** على الخوف والرّجاء ، **وطاعة**

---

(١) انظر : **طبقات الأولياء** ص ١٤٤ وما بعد ؛ **طبقات الصوفيّة** ص ٣٧٣ وما بعد .
(٢) انظر **طبقات الصوفية** ، ص ٣٠٢وما بعد؛ **طبقات الأولياء** ص ٤٨ وما بعد.
(٣) انظر أقواله وأخباره : **طبقات الصوفيّة** ص ٣٩٩ وما بعد .
(٤) انظر **طبقات الصوفيّة** ص ٤٣١ وما بعد ؛ **طبقات الأولياء** ص ١٥٦ وما بعد ؛ **الحلية** ج ١٠ ص ٣٧٦ .
(٥) انظر **طبقات الشّعراني** ج ١ ص ٩٨ ؛ و**طبقات الصوفيّة** ص ٢٩١ وما بعد .

أهل السماء الثانية على الحبّ والحزن ، **وطاعة أهل السماء الثالثة** على المنة والحياء ، **وطاعة أهل السماء الرابعة** على الشوق والهيبة ، وطاعة أهل السماء الخامسة على المناجاة والإجلال ، **وطاعة أهل السماء السادسة** على الإنابة والتعظيم ، وطاعة أهل السماء السابعة على المنّة والقربة»[1] . ولا يخفى أنّ الشخص قد يكون ببدنه من أهل الأرض ولكنّه بقلبه هو واحد من أهل هذه السموات .

١٧ ـ **أبو يعقوب بن إسحاق بن محمّد النَّهْرجُوري** [ت ٣٣٠ هـ] .. من علماء الصوفيّة ، **صحب الجنيد** وأبا عمرو المكيّ ، وأبا يعقوب السوسي . أقام بالحَرَم مجاوراً سنين عديدة ، وتوفّي بمكّة ، معظم كلامه في الفناء والبقاء والصّدق . سئل عن التصوّف ، فقال متحسّراً : تلك أمّة قد خلَت . ويقول : الدّنيا بحر ، والآخرة ساحل ، والمركب التّقوى ، والنّاس سَفَر[2] .

١٨ ـ **أبو عليّ ، أحمد بن محمّد الروذباري** [ت ٣٢٢ هـ] .. بغدادي ، أقام بمصر ، وبها مات . . صحب الجنيد والنّوري والطبقة . . يقول : كان أستاذي في التصوّف : الجنيد ؛ وفي الفقه : أبو العبّاس بن سريج ؛ وفي الأدب : ثعلب ؛ وفي الحديث : إبراهيم الحربي[3] .

١٩ ـ **ابن سُريج ، أبو العبّاس أحمد بن عمر بن سريج القاضي البغدادي** [ت ٣٠٦ هـ] ؛ الفقيه الشّافعي[4] . . حضر مجالس للجنيد البغدادي . ويقول عليّ بن إبراهيم الحداد : «حضرتُ مجلس ابن سريج ، فكان يتكلّم في الفروع والأصول بكلام حسن عجيب . فلمّا رأى إعجابي ، قال : أتدري من أين هذا؟ قلتُ : لا . قال : هذا ببركة مجالسة أبي القاسم الجنيد[5] .

٢٠ ـ **محمّد بن عليان النَّسَوي** ، معروف في نسا بأحمد بن عليّ . من كبار مشايخ

---

(١) **طبقات الصوفيّة** ص ٢٩٣ .
(٢) **الرسالة القشيريّة** ج ١ ص ١٥٦ وما بعد .
(٣) انظر **الرّسالة القشيريّة** ج ١ ص ١٥١ .
(٤) انظر : **طبقات الشافعيّة** ج ٢ ص ص ٨٧ـ٩٦ .
(٥) **طبقات الأولياء** ص ١٣٠ .

نَسًا [مدينة بخراسان منها النسائي] ..يقول الهجويري في كشف المحجوب [ص ٤٣٧] ؛ إنّه كان من **كبار أصحاب الجنيد** . . ويحكي عن اللحظة التي صيّره الحقّ فيها عارفًا ؛ يقول : ذات يوم خرج من حلقي شيء كجرو الثَّعل ، وصيّرني الحقّ تعالى عارفًا . فعرفتُ أنّه النّفس ، فجعلته تحت قدمي . وكنتُ كلّما ضربته بقدمي ضربة كبُرَ حجمًا . فقلتُ : يا هذا كلّ شيء يهلك بالضرب والعنت ، فلماذا تزيد أنت! قال : لأنّ خلقي معكوس ، فما يكون إعناتًا للأشياء يكون راحة لي ، ومايكون راحة للأشياء يكون عنتًا لي .

٤ـ ظلّ الجنيد :

لقد كان الجنيد في عصره قطبًا صوفيًا جاذبًا ، يُرجع إليه في المعرفة وفي السّلوك أيضًا . . كما كان محورًا للوجود الصوفيّ في القرن الثّالث الهجري ، تدور عليه العلوم الصوفيّة ، ويدور في فلكه الرّجال . . وقد استطاع الجنيد ، بأفكاره ولغته ، أن يكون مقبولاً من الجميع : صوفيّة وفقهاء .

كما ارتفع الجنيد هامة عالية في عصره ، نراه يمدّ ظلّه على التاريخ اللاحق للتصوّف ، **فلا تكاد تخلو منه سلسلة رجال من سلاسل الطرق الصوفيّة** . . هذا من ناحية .

ومن ناحية ثانية ، كلّما أراد صوفيّ متأخّر أن يستبرأ لنفسه من «البدع» ومن «المستحدثات في التصوّف» ، نجد أنّه ينسب نفسه للجنيد ، فيقول : إنّي جنيديّ في التصوّف . . وبمراجعة الفصل الذي أفرده الهجويري للجنيديّة ، يتضّح لنا صدق هذه المقولة . . يتّبع الهجويري خطى السلف الصوفيّ ، فيقول إنّ شيخه أبا الفضل محمّد بن الحسن الختلي كان مريدًا لأبي الحسن الحصري [ت ٣٧١ هـ] ، وكان

---

(١) انظر : محمد سعيد الكردي، **الجنيد**. مطابع الهلال بدمشق ١٩٤٨م. وهذا الكتاب يتتبع عددا كبيرا من سلاسل الطرق الصوفية التي يمثل الجنيد كحلقة في متواصل رجالها.

الحصري مريداً للشبليّ ، والشبلي مريداً للجنيد . . إذن أستاذ الهجويري جنيديّ في التصوّف . . وكذا أستاذ الهجويري الثاني وهو أبو القاسم عليّ الجرجاني ، فهو جنيدي ينتسب للجنيد بثلاث حلقات : الجرجاني مريد أبي عثمان المغربي ، المغربي مريداً لأبي على الكاتب ، والكاتب مريداً لأبي عليّ الروذباري ، والروذباري مريداً للجنيد[1] . . . وهكذا ، لا يخلو صوفي من إيجاد نسب مباشر متّصل أو غير متّصل بالجنيد .

لقد حقّق الجنيد معادلة صعبة بين «جوانيّة» التجربة الصوفيّة وفرادتها وبين «برّانيّتها» وتمظهرها للنّاس . . فلم يأخذه الباطن بعيداً عن الناس ، كما لم يشغله الناس ومهامّ التعليم والتربية والإرشاد عن مواجيده . لقد عاش على «الأعراف» بين نفسه وبين الناس . . فعرفه النّاس ، وفهموا تجربته إلى حدّ بعيد وانتسبوا إليه ، وحفظوا له مكانة في سلسلة الرّجال والمعارف .

هذا «الصحو للآخر» الذي جهد الجنيد بالمحافظة عليه ، أرسى دوره في عصره ، ومكّنه من مدّ ظلّه على الأجيال اللاحقة . . فاعترف بعلمه وحاله حتى أكثر العلماء «عداءً للصوفيّة» .

وأحبّ أن ألفت النّظر ، إلى أنّ هذا الإلحاق للجنيد بسلاسل الصوفيّة ، وتكريس طريقة له تُسمّى «بالجنيديّة» كما قال الهجويري ، مسألة خاضعة للنقاش ، إذ عاش الجنيد في القرن الثالث الهجري ، ولم يكن بعد ظهور للطّرق الصوفيّة بشكلها المعروف . لذلك ، فالجنيد لم يؤسّس طريقة صوفيّة ، وإنّما كان صاحب فكر صوفيّ ونهج تربويّ مارسه بين أصحابه ، دون أن تتحوّل علاقة الصحبة والتربية لديه ، إلى علاقة «تسليك» يقوم به الشيخ مع مريده .

---

(١) راجع **كشف المحجوب** ص ٥٧ و ص ٥٩ و ص ٦١ .

٥ـ الجنيد النّاقد .

يتّضح من الفقرات السّابقة كلّها ، كيف أنّ الجنيد لم يُعنَ بتجربته فقط لجهة نقد العمل ، بل ألقي بطرفه إلى تجارب معاصريه ؛ أيّد بعضها ، وعظّم بعضها ، وأسف من تقصير بعضها وهكذا . .

فأحمد بن أبي الحواري ريحانة الشّام ، وخير النسّاج هو خير صوفيّة الزمان ، والنّوري بموته ارتفع ـ في زمانه ـ الإخبار بحقيقة الصّدق ، والشبليّ سكران لو أفاق جاء منه إمام يُنتفع به[1] ، وحاتم الأصمّ هو صدّيق الزّمان[2] ، وإبراهيم بن أدهم هو مفاتيح العلوم[3] . . كما شهد لسريّ السّقطي بأنّه أعبد أهل زمانه ، وفسّر شطحات أبي يزيد البسطامي وأعطى فيها أحكامًا . .

باختصار ، لقد اتّخذ الجنيد معياراً يزن به رجال الصوفيّة ، وكان معياره : الالتزام بالشريعة ، إثراء العلم الإسلامي بالمعارف الصوفيّة ، التطابق بين اللّسان والعمل ، وأخيراً الصحو لا السُّكْر .

---

(١) كشف المحجوب ص ٦٦٣ .
(٢) كشف المحجوب ص ٣٢٦ ؛ «صدّيق زماننا حاتم الأصمّ [ت ٢٣٧ هـ]»
(٣) كشف المحجوب ص ٣١٥ .

IV ـ هــذا الكتــاب

على الرّغم من المكانة المهمة التي احتلّها الجنيد في زمنه وفي العصور اللاحقة وصولاً إلى اليوم ، إلاّ أنّ معرفتنا بالشّخص وبأفكاره ـ لا تزال مبهمة ، ويسودها إرباك ناتج عن تبعثر أعماله وتناثرها في كتب الطبقات والتراجم .

لذلك ، جهدتُ في أن أجمع الإرث العلميّ للجنيد البغداديّ في كتاب واحد ، يأخذ مكانه في مكتبة العلوم الإسلاميّة ، ويُساعد القارئ على الإحاطة بملامح الجنيد ، وبتفاصيل تجربته الوجدانيّة .

وقد جعلتُ الكتاب على ستّة أقسام تبعًا للموضوع ؛ وهذه الأقسام الستّة هي التالية :

القسم الأوّل .. أقوال الجنيد

رجعتُ إلى عشرات من كتب الصوفيّة والتّراجم والتّاريخ ، تتبّعتُ فيها اسم الجنيد ، ونقلتُ جميع ما وقع تحت يدي من أقواله . . سواء منها ما كان نصًّا يخصّه ، أو نصًّا يرويه عن غيره . .

ارتفع عدد الأقوال إلى حوالي الستماية نصّ ؛ رتّبتُها بحسب الموضوعات ، وجعلت لكلّ مجموعة منها عنوانًا ، ثمّ سلسلتُ العناوين بحسب حروف الهجاء . . جاءت الأقوال مرتّبة على شكل المعجم ، ولكن ـ للأسف ـ هذا الترتيب المعجمي «يخون» أقوال الجنيد ، لأنّ النصّ الواحد ، وإن حشرناه تحت عنوان واحد ، إلاّ أنّه يحتمل أن يوضع تحت عناوين كثيرة تتعدّد بعدد كلماته كلّها .

القسم الثّاني .. كتب ومقطوعات

نملك عدّة كتيّبات صغيرة للجنيد البغدادي ، أعدتُ جمعها وتحقيقها استنادًا إلى

المطبوع منها والمخطوط . نتج عن عملي هذا حوالي خمسة كتب ، يدور معظمها حول التوحيد ، ليس على صعيد النظريّة ، بل على مستوى الحياة .

بعد أن أوردتُ كتب الجنيد ، ألحقتُ بها حوالي الإحدى عشرة مقطوعة . . واخترتُ لبعض المقطوعات غير المعنونة عناوين تتناسب مع مضمونها .

القسم الثّالث .. رسائل ومقدّمات

رجعتُ إلى رسائل الجنيد المطبوعة ، وإلى كتب الطبقات والتّراجم حتى أحصيْتُ حوالي أربع عشرة رسالة كتبها الجنيد إلى أشخاص بعينهم ، أو جاءت مغفلة لا تحملُ اسم المُرسَلَة إليه . .

وقد ألحقتُ بهذه الرّسائل ، مقدّمات رسائل وجدتُها في كتب الطبقات ، وعددها خمس .

القسم الرّابع .. أشعار الجنيد

ترك الجنيد القليل من الشّعر ، وقد جمعت هذا القليل بالإضافة إلى الشّعر الذي رواه ، وهو لغيره . . وقد رتّبتُ القصائد ـ جريًا على التقليد الشّعري ـ بحسب قوافيها ، وسلسلتها انسجامًا مع حروف الهجاء .

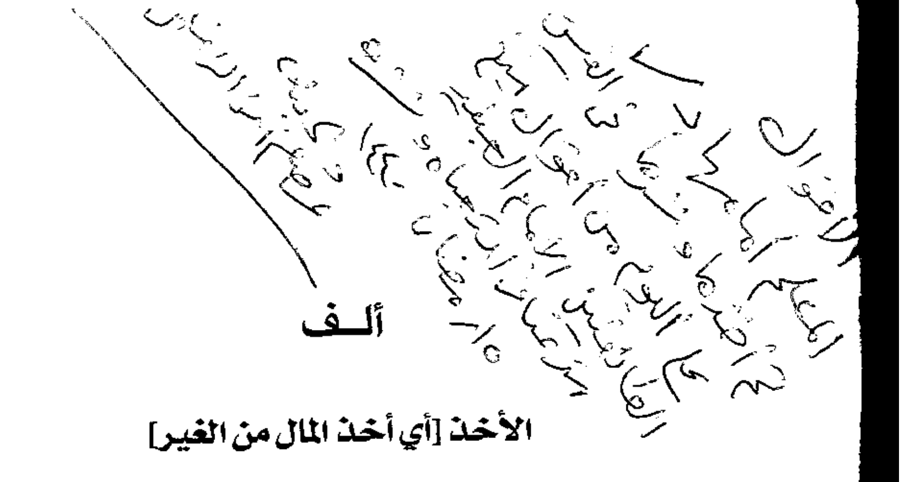
القسم الخامس .. أدعية ونجوى

لقد ارتأيْتُ أن أخصّ الأدعية بقسم منفرد ، ولم ألحقها بالأقوال ، وإن كانت تحتمل أن توضع ضمنها . وذلك تأكيداً على أهميّة الدّعاء ، وقناعة منّي بأنّ الصيغة التي يُخاطب فيها الإنسان ربّه هي أكثر الصّيغ دلالة على حقيقته . . عندما يُخاطب الإنسان ربّه ، يحضر كلّه ، تحضر لغته كلّها ، تحضر أفكاره كلّها . . يصبح كلّه ظاهراً . . وهذا الخروج الكليّ للإنسان يستحقّ أن يحظى منّا بكل اهتمام .

القسم السّادس ..كتاب السّر في أنفاس الصوفيّة

لقد وضعتُ في الأقسام الخمسة السابقة ، ما وقع في وهمي أنّه يُنسب حقيقة للجنيد البغداديّ ، لذلك جعلتُ «كتاب السرّ» على شكل ملحق ، لأنّه كتاب وإن نُسب للجنيد من قبل بروكلمان ، ومن قبل النّاسخ للمخطوطة ، إلاّ أنّه بالتأكيد ليسَ للجنيد البغدادي ، وهو يضمّ أقواله وأقوال غيره من متصوّفة عصره . . لذلك ارتأيْتُ أن ألحقه بالكتاب ، وأن أقتصر على إثبات أقوال الجنيد دون غيره .

أقوال الجُنيد



ألف

الأخذ [أي أخذ المال من الغير]

قال الجنيد للخراساني، الذي جاءه بمال وسأله أن يأكله: بل أفرّقه على الفقراء. فقال: أنا أعلم بالفقراء منك، ولم أختر هذا. فقال الجنيد: أنا أؤمل أن أعيش حتى آكل هذا؟ فقال: إني لم أقل لك أنفقه في الخل والكامخ والبقل، إنما أريد أن تنفقه في الطيبات وألوان الحلاوة، فكلما نفد أسرع كان أحبّ إليّ. فقال الجنيد: مثلك لا يحل أن يُرَدّ عليه، فقبله. فقال الرجل: ما ببغداد أحد أعظم منّة عليّ منك. فقال الجنيد: وما ينبغي لأحد أن يُقْبَل منه إلا من كان مثلك [1].

حُكيَ عن الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ أنَّه قال: لايصح لأحد الأخذ [أي أخذ صدقة] حتى يكون الإخراج أحبَّ إليه من الأخذ [2].

وقال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ: حملتُ دَرَاهم إلى حسين بن المصري، وكانت امرأته قد ولدت، وهم في الصحراء، وليس لهم جار. فأبى أن يقبلها منِّي. فأخذتُ الدراهم، ورميت [بها] في الحجرة التي كانت فيها المرأة، وقلت: أيّتها المرأة هذه لك. فلم يكن له حيلةٌ فيما فَعَلْتُ [3].

حُكي عن الجنيد أنَّه قال: ذهبتُ يوماً إلى ابن الكَرَنْبي ومعي دراهم أريدُ أن أدفعها إليه، وكان عندي أنه لا يعرفني، وسألت أن يأخذ ذلك، فقال: أنا عنه

---

(١) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج٢ / ص٤١٤، كما ورد في **طبقات الأولياء**، ابن الملقن، ص١٣١، كما ورد أيضاً في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٢٠٨.

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٦٢، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص ٥٧٨؛ ونصه: «لا يصلح السؤال إلا لمن العطاء عنده أحبّ إليه من الأخذ».

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص ٢٦٣.

مستغن. وأبى أن يأخذ مني. فقلت له: إن كنتَ [أنت] عنها مستغنياً فأنا رجل من المسلمينّ أسَرُّ بأخذك لها، فتأخذها لإدخال السرور عليَّ. فأخذها مني [1].

(٥) يقول أبو طالب المكي، إن الصوفيين اختلفوا في الأخذ: [هل الأخذ] من الواجب أفضل أم التطوع؟ ورأت طائفة أن تأخذ من الواجب ولا تقبل من التطوع، لأن الفقراء إن تواطئوا على ألا يقبلوا الزكوات أثموا جميعاً. ورأت طائفة أخرى أن تأخذ من النوافل دون الفرائض حتى لاتزاحم المساكين في حقوقهم، وعلّها لاتكمل أوصافهم. وممن ذهب إلى هذا أبوالقاسم الجنيد [2].

(٦) حدثنا بعض إخواننا عن شيخ له، فقال: رأيت أبا الحسين النُّوري يمدّ يده ويسأل الناس في بعض المواطن، قال: فأعظمتُ ذلك واستقبحته. فأتيتُ الجنيد، فأخبرته. فقال الجنيد: لا يعظم هذا عليك، فإن النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم. إنما سأل لهم ليثيبهم من الآخرة، فيؤجرون من حيث لا يضرّه. ثم قال الجنيد: هات الميزان. فوزن مائة درهم، ثم قبض قبضة فألقاها على المائة، ثم قال: احملها إليه. قال [الشيخ]: قلت في نفسي: إنما يوزن الشيء ليُعرف مقداره، فهذا قد خلط منه شيئاً آخر فصار مجهولاً، وهو رجل حكيم، فاستحييتُ أن أسأله عن ذلك. قال: فذهبت بالصرة إلى النوري. فقال: هات الميزان. فوزن مائة درهم، وقال: ردّها عليه، وقل له: أنا لا أقبل منك أنت شيئاً. وأخذ ما زاد على المائة. قال: فقلت هذا أعجب، فسألته: لمَ فعلت هذا؟ فقال: الجنيد رجل حكيم، يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه، وَزَنَ هذه المائة لنفسه للثواب من الآخرة، وطرح عليها قبضة بلا وَزْن للّه عزَّ وجلَّ، فأخذتُ ما كانت للّه عزَّ وجلَّ، ورددتُ ما كان جعله لنفسه. قال [الشيخ]: فرددتها إلى الجنيد. فبكي. وقال: أخذ ماله ورد لنا مالنا [3].

* * *

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٦٣.

(٢) النص من **قوت القلوب**، أبي طالب المكي، ج٢/ ص٤٢٢، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج١/ ص٢٣٠.

(٣) النص من **قوت القلوب**، أبي طالب المكي، ج٢/ ص ص٤١٦-٤١٧، كما ورد أيضاً في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص ص٢١٥-٢١٦

أخوة

قال رجلٌ للجنيد : قد عزَّ في هذا الزمان أخ في اللّه تعالى . قال : فسكت عنه ، ثم أعاد ذلك ، فقال له الجنيد : إذا أردت أخاً في اللّه عزَّ وجلَّ ، يكفيك مؤنتك ، ويتحمل أذاك ، فهذا لعمري قليلٌ . وإن أردت أخاً في اللّه ، تتحمل أنت مؤنته ، وتصبر على أذاه ، فعندي جماعة أدلّك عليهم إن أحببت (١) .

قال الجنيد : ما تواخى اثنان في اللّه فاستوحش أحدهما من صاحبه ، أواحتشم ، إلا لعلّة في أحدهما (٢) .

* * *

أدب

قال الجنيد : الأدب أدبان : [أدب]السر ، و [أدب]العلانية . فالأول طهارة القلب من العيوب . والعلانيةحفظ الجوارح من الذنوب (٣) .

* * *

إذن بالكلام

قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ : الصواب كلُّ نطق عن إذن (٤) .

قال الجنيد : ما تكلّمت على الناس حتى أشار إليَّ ، وعليَّ ، ثلاثون من البدلاء : إنّك تصلح أن تدعو إلى اللّه عزَّ وجلَّ (٥) .

---

(١) النص من **قوت القلوب**، أبي طالب المكي ، ج٢/ ص ص٤٦٧-٤٦٨ ، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي ، ج٢/ ص١٨٩ .

(٢) النص من **إحياء علوم الدين** ، الغزالي ، ج٢/ ص١٨٩ ، كما ورد في **عوارف المعارف** ، السّهروردي ، ص٢٥٢ .

(٣) النص من **طبقات الأولياء**، ابن الملقن ، ص ص١٢٧-١٢٨ .

(٤) النص من **اللمع** ، الطوسي ، ص٣٠٣ .

(٥) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف** ، الكلاباذي ، ص١٧٣ .

(١٢) قال الجنيد: قال لي خالي، سَريّ السَّقطي: تكلَّمْ على الناس. وكان في قلبي حشمة من ذلك، فإني كنت أتّهم نفسي في استحقاقي ذلك. فرأيت ليلة في المنام رسول الله ﷺ، وكان ليلة جمعة، فقال لي: تكلّم على الناس. فانتبهت، وأتيت باب السّري قبل أن أصبح، فدقَقتُ الباب، فقال: لم تصدِّقنا حتى قيل لك. فقعدت في غدٍ للناس، بالجامع [١].

(١٣) قال الجنيد: لولا أنه يروي أنّه يكون في آخر الزمان زعيمُ القوم أرذلَهم، ماتكلّمتُ عليكم [٢].

(١٤) قال الجنيد: قلت لابن الكَرَنْبي ـ رحمه الله ـ: الرجل يتكلَّم في العلم الذي لايبلغ استعماله علمه، فأحبّ إليك إذا كان هذا وصفه، أن يسكت، أو يتكلم؟ فأطرق، ثم رفع رأسه، فقال: إن كنتَ هو فتكلّم. [٣].

* * *

إشـــارة

(١٥) دخل رجل على الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ فسأله عن مسألة، فأشار الجنيد بعينه إلى السماء. فقال له الرجل: يا أبالقاسم لا تشر إليه، فإنه أقرب إليك من ذلك. فقال الجنيد: صدقت. وضحك [٤].

(١٦) سُئل الزقاق ـ رحمه الله ـ عن المريد، فقال: حقيقة المريد أن يشير إلى الله تعالى، فيجد الله مع نفس الإشارة، وقيل له: فالذي يستوعب حاله؟ قال: هو أن يجد الله بإسقاط الإشارة. وهذه المسألة تُعْرف للجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ [٥].

---

(١) النص من **طبقات الأولياء**، ابن الملقن، ص١٢٨، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٩٣، كما ورد في **وفيات الأعيان**، لابن خلكان، ج١/ ص٣٧٣، وفي **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، مج٢/ ص٢٢٨ كما ورد في **البداية والنهاية**، ابن كثير مج ١١ـ١٢ص ٨٦، مج١٢/ ص١١٤، كما ورد في **روض الرياحين**، اليافعي، ص١١٣ .

(٢) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٣، كما ورد في **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤٢٠ .

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٤١ .

(٤) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٩٥ .

(٥) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٩٥ .

حكى عن الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ أنه قال لرجل: هو ذا تُشير يا هذا؟ فكم تشير إليه؟ دَعْهُ يُشِرْ إليك [1].

يقول الجنيد: من أشار إلى غير الله تعالى وسكن إلى غيره ابتلاه بالمحن، وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه، فإن انتبه وانقطع إلى الله وحده كشف الله عنه المحن، وإن دام على السكون إلى غيره نزع الله من قلوب الخلائق الرحمة عليه، وألبسه لباس الطمع فيهم، فتزداد مطالبته منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم، فيصير حياته عجزاً، وموته كمداً، وآخرته أسفاً. ونحن نعوذ بالله من الركون إلى غير الله. [2].

* * *

أصول

قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ: النقصان في الأحوال، هي فروع لاتضرّ. وإنما يضرّ التخلّف مثقال ذرّة في حال الأصول. فإذا أحكمتَ الأصول لم يضرّ نقص في الفروع [3].

* * *

أكل

قال الجنيد: مؤاكلة الإخوان رضاع؛ فانظروا من تواكلون [4].

* * *

إيمان

قال أبو القاسم البغدادي: الإيمان هو الذي يجمعك إلى اللّه. ويجمعك باللّه. والحق واحد. والمؤمن متوحد. ومَنْ وافق الأشياء فرّقته الأهواء. ومَنْ تفرّق عن

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٩٥.
(٢) النص من **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ص ص٨٤-٨٥.
(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٨٩.
(٤) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، المناوي، ص٥٧٨.

اللّه بهواه، وتبع شهوته ومايهواه، فَاتَهُ الحق. ألا ترى أنه تعالى أمرهم بتكرير العقود عند كل خطرة ونظرة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النّساء/ ١٣٦] (١).

(٢٢) سُئل الجنيد عن «الإيمان» ما هو؟ فقال: الإيمان هو التصديق والإيقان، وحقيقة العلم بما غاب عن الأعيان، لأن المُخْبر لي بما غاب عني، إن كان عندي صادقاً لايعارضني في صدقه ريب ولا شك، أوجب عليَّ تصديقي إياه إن ثبت لي العلم بما أخبر به، ومن تأكيد حقيقة ذلك أن يكون تصديق الصادق عندي يوجب عليّ أن يكون ما أخبرني به كأني له مُعَاين. وذلك صفة قوة الصدق في التصديق. وقوة الإيقان الموجب لاسم الإيمان. وقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال لرجل: «اعبد اللّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». فأمره بحالتين، إحداهما أقوى من الأخرى، لأني كأني أرى الشيء، بقوة العلم به، وحقيقة التصديق له، أقوى من أن أكون أعلم أن ذلك يراني، وإن كان علمي بأنه يراني حقيقة علم موجبة للتصديق، والمعنى الأول أولى وأقوى، والفضل بجمعهما على تقديم إحداهما على الأخرى (٢).

(٢٣) سُئل الجنيد: «عن علامة الإيمان»، قال: الإيمان علامتُه طاعةُ من آمنتُ به، والعمل بما يحبّه ويرضاه. وترك التشاغل عنه بشيء ينقضي عنده، حتى أكون عليه مقبلاً. ولموافقته مؤثراً، ولمرضاته متحرّياً، لأن من صفة حقيقة علامة الإيمان ألا أوثر عليه شيئاً دونه، ولا أتشاغل عنه بسبب سواه، حتى يكون المالك لسرّي، والحاثّ لجوارحي، بما أمرني من آمنتُ به وله عرفت، فعند ذلك تقع الطاعة للّه على الاستواء، ومخالفة كلّ الأهواء، والمجانبة لما دعتْ إليه الأعداء، والمتاركة لما انتسب إلى الدنيا، والإقبال على من هو أولى، وهذه بعض الشواهد والعلامات فيما سألتَ عنه، وصفةالكلّ يطول شرحه (٣).

---

(١) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٠٠.
(٢) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص ص٢٦٥-٢٦٦.
(٣) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٦.

سُئل الجنيد: «ما الإيمان»، فقال: هذا سؤال لا حقيقة له، ولا معنى ينبئ عن مزيد من علم، وإنما هو الإيمان بالله جلّ ثناؤه مجرداً، وحقيقته في القلوب مفرداً، وإنما هو ما وقر في القلب من العلم بالله، والتصديق، بما [الأصل: وبما] أخبر من أموره في سائر سمواته وأرضه، مما ثبت في الإيقان، وإن لم أره بالعيان، فكيف يجوز أن يكون للصدق صدق، وللإيقان إيقان، وإنما الصدق فعل قلبي، والإيقان ما استقر من العلم عندي، فكيف يجوز أن يفعل فعلى، وإنما أنا الفاعل، أو يعلم علمي، وإنما أنا العالم. والسؤال في الابتداء غير مستقيم، ولو جاز أن يكون للإيمان إيمان، وللتصديق تصديق، جاز أن يُوالي ذلك ويكرِّر إلى غاية تكثر في العدد، وجاز أن يكون كما عاد على ثواب إيماني وثواب تصديقي أن يعود على إيمان إيماني ثواب، وعلى تصديق تصديقي جزاء. ولو أردت استقصاء القول في واجب ذلك لاتسع به الكتاب، وطال به الخطاب، وهذا مختصرمن الجواب (١).

* * *

أنس

سُئل الجنيد ـ رحمه الله ـ عن «الأنس بالله» فقال: ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة (٢).

قال أبو القاسم الجنيد ـ رحمه الله ـ: اطِّراح هذه الأُمة من المروءة، والاستئناس بهم حجاب عن الله تعالى، والطمع فيهم فقر الدنيا والآخرة (٣).

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٦ .

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٩٧، كما ورد في **عوارف المعارف**، السَّهروردي، ص٣٠٠، كما ورد في **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٢٦ .

(٣) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٩، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٣ .

(٢٧) يقول الجنيد: كان الحارث بن أسد يجيء إلى منزلنا، فيقول: أخرج معي نصحر. فأقول له: تُخرجني من عزلتي وأمني على نفسي، إلى الطرقات، والآفات، ورؤية الشهوات. فيقول: أخرج معي ولاخوف عليك. فأخرج معه. فكأنّ الطريق فارغٌ من كل شيء، لا نرى شيئاً نكرهه. فإذا حصلتُ معه في المكان الذي يجلس فيه، قال لي: سلني. فأقول له: ما عندي سؤال أسألك. فيقول: سلني عما يقع في نفسك. فتنثال عليّ السؤالات. فأسأله عنها. فيجيبني عليها في الوقت. ثم يمضي إلى منزله فيعملها كتباً[1].

(٢٨) يقول الجنيد: كنت أقول للحارث كثيراً: عزلتي، وأنسي، وتخرجني إلى وحشة رؤية الناس والطرقات! فيقول لي: كم تقول أنسي وعزلتي! لو أن نصف الخلق تقرّبوا منّي ما وجدتُ بهم أنْساً. ولو أن النصف الآخر نأوا عني ماستوحشتُ لبُعْدهم[2].

(٢٩) قال الجنيد: أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة. وقال مرة: لو سمعها العموم لكفّروهم، وهم يجدون المزيد في أحوالهم بذلك. وذلك يُحتَمَل منهم ويليق بهم، وإليه أشار القائل:

قومٌ تَخَالجهم زهو بسيّدهم والعبدُ يَزْهو على مِقْدَارِ مولاه

تاهوا برؤيته عما سواه له يا حُسْن رؤيتهم في عزّ ما تاهوا[3]

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٥٥.
(٢) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص ص٢٥٥-٢٥٦.
(٣) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٣٤١.

بـاء

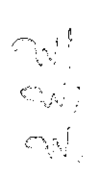
بدء

قال الجنيد: إنّ اللّه تعالى يعامل عباده في الآخر على حسب ما عاملهم في الأول: بَدَأهم تكرّماً، وأمرهم ترحّماً، ووعدهم تفضّلاً، ويزيدهم تكرّماً. فمن شهد برَّه القديم سهل عليه أداء أمره. ومن لزم أمره أدركه وعده، ومن فاز بوعده لابدّ أن يزيده من فضله (١).

* * *

إبليس

قال الجنيد: رأيت إبليس في المنام كأنّه عريان، فقلتُ له: أما تستحي من الناس؟فقال: يا للّه! هؤلاء عندك من النّاس؟! لو كانوا منهم ما تلاعبتُ بهم كما تتلاعب الصّبيان بالكُرة، ولكن النّاس غير هؤلاء. فقلت: ومن هم؟قال: قوم في مسجد الشونيزي، قد أضنوا قلبي، وأنْحَلوا جسمي، كلّما هممتُ أشاروا باللّه، فأكاد أحْرَق فانتبهتُ ولبستُ ثيابي، وأتيتُ مسجد الشونيزي وعليّ ليل، فلمّا دخلتُ المسجد إذا أنا بثلاثة أنفس [قيل هم أبو حمزة، وأبوالحسين النوري، وأبوبكرالزقاق]جلوس، ورؤوسهم في مرقّعاتهم، فلمّاأحسّوا بي قد دخلت، أخرج أحدهم رأسه وقال يا أبا القاسم، أنت كلّما قيل لك شيء تَقْبَله! (٢).



---

(١) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص٧٨ .

(٢) النص من **طبقات الأولياء**، ابن الملقن، ص ١٣٢، كما ورد أيضاً في **الرسالة القشيرية** ج٢/ ص ٧٢١ [مع تعديل بسيط: «فلما رأوني قالوا: لا يغرّنك حديث الخبيث»]، وفي **إحياء علوم الدين**، الغزالي ج ٤/ ص٥٠٩، كما ورد أيضاً في **جامع كرامات الأولياء**، للنبهاني، ص٣٨٥، وورد أيضاً في **روض الرياحين**، اليافعي، ص١١٢

(٣٢) يقول الجنيد: رأيت إبليس في النوم، فقلت: يا لص إيْش مقامك ها هنا؟ فقال: وإيش ينفعني قيامي، لو أن النّاس كلهم مثلك ما نفعتني لصوصيتي شيئا [(١)].

(٣٣) يقول الجنيد: لقيتُ إبليس يمشي في السّوق عرياناً، وبيده كسرة خبز يأكلها، فقلت له: أما تستحي من الناس؟ فقال: يا أبا القاسم، وهل بقي على وجه الأرض أحد يُستحي منه، مَنْ كان يُستحى منهم تحت التراب، قد أكلهم الثَّرى [(٢)].

(٣٤) دخل إبليسُ على الجنيد في صورة نقيب [رتبة صوفية]، وقال: أريدُ أن أخدمكَ بلا أجرة. فقال له الجنيد: افعل. فأقام يخدمه عشر سنين، فلم يجد قلبَه غافلاً عن ربِّه لحظةً واحدة. فطلب الانصراف، وقال له: أنا إبليس. فقال: عرفتك من أوَّل ما دخلت، وإنما استخدمتك عقوبةً لك؛ فإنَّه لاثواب لأعمالك في الآخرة. فقال: مارأيت قوتك يا جُنيد! فقال له: اذهب يا ملعون، أتريدُ أن تُدخلَ عليَّ الإعجاب بنفسي؟ ثم خرج خاسئاً [(٣)].

(٣٥) قال الجنيد: رأيت إبليس في النوم، فقلت له: هل تظفر من أصحابنا بشيء أو تنال منهم شيئاً؟ فقال: إنه يعسر عليَّ شأنهم، ويعظم عليَّ أن أصيب منهم شيئاً، إلا في وقتين. قلت: أي وقت؟ قال: وقت السماع وعند النظر، فإني أسترقي منهم فيه وأدخل عليهم به. قال الجنيد: فحكيت رؤياي لبعض المشايخ، فقال: لو رأيتَه قلتُ له «يا أحمق»، مَنْ سمع منه [أي من الله عز وجل] إذا سمع، ونظر إليه إذا نظر، أتربح أنت عليه شيئاً، أو تظفر بشيء منه؟فقلت: صدقتَ [(٤)].

* * *

بدل ـ الأبدال

(٣٦) قال الجنيد: حضرتُ إملاك بعض الأبدال من النساء ببعض الأبدال من الرجال، فما كان في جماعة من حضر إلا مَن ضرب بيده إلى الهواء، فأخذ شيئاً وطرحه،

---

(١) النص من **تاريخ بغداد**، للبغدادي، مج٧/ ص٢٤٦ .

(٢) النص من **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٥ .

(٣) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص ص٥٧١-٥٧٢ .

(٤) النص من **عوارف المعارف**، السّهروردي، ص١٠٧، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٢/ ص٣٠٢ .

من در وياقوت، وما أشبهه. فضربت بيدي. فأخذت زعفراناً وطرحته. فقال لي الخضرُ ـ عليه السلام ـ: ما كان في الجماعة مَن أهدى ما يصلح للعرس غيرك [1].

حكي عن الجنيد ـ رضي اللّه عنه ـ قال: كنت في مسجد الجامع مرة، فإذا برجل قد دخل إلينا وصلّى ركعتين، ثم امتد ناحية من المسجد، وأشار إليّ، فلما جئته، قال لي: يا أبا القاسم، إنه قد حان لقاء اللّه تعالى ولقاء الأحباب، فإذا فرغتُ من أمري، فسيدخل عليك شاب مغنّ فادفع إليه مرقعتي وعصاي وركوتي. فقلت: إلى مغنّ وكيف يكون ذلك؟ قال: إنه قد بلغ رتبة القيام بخدمة اللّه تعالى في مقامي. قال الجنيد: فلما قضى الرجل نحبه وفرغنا من مواراته، إذا نحن بشاب بصريّ قد دخل علينا وسلّم، وقال: أين الوديعة يا أبا القاسم؟ فقلتُ: وكيف ذاك؟ أخْبرنا بذلك. قال: كنتُ في مشربة بني فلان، فهتف بي هاتف أن قُمْ إلى الجنيد وتسلّم ما عنده، وهو كيت وكيت، فإنك قد جُعلتَ مكان فلان الفلاني من الأبدال. قال الجنيد: فدفعت إليه ذلك، فنزع ثيابه واغتسل، ولبس المرقعة، وخرج على وجهة نحو الشام [2].

* * *

بكاء

سُئل الجنيد من أي شيء يكون بكاء المحبّ إذا لقي المحبوب؟ فقال: إنما يكون ذلك سروراً به، ووَجْداً من شدّة الشوق إليه. ولقد بلغني أنّ أخوين تعانقا، فقال أحدهما: واشوقاه، وقال الآخر: وَاوَجْدَاه [3].

* * *

---

(١) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٧٠ [يورد الناشر «الحُضَّر» بدل «الخضر»] كما ورد في **جامع كرامات الأولياء**، النبهاني، ص٣٨٤، كما ورد في **روض الرياحين**، اليافعي، ص٣٢، [اليافعي يورد «العرش بدل «العرس»].

(٢) النص من **نشر المحاسن**، اليافعي، ص١٣٦، كما ورد في **روض الرياحين**، اليافعي، ص١٤٤

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٣٢

بــلاء

(٣٩) يقول الجنيد: البلاء على ثلاثة أوجه: على المخلّطين عقوبات، وعلى الصادقين تمحيص جنايات، وعلى الأنبياء من صدق الاختيارات [١].

* * *

تـــاء

توبة

(٤٠) وسُئل الجنيد عن «التوبة» فقال: هو أن تنسى ذنبك. قال أبو نصر السراج: أشار الجنيد إلى توبة المحققين، فإنهم لا يذكرون ذنوبهم بما غلب على قلوبهم، من عظمة اللّه تعالى، ودوام ذكره [٢].

(٤١) قال الجنيد: دخلت يومًا على سريّ السقطي، فرأيت عليه همًا، فقلت: أيها الشيخ أرى عليك همًا. فقال: الساعة دقّ عليّ داقّ الباب، فقلت: ادخل. فدخل عليّ شابٌ في حدود الإرادة، فسألني عن معنى التوبة، فأخبرته، وسألني عن شرط التوبة، فأنبأته. فقال: هذا معنى التوبة، وهذا شرطها، فما حقيقتها؟ فقلت: حقيقة التوبة عندكم ألاّ تنسى ما من أجله كانت التوبة. فقال: ليس هو كذلك عندنا. فقلت له: فما حقيقة التوبة عندكم. فقال: حقيقة التوبة ألا تذكر مامن أجله كانت التوبة. وأنا أفكر في كلامه. قال الجنيد: فقلت: ما أحسن ماقال. قال لي: يا جنيد، وما معنى هذا الكلام؟ فقال الجنيد: ياأستاذ، إذا كنتُ معك في حال الجفاء، ونقلتني من حال الجفاء إلى حال الصفاء، فذكري للجفاء في حال الصفاء غفلة [٣].

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧١ .

(٢) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٥٣٨، ويفسّر الهجويري هذا القول بالآتي: «لأن التائب يكون محبًا، والمحب يكون في المشاهدة، وذكر الجفاء في المشاهدة جفاء، فيكون أوقاتًا مع الجفاء، وأوقاتًا مع ذكر الجفاء، وذكر الجفاء حجاب عن الصفاء»، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢٥٩، كما ورد في **اللمع**، الطوسي، ص٦٨، كما ورد في **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١١١ .

(٣) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٤ .

قال الجنيد: ودخلت على سري السقطي يوماً، فرأيت عليه همّاً، فقلت: أيّها الشيخ أراك مشغول القلب. فقال: أمس كنت في الجامع، فوقف عليّ شاب، وقال لي: أيها الشيخ، يعلم العبد أنّ اللّه تعالى قد قبله؟ فقلت: لا يعلم. فقال: بلى يعلم. وقال لي ثانياً: بلى يعلم. فقلت له: فمن أين يعلم؟ قال: إذا رأيتُ اللّه عزّ وجلّ قد عصمني من كلّ معصية، ووفقني لكلِّ طاعة، علمتُ أنّ اللّه تبارك وتعالى قد قبلني [1].

قال أبو القاسم البغدادي: سمعت النوري يقول: كنّا ليلة العيد مع أبي الحسن النوري، في مسجد الشونيزي، فدخل علينا إنسان. فقال للنوري: أيها الشيخ، غداً العيد، ماذا أنت لابسه؟ فأنشأ يقول:

قالوا: غداً العيدُ ماذا أنت لابسه ... فقلتُ خلعةَ ساق عبدَه جُرعا

فقرٌ وصبرٌ هُما ثوباي تحتَهُمَا ... قلبٌ يَرى ربَه الأعيادَ والجُمَعَا

أحرَى الملابسَ أن تلقَى الحبيبَ بها ... يومَ التزاوُر في الثوب الذي خَلعَا

الدهرُ لي مأتم إن غِبتَ يا أملي ... والعيدُ ما دُمتَ لي مَرأى ومُستمعا [2]

يقول الهجويري: يجب ألا تكون التوبة من كسب العبد، لأنهاموهبة من مواهب الحق، سبحانه وتعالى. وهذا القول يتعلّق بمذهب الجنيد [3].

قال الجنيد: ـ رحمه اللّه ـ في معنى قول النبي ﷺ: استغفروا اللّه وتوبوا إليه، فإني أستغفر اللّه وأتوب إليه في اليوم مائة مرة أو كما قال؛ قالوا كان حال النبي ﷺ مع اللّه تعالى: زيادة في كل نَفَس وطرفة عين، فكان إذا رقي به إلى زيادة حال أشرف من زيادته على حالته في النَّفَس الماضي، استغفر اللّه من ذلك وتاب إليه [4].

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٤

(٢) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١١٤

(٣) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٥٤١

(٤) النص من **اللمع**، الطوسي، ص١٦١

(٤٦) قال الجنيد: سمعت الحارث يقول: ما قلت قط: اللهمّ إني أسألك التوبة، ولكني أقول: أسألك شهوة التوبة (١).

(٤٧) يقول الجنيد: التوبة على ثلاثة معان: أولها الندم. والثاني العزم على ترك المعاودة إلى ما نهى اللّه عنه. والثالث السعي في أداء المظالم (٢).

(٤٨) قال الجنيد: دخلت على السريّ يوماً، فرأيته متغيراً، فقلت له: ما لك؟ فقال: دخل عليَّ شاب فسألني عن التوبة، فقلت له: ألاّ تنسي ذنبك، فعارضني وقال: بل التوبة أن تنسي ذنبك. فقلت [الجنيد]: إنّ الأمر عندي ما قاله الشاب، فقال: لم؟ قلت: لأني إذاكنتُ في حال الجفاء فنَقَلَني إلى حال الوفاء، فذكْرُ الجفاءِ في حالِ الصفاءِ جفاءٌ. فسكت (٣).

* * *

جيم

جمع

(٤٩) قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ: القرب بالوَجْد جَمْعٌ، والغيبة بالبشرية تفرقة (٤).

(٥٠) سُئل الجنيد عن قول الصوفية «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، فأنشد:

طوارقُ أنوارٍ تلوح إذا بَدَت فَتُظهر كتماناً وتُخبر عن جَمْع (٥).

* * *

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢٥٩.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢٥٩.

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢٥٩، كما ورد في **نشر المحاسن**، لليافعي، ص١٢٧.

(٤) النص من **طبقات الصوفية**، السُّلَميّ، ص١٥٧، كما ورد في **اللمع**، الطوسي، ص٢٨٤، كما ورد في **عوارف المعارف**، السُّهروردي، ص٣٠٨.

(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص١٩٥، كما ورد في **الكواكب الدرية** في تراجم السادة الصوفية، للمناوي، ج١/ ص٥٨١، [المناوي ينسب إلى الجنيد عبارة: حسنات الأبرار سيئات المقربين].

اجتماع

قال الجنيد ـ رحمه الله ـ: سمعت السَّري يقول: دخل السَّماك عليّ وجماعة من الناس كانوا عندي، فتوقف وما قعد، ونظر إليّ فقال: صِرْتَ مناخ البطالين. فرجع فما أعجبه هذا الاجتماع [1].

* * *

حـــاء

حال

حُكي عن الجنيد أنه قال: الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم [2].

قال الجنيد: والحالُ نازلة تنزل بالعبد في الحين، فيحلّ بالقلب من وجود الرضا والتفويض وغير ذلك، فيصفو له في الوقت، في حاله ووقته، ويزول [3].

يقول الجنيد: مكثت مدة طويلة لا يقدم البلد أحد الفقراء إلا سُلِبْت حالي ودُفِعْت إلى حاله، فأطلبه، حتى إذا وجدته، تكلمتُ بحاله ورجعتُ إلى حالي. وكنَت لا أرى في النوم شيئاً إلا رأيته في اليقظة! [4].

* * *

محبة

قال الجنيد: الناس في محبة الله عزَّ وجلَّ عام وخاص. فالعوام أحبوه لكثرة نعمه، ودوام إحسانه، إلا أن محبتهم تقلّ وتكثر. وأما الخواص فأحبوه لما عرفوا من صفاته، وأسمائه الحسنى، واستحقّ المحبة عندهم، لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم [5].

---

(١) النص من **مخطوط نفحات الأنس**، الجامي، ورقة٤٨ .

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٦٦ .

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤١١ .

(٤) النص من **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٤ .

(٥) النص من **روض الرياحين**، اليافعي، ص٢٣١، كما ورد بصيغة مختلفة في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٣٣٨ .

(٥٦) قال الجنيد: سمعت السريّ يقول: لاتصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر: يا أنا [١].

(٥٧) قال الجنيد: المحبَّة ميل القلوب [٢].

(٥٨) قال الجنيد: كلّ محبة كانت لغرض، إذا زال الغرض زالت تلك المحبة [٣].

(٥٩) قال الجنيد: سمعت الحارث المحاسبي، يقول: المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سرّاً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبّه [٤].

(٦٠) قال الجنيد: المحبة إفراط المَيْل بلا نَيْل [٥].

(٦١) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه ـ عن المحبة، فقال: دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب. [٦].

(٦٢) قال أبو بكر الكتاني: جرت مسألةٌ في المحبة، بمكة، أيام الموسم، فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سناً، فقالوا له: هات ما عندك يا عراقيّ. فأطرق رأسه، ودمعت عيناه، ثم قال: عبدٌ ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هويته، وصفا شربه من كأس ودّه، وانكشف له الجبّار من أستار غيبه، فإن تكلّم فباللّه، وإن نطق فعن اللّه، وإن تحرّك فبأمر اللّه، وإن سكن فمع اللّه، فهو باللّه وللّه ومع اللّه. فبكى الشيوخ، وقالوا: ما على هذا مزيد، جبرك اللّه يا تاج العارفين [٧].

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦١٨.

(٢) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٣٠.

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦١٩، كما ورد بلفظ مختلف في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٣٦٠.

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦١٨.

(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦١٧.

(٦) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٨٨، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦١٥، كما ورد في **عوارف المعارف**، السّهروردي، ص٢٩٧، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص١٨٧.

(٧) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٢٣، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص ص ٦٠-٦١.

سُئل الجنيد عن المحبة: أمن صفات الذات أم من صفات الأفعال؟ فقال: إن محبة اللّه لها تأثير في محبوبه بيّن. فالمحبة نفسها من صفات الذات. ولم يزل اللّه تعالى محباً لأوليائه وأصفيائه. فأمّا تأثيرها فيمن أثرت فيه، فإن ذلك من صفات الأفعال. فاعلم أرشدك اللّه للصواب (١).

قال الجنيد: المحبة نفسها قرب القلب من اللّه بالاستنارة والفرح. فأما حب تجلي الصفات عن الأسماء الباطنة، فإنّا لم نذكر منها شيئاً وإنما ذكرنا محبة الأخلاق عن الأسماء الظاهرة. ولا أحسب أنه يحل رسمه في كتاب ولا كشفه لعموم، لأنه من سرّ المحبة لا يُكاشف به إلا من اطّلع عليه، ولا يتحدّث به إلا من أعطيه. وما رأيت أحداً رسمه في كتاب، لأنه لا يؤخذ من كتاب. وإنما يتلقى من أفواه العلماء، ويُنسخ من قلب إلى قلب (٢).

قال الجنيد: إذا صحّت المحبّة سقطت شروط الأدب (٣).

قال أحمد بن الحسين البصري: حضرت مجلس الجنيد ـ رحمه اللّه ـ فسأله رجلٌ مسألة، فأنشد:

نَمَّ على سر وَجْده النَّفَسُ ... والدمع من مُقلتيه يَنْبَجِسُ
مدله هائمٌ له حرق ... أنفاسهُ بالحنين تختلسُ
مهذب عارف له فطنٌ ... من نور أنسُ الحبيب يقتبسُ
يا، بأبي الأشعث الغريب فُتي ... ليسَ لهَ دونَ سؤله أنسُ
يا، بأبي جسمهُ الزَّكيُّ وإن ... كانَ عليه خُلَيِّقٌ دنَسُ (٤)

قال رجل للجنيد: على ماذا يتأسف المحب من أوقاته؟ قال: على زمان بَسْط أورث قبضاً، أو زمان أنس أورث وحشة. ثم أنشأ يقول:

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبونعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٨١.
(٢) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج٢/ ص١١٩.
(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦١٦، كما ورد أيضاً في **الرسالة القشيرية**، ج٢/ ص٥٦٣.
(٤) النص من **اللمع**، الطوسي، ص ص٣١٩-٣٢٠.

قد كان لي مَشْرَب يَصفُو برؤيَتكم فكَدّرَتْهُ يدُ الأيَّامِ حينَ صَفَا [1]

(٦٨) قال الجنيد: علامة كمال الحبّ: دوام ذكره [أي ذكر المحبوب] في القلب، بالفرح والسرور، والشوق إليه، والأنس به، وأثرة محبة نفسه، والرضا بكلّ مايصنع. وعلامة أنسه بالله: استلذاذ الخلوة، وحلاوة المناجاة، واستفراغ كلّه، حتى لايكاد يعقل الدنيا وما فيها، ولا يحمل هذا على الأنس بالخلق، فيرتب على مدارج المعقول، كما لا يحمل المحبة على محبة الخلق فيكون بمعاني العقول، لأنه حال منها، وإنما هو طمأنينة وسكون إليه، ووجد حلاوة منه واستراحة، وروح بماأوجدهم. وقد أنكر الأنس من لامقام له فيه، كما أنكر المحبة أيضًا من لا معرفة له بها، لأنّه تَخَيَّل فيها محبة المخلوق، وتمَثَّل لها صفاتهم فقال: لايعرف المحبة ولايعقلها إلا المخلوق، وليس إلا الخوف والهيبة [2].

(٦٩) تكلم الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ في مقام من هذا [مقام غاية الحب]، وقد سئل عنه، فقال: وهو مقام عزيزيستغرق العقول، ويُنسي النفوس. وهو من أعلى علم المعرفة بالله تعالى. وقال [الجنيد]: في هذا المقام يعلم العبد أنّ الله عزَّوجلَّ يحبّه. ويقول العبد: بحقي عليك، وبجاهي عندك. ويقول: بحبك لي. [ثم] قال [الجنيد]: وهؤلاء هم المدلّون على الله تبارك وتعالى. والمستأنسون بالله تعالى. وهم جلساء الله تعالى. قد رفع الحشمة بينه وبينهم. وزالت الوحشة بينهم وبينه. فهم يتكلمون بأشياء هي عند العامة كفر بالله تعالى، لما قد علموا أنّ الله تعالى يحبهم، وأنّ لهم عند الله جاهًا ومنزلة. ثم قال [الجنيد]: أما أهل الأنس بالله تعالى فليس إلى معرفتهم سبيل [3].

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبونعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص ص ٢٧٨-٢٧٩، كما ورد في **طبقات الأولياء**، لابن الملقن، ص١٢٩، وورد أيضًا في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٧٣، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٨١، كما ورد في **طبقات الصوفية**، السُّلَميّ، ص١٦٣، كما وردفي **صفوة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص ٤٢١ .

(٢) النص من **قوتَ القلوب**، لأبي طالب المكي، ج ٢/ ص ص١٢٦-١٢٧؛ ويضيف أبو طالب المكي معرّفًا بمن أنكر المحبة بين العبد وربه: «ومن ذهب إلى هذا القول أحمد بن غالب المعروف بغلام خليل، أنكر على الجنيد وأبي سعيد والثوري كلامهم في المحبة. وليس هذا مذهب السلف، ولا طريقة العارفين»

(٣) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج٢/ ص١٥٣ .

قال الجنيد: سمعت السريّ يقول: مكتوب في بعض الكتب التي أنزلها اللّه تعالى: إذا كان الغالب على عبدي ذكري، عشقني وعشقته [١].

يُحكي عن الجنيد ـ رحمه اللّه ـ أنه قال: سألني السريّ يوماً عن المحبة، فقلت: قال قوم: هي الموافقة، وقال قوم: الإيثار، وقال قوم: كذا. . وكذا، فأخذ السريّ جلدة ذراعه ومدّها، فلم تمتد، ثم قال: وعزّته تعالى، لو قلتُ: إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته، لصدقتُ [٢].

قال الجنيد: علامة المحبّ دوام النشاط الدؤوب، بشهوة تُفتر بدنه ولا تُفتر قلبه [٣].

سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه ـ عن معنى قول النبي ﷺ: حبّك للشيء يعمي ويصم، فقال: حبّك للدنيا يعمي ويصمّ عن الآخرة [٤].

قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ: علم الفقير إذا قوي ضعفت محبّته، وإذا ضعف قويت محبّته، وحكم الفقير أن يكون فوق محبّته [٥].

قال أبو عمرو الزجاجي: سألت الجنيد عن المحبة. فقال: تُريد الإشارة؟ فقلت: لا! قال: تريد الدّعوى؟ قلت: لا! قال: فإيش تريد؟! قلت: عين المحبة. فقال: أن تحب ما يحب اللّه تعالى في عباده، وتكره ما يكره اللّه تعالى في عباده [٦].

قال الجنيد: دفع السريّ إليّ رقعة، وقال: هذه لك خير من سبعمائة قصة أوحديث يعلو، فإذا فيها:

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٧٠ .
(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٦٥ .
(٣) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٣٣٤ .
(٤) النص من **اللمع**، الطوسي، ص١٦٤ .
(٥) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٣١ .
(٦) النص من **طبقات الصوفية**، السُلمِيّ، ص١٦٣، ورد أيضاً في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٧ .

ولما ادّعيتُ الحبّ قالت: كذَبْتني فمالي أرى الأعضاءَ منكَ كَوَاسيَا

فماالحبّ حتى يلصقَ القلبُ بالحشا وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يُبقي لك الهوى سوى مُقْلَةٍ تبكي بها وتُنَاجيا (١)

(٧٧) حُكي عن الجنيد ـ رحمه اللّه ـ أنه كان يقول: ذكرتُ المحبّة بين يدي سريّ السقطي ـ رحمه اللّه ـ فضرب يده على جلد ذراعه، فمدّها، ثم قال: لوقلتُ، إنما جفَّ هذا على هذا من المحبة، لصدقتُ. قال [الجنيد]: ثم أغمي عليه حتى غاب، ثم توردّ وجهه حتى صار مثل دارة القمر، فما استطعنا أن ننظر إليه من حُسنه حتى غطّينا وجهه (٢).

(٧٨) قال الجنيد: رأيتُ رجلاً متعلّقاً بكُمّ صبّي، وهو يتضرّع إليه، ويظهر له المحبّة، فالتفتَ إليه الصّبي، وقال له: إلى متى ذا النفاق الذي تُظهر لي؟ فقال: قد علم اللّه أني صادق فيما أورده، حتى لو قلتَ لي: مُتْ، لمتّ. فقال: إن كنتَ صادقاً، فمُتْ. فتنحّى الرجل، وغمض عينيه، فوُجِدَ ميتاً (٣).

(٧٩) قال الجنيد: دخلت على السري السقطي أعوده في مرض موته، فقلت: كيف تجدك، فأنشأ يقول:

كَيف أشكو إلى طبيبي ما بي وَالذي بي أصابني من طبيبي

فأخذت المروحة أروّحه، فقال: كيف يجد ريح المروح من جَوْفُهُ محترق من داخل؟ ثم أنشأ يقول:

القلبُ محترقٌ والدمعُ مستبقٌ والكربُ مجتمعُ والصبْر مفترقُ

كيفَ القرارُعلى مَنْ لاقرارَ له مما جَنَاه الهوى والشّوقُ والقلقُ

يارب إن يكُ شيءٌ فيه لي فرجٌ فامننْ عليّ به ما دامَ بي رَمَقُ (٤)

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦١٩، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٦٠، يرد «فضه» بدل «قصة».

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٣٨٢.

(٣) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٣٥١.

(٤) النص من **روض الرياحين**، اليافعي، ص٢١٤، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٣، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٤٨٣.

قال الجنيد ـ رضي الله عنه ـ: دخلت الكوفة في بعض أسفار، فرأيت داراً لبعض الرؤساء، وقد شفّ عليها النعيم، وعلى بابها عبيد وغلمان، وفي بعض رواشنها جارية تغني، وهي تقول:

ألا يا دارُ لا يدخلك حـزنٌ ... ولا يعبثْ بساكنك الزمانُ

فنعمَ الدّارِ أنتِ لكلِّ ضيفٍ ... إذا ما الضّيفُ أعْوزه المكانُ

قال: ثم مررت بها بعد مدة فإذا الباب مسودّ، والجمع مبدّد، وقد ظهر عليها كآبة الذل والهوان، وأنشد لسان الحال:

ذهبتْ محاسُنها وبانَ هجونُها ... والدّهرُ لا يبقي مكاناً سالماً

فَاستبدلتْ من أنْسِها بتوحشٍ ... ومن السرورِ به عَزاءٌ راغماً

قال: فسألتُ عن خبرها. فقيل لي: مات صاحبها، فآل أمرها إلى ما ترى. فقرعتُ الباب الذي كان لا يقرع، فكلمتني جارية بكلام ضعيف. فقلت لها: ياجارية أين بهجة هذا المكان، وأين أنواره، وأين شموسه وأقماره، وأين قُصّاده، وأين زواره؟ فبكت، ثم قالت: يا شيخ كانوا فيه على سبيل العارية، ثم نقلتهم الأقدار إلى دار القرار، وهذه عادة الدنيا، ترحّل من سكن فيها وتُسيء إلى من أحسن إليها. فقلت لها: يا جارية، مررت بها في بعض الأعوام وفي هذا الروشن جارية تغني، ألا يا دار لا يدخلك حزن، فبكت. وقالت: أنا والله تلك الجارية، ولم يبق من أهل هذه الدار غيري، فالويل لمن غرّته دنياه. فقلت لها: فكيف قَرّ بك القرار في هذا الموضع الخراب؟ فقالت لي: ما أعظم جفاك، أما كان هذا منزل الأحباب، ثم أنشأت:

قالوا ألفت وقوفاً في منازلهم ... ونفس مثلك لا يفتي تحملها

فقلت والقلب قد ضجت أضالعه ... والروح تنزع والأشواق تبذلها

منازل الحب في قلبي معظمة ... وإن خلا من نعيم الوصل منزلها

فكيف أتركها والقلب يتبعها ... حباً لمن كان قبل اليوم ينزلها

قال: فتركتها ومضيت وقد وقع شعرها من قلبي موقعاً، وازداد قلبي تولّعا[1].

(٨١) قال الجنيد: كان [سمنون المحب] موصوفاً بحسن الوجه، وحسن الكلام في المحبة، وعذوبة المنطق. بلغني أن امرأة مالت إليه وهويته. فلما علم سمنون بذلك طردها من مجلسه، قال: فجاءت هذه المرأة إلى الجنيد ـ رحمه الله ـ فقالت: ماتقول في رجل كان طريقي إلى الله؟ فذهب الله وبقي الرجل؟!. فعلم الجنيد إيش مرادها، فلم يجبها وقال: «حسبنا الله ونعم الوكيل»!. ثم عرضت نفسها بالتزويج على سمنون فأبى ذلك عليها سمنون [2].

(٨٢) قال الجنيد: إذا أراد الله عبداً للمحبَّة كشف له عن قِدَم إنعامه عليه، وبرِّه إليه، وكثرة الأيادي القديمة عنده [3].

(٨٣) قال الجنيد: دخلت يوماً على السري في بيته وهو يكنس البيت وينشد هذا البيت ويبكي:

لا في النهارِ ولا في الليلِ لي نوم فلا أبالي أطالَ الليلُ أمْ قَصُرا[4].

(٨٤) يقول الجنيد ـ رحمه الله ـ: لو قال لي الله «انظر إليّ». أقول: لاأرى؛ لأن العين في المحبة غَيْر، وغريب، وغَيْرة الغيرية تمنعني من الرؤية، لأني كنت أراه في الدنيا بغير واسطة العين، فكيف أتخذ واسطة في العُقْبى؟![5].

(٨٥) قال الجنيد بن محمد: حرَّم الله المحبة على صاحب العلاقة [6].

* * *

---

(١) النص من **روض الرياحين**، لليافعي، ص ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٩٨.

(٣) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٨.

(٤) النص من **مخطوط نفحات الأنس**، للجامي، ورقة ٤٧.

(٥) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٥٧٧.

(٦) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٤، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٣٦٠.

حجاب

قال الجنيد: سمعت السريّ يقول: اللهمّ مهما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذلّ الحجاب (١).

قال الجنيد ـ رحمه الله ـ: حجابُ قلوب الخاصة المختصة، برؤية النعم، والتلذذ بالعطاء، والسكون إلى الكرامات (٢).

قال الجنيد: من سكن أو شكا، إلى غير الله، ابتلاه الله بحجب سره عنه (٣).

قال الجنيد: من فارق الجماعة بجسمه وقعَ في الضلال، ومن خالط الناس بسرِّه افتُتن بهم، ومن افتُتن حُجب عن الحقِّ بالطمع في الخلق (٤).

* * *

حج

الجنيد ـ رحمه الله ـ وجماعة من المشايخ الأجلّة ـ رحمهم الله ـ، لم يحجوا إلا حجة الإسلام. وحُجتهم في اختيارهم في ذلك، أنّ النبي ﷺ لم يحجّ إلا حجّة واحدة (٥).

جاء رجل إلى الجنيد ـ رضي الله عنه ـ فقال له الجنيد: من أين جئت؟ فقال: كنت في الحج. قال: هل حججت؟ قال: نعم. قال: هل رحلت عن جميع المعاصي، منذ خرجت في البداية من بيتك ورحلت عن وطنك؟ فقال: كلا. قال: لم ترحل. [ثم] قال: حين خرجتَ من البيت، وأقمتَ كلّ ليلة بمنزل، هل قطعتَ في هذا المقام مقاماً من مقامات طريق الحق؟ فقال: كلا. قال: لم تقطع منزلاً. [ثم] قال: حينما أحرمتَ في الميقات، هل تجرّدتَ من صفات البشرية، كما تجرّدت

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٦٧.
(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٠٠.
(٣) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، المناوي، ص٥٧٩.
(٤) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٧.
(٥) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٢٣، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٦٥.

من ثيابك؟ فقال: كلا. قال: إذن لم تُحْرِم. [ثم] قال: حين وقفتَ بعرفات، هل لاح الوقت في كشف المشاهدة؟ فقال: كلا. قال: إذن لم تقف بعرفات، وقال: حين ذهبتَ إلى المزدلفة وحصل مرادك، هل تركتَ جميع الرغبات [النفسانية]؟ فقال: كلا. قال: لم تذهب إلى المزدلفة، وقال: حين طفتَ [بالكعبة]، هل رأيت سرّك في محل تنزيه لطائف حضرة جمال الحق؟ فقال: كلا. قال: لم تطف، [ثم] قال: حين سعيتَ بين الصفا والمروة، هل أدركتَ مقام الصفاء ودرجة المروة؟ فقال: كلا. قال: إنك لم تَسْعَ بعد، وقال: حينما جئت إلى مِنَى، هل سقط عنك مُنَاك؟ فقال: كلا. قال: لم تَذهب إلى منى بعد. [ثم] قال: عندما ضحّيتَ في المنحر، هل ضحّيتَ برغبات نفسك؟ فقالَ: كلا. قال: فلم تُضَحِّ، وقال: عندما رميتَ الجمرات، هل رميتَ كلّ ما صحبتَ من المعاني النفسانية؟ فقال: كلا. قال: فلم تلق الجمرات بعد، ولم تحج، فعُدْ، وحجّ على هذا النحو، حتى تصل إلى مقام إبراهيم[1].

(٩٢) قال الجنيد: حججتُ على الوَحْدة، فجاورتُ بمكة، فكنت إذا جنّ الليلُ دخلت الطَّواف، فإذا بجارية تطوف وتقول:

أبي الحبُّ أن يَخفَى وكم قد كتمتُهُ ... فأصبح عندي قد أناخ وطَنَّبا

إذا اشتدّ شوقي هام قلبي بذكره ... فإن رُمتُ قُرباً من حبيبي تَقَرَّبا

ويبدو فأفنىَ ثم أحيا به لَهُ ... ويُسْعدني حتى ألَذَّ وأطْرَبا

قال: فقلت لها: يا جارية أما تتَّقين الله، في مثل هذا المكان تتكلّمين بمثل هذا الكلام؟ فالتفتتْ إليّ وقالت: يا جنيد.

لولا التُّقى لم تَرني ... أهجُرُ طيبَ الوَسَنِ

إن التُّقى شَرَّدَني ... كما ترى عن وطَني

أفِرُّ مِن وَجْدي بِهِ ... فحبُّه هَيَّمَنِي

(١) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٥٧٤.

ثم قالت: يا جُنيد تطوف بالبيت أم بربّ البيت؟ فقلت: أطوف بالبيت. فرفعتْ طرفها إلى السماء وقالت: سبحانك، ما أعظمَ مشيئتك في خَلقك! خلقٌ كالأحجار يطوفون بالأحجار، ثم أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قُرْبةً	إليك وهُم أقسي قلوباً من الصَّخْرِ
وتاهوا فلم يَدْروا منَ التِّيهِ مَن هُمُ	وحَلُّوا مَحلّ القُرب في باطن الفكْرَ
فلو أخلصوا في الوُدِّ غابت صفاتُهمْ	وقامت صِفاتُ الودِّ للحقّ بالذِّكرِ[1]

(٩٣) قال أبو عمرو الزجَّاجي: دخلت على الجنيد، وكنت أريد الحج، فأعطاني درهماً صحيحاً، فشددته على مئزري، فلم أدخل منزلاً إلا وجدت فيه رفقاء، ولم أحتج إلى الدرهم. فلما حججت ورجعت إلى بغداد دخلت على الجنيد، فمدَّ يده وقال: هاتِ. فناولته الدرهم. فقال: كيف كان؟ فقلت كان الخَتْم نافذاً[2].

* * *

حرية

(٩٤) قال الجنيد ـ رحمه الله ـ: آخرُ مقام العارف، الحرِّية[3].

(٩٥) قال الجنيد: إنك لا تصل إلى صريح الحرية، وعليك من حقيقة عبوديته بقية[4].

* * *

(١) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٧٢، كما ورد في **روض الرياحين**، اليافعي، ص٥٦.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٨٨، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٨٣.

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٥٠.

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٦٢.

محاسبة

(٩٦) قال الجنيد: سمعت ابن الكَرَنْبي يقول: أصابتني ليلة جنابةٌ، فاحتجتُ أن أغتسل وكانت ليلة باردة. فوجدتُ في نفسي تأخّراً وتقصيراً، فحدثتني نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسخّن الماء وأدخل الحمام ولا أعني على نفسي. فقلت: وأعجباه أنا أعامل اللّه في طول عمري فيجب له عليّ حق فلا أجدّ في المسارعة وأجد الوقوف والتأخّر. آليتُ ألا أغتسل إلا في مرقعتي هذه، وآليتُ ألاّ أنزعها ولاأعصرها ولا أجففها في الشمس (١).

* * *

حضور

(٩٧) كان الجنيد في مجلسه فسأله أصحابه: يا أستاذ، متى يكون اللّه ـ عزَّ وجلَّ ـ مقبلاً على عبده؟ فلهي عنهم ولم يجبهم. فألحّوا عليه، فالتفت إليهم، فقال: واعجباه يقف بين يدي ربه بلا حضور، ويقتضي بهذه الوقفة إقبالاً (٢).

* * *

حق

(٩٨) قيل للجنيد: أبو يزيد [البسطامي] يقول: سبحاني، أنا ربِّي الأعلى. فقال: الرجل استهلك فنطق ما هلكَ به، لذهوله في الحقِّ عن رؤيته إيَّاه، فلم يشهد في الحقِّ إلا الحقَّ (٣).

(٩٩) قال الجنيد: منذ عشرين سنة ما ناصبتُ أحداً إلى حقّ فعاد إليَّ (٤).

(١) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٤٠٦.
(٢) النص من **حلية الأولياء**، أبونعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٨.
(٣) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨٢.
(٤) النص من **حلية الأولياء**، أبونعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٧.

(١٠٠) قال الجنيد: إذا أصبتَ من يصبر على الحقّ فتمسك به؛ وأنّي به، هات من يصبر لي على سماع الحق لا يتعرّض إليه [١].

(١٠١) قال الشبلي للجنيد: ما تقول فيمن الحقُّ حَسَبُه نعتاً وعلماً ووجوداً؟ فقال له: ياأبابكر جلّت الألوهية، وتعاظمت الربوبية، بينك وبين أكابر الطبقة ألف طبقة، في أول طبقة منها ذهب الاسم [٢].

* * *

حقيقة

(١٠٢) قال الجنيد: سمعت سرياًّ يقول، وقد وصف أهل الحقائق: أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى [٣].

(١٠٣) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ عن «الحقيقة»، فقال: أذكُرهُ ثم أدَعُ هذا وهذا [٤].

(١٠٤) قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ: أبت الحقائق أن تدع في القلوب مقالة للتأويلات [٥].

(١٠٥) قال الجنيد: ما بلغ أحدٌ درجة الحقيقة إلاّ وجب عليه التَّقيُّد بحقوق العبوديَّة وحقيقتها، وصار مطالباً بآدابٍ كثيرةٍ لم يُطالبِ اللّه بها غيره [٦].

* * *

حكمة

(١٠٦) سُئل الجنيد عما تنهي الحكمة؟ فقال: الحكمة تنهي عن كلّ ما يحتاج أن يُعتذر منه، وعن كلّ ما إذا غاب علمه عن غيرك أحشمك ذكره في نفسك. فقال له السائل: فبم تأمر الحكمة؟ قال: تأمر الحكمة بكلّ ما يحمد في الباقي أثره، ويطيب

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبونعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٧ .
(٢) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٧ .
(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٨٦ .
(٤) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٨٦ .
(٥) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٨٧، و ص٤١٣ .
(٦) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٥ .

عند جملة الناس خبره، ويؤمن في العواقب ضرره. قال السائل: فمن يستحق أن يوصف بالحكمة؟ قال الجنيد: من إذا قال بلغ المدى والغاية فيما يتعرّض لنعته بقليل القول، ويسير الإشارة، ومن لا يتعذر عليه من ذلك شيء مما يريد، لأنّ ذلك عنده حاضر عتيد. قال السائل: فبمن تأنس الحكمة، وإلى من تستريح وتأوى؟ قال الجنيد: إلى من انحسمت عن الكلّ مطامعه، وانقطعت من الفضل في الحاجات مطالبه، ومن اجتمعت همومه وحركاته في ذات ربه، ومن عادت منافعه على سائر أهل دهره [1].

* * *

حكايات

(١٠٧) قيل للجنيد: ما للمريدين في مجاراة الحكايات؟ فقال: الحكايات جندٌ من جنود اللّه تعالى يُقوّي بها قلوب المريدين. قيل له: فهل في ذلك شاهد. فقال، رضي اللّه عنه: نعم قوله تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود/ ١٢٠] [2].

* * *

حيرة

(١٠٨) قال الجنيد: كتب إليّ بعض إخواني من عقلاء أهل خراسان: اعلم يا أخي يا أباالقاسم، أنّ عقول العقلاء إذا تناهت، تناهت إلى حيرة [3].

* * *

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبونعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص ص٢٦١-٢٦٢ .

(٢) النص من **روض الرياحين**، اليافعي، ص٥، كما ورد في **اللمع**، الطوسي، ص٢٧٥، وفي **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٣٧، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٥، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٧، كما ورد في **نفحات الأنس**، الجامي، ورقة ٢٥ .

(٣) النص من **حليةالأولياء**، أبونعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص ص٢٦٧-٢٦٨ .

حياء

(١٠٩) وقال الجنيد: الحياء من اللّه عزَّ وجلَّ، أزال عن قلوب أوليائه سرور المنّة [١].

(١١٠) وسُئل الجنيد عن «الحياء»، فقال: رؤية الآلاء ورؤية التقصير، فيتولّد من بينهما حالة تسمّى «الحياء» [٢].

* * *

خـاء

خاتم

(١١١) قيل: كان نقشُ خاتم الجنيد «إنْ كنتَ تأمَلُهُ فلا تأمَنْه» [٣].

* * *

خشوع

(١١٢) سُئل الجنيد عن «الخشوع»، فقال: تذلّل القلوب لعلاّم الغيوب [٤].

* * *

الخاطر الأول

(١١٣) وقال خير النسّاج: كنت يوماً جالساً في بيتي، فخطر لي خاطر، أن الجنيد

---

(١) النص من **طبقات الصوفية**، السُّلَميّ، ص١٦٢ .

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشَيري، ج٢/ ص٤٥٩، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٥ .

(٣) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٦، كما ورد في **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٤/ ص٦٨ .

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٣٩، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٤، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٧ .

بالباب فأخرج إليه، فنفيته عن قلبي، وقلت: وسوسة! فوقع لي خاطر ثان، بأنه على الباب فأخرج إليه، فنفيته عن سري، فوقع لي [خاطر] ثالث، فعلمت أنه على حق، ففتحته، فإذا بالجنيد قائم، فسلم عليّ، وقال لي: يا خير! لم لا تخرج مع الخاطر الأول؟!(١).

(١١٤) تكلم الشيوخ في الخاطِرَيْن إذا كانا من الحق أيهما الأقوى والأولى بالاتّباع؟ قال الجنيد: الخاطر الأول أقوى، لأنه إذا بقي رجع صاحبه إلى التأمّل. وهذا بشرط العلم، فترك الأوّل يُضعف الثاني (٢).

* * *

إخلاص

(١١٥) يقول الجنيد: إنّ اللّه عزَّ وجلَّ يُخلص إلى القلوب من برِّه، حسبما خَلُصت القلوبُ به إليه من ذِكْره. فانظر ماذا خَالَطَ قلبك (٣).

(١١٦) قال الجنيد: الإخلاص تصفية العمل من الكُدُورات (٤).

(١١٧) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه ـ عن «الإخلاص»، فقال: ارتفاع رؤيتك، وفناؤك عن الفعل (٥).

---

(١) النص من **طبقات الأولياء**، لابن الملقن، ص١٣١، كما ورد في **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص ص٤١٨- ٤١٩، وورد أيضًا في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص ص٤٩١-٤٩٢، وفي **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج ٧/ ص٢٤٧، وفي **اللمع**، الطوسي، ص٤١٨، وفي **روض الرياحين**، اليافعي، ص٢٢٠، و**كشف المحجوب**، للهجويري، ص٦٣١، ورد أيضًا في **جامع كرامات الأولياء**، النبهاني، ص٣٨٤، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦١، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٤٩ .

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢٤٣، كما ورد في **عوارف المعارف**، السَّهروردي، ص٢٧١ .

(٣) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٩، كما ورد في **طبقات الصوفية**، السُلَميّ، ص١٥٧، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٤.

(٤) النصَ من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٣٨٢.

(٥) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٨٩ .

(١٠ قال الجنيد: الإخلاص ما أريد به اللّه من أي عمل كان [١].

(١٠ قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ : في الفرق بين الإخلاص والصدق معنى لطيفاً لم يفسره ويحتاج إلى تفسير [٢].

(١٢ سأل جعفر الخلدي أبا القاسم الجنيد: هل بين الإخلاص والصدق فرق؟ قال: نعم، الصدق أصل وهو الأول، والإخلاص فرع وهو تابع [٣].

(١٢ قال الجنيد: الإخلاص سرّ بين العبد وربّه، لايعلمه مَلَك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولاهوى فيهلكه. [٤].

(١٢٢ قال الجنيد: إن للّه عباداً عقلوا. فلما عقلوا عملوا. فلما عملوا أخلصوا. فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع [٥].

(١٢٣ قال أبو بكر ختن الجنيد: أنشدني الجنيد بن محمد:

أناسٌ أمِنّاهُم فنمُّوا حديثَنا ... فلَمَّا كتمنا السِّرَّ عنهم تَقَوَّلوا
ولم يحفظوا الودَّ الذي كان بيننا ... ولا حين هَمُّوا بالقطيعَةِ أجْملوا [٦]

* * *

(١) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١١٨ .
(٢) النص من **قوت القلوب**، أبو طالب المكي، ج٢/ ص٣٢٩ .
(٣) النص من **عوارف المعارف**، السّهروردي، ص٤٩ .
(٤) النص من **قوت القلوب**، أبي طالب المكي، ج٢/ ص٣٢٩، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ٥٧٣، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٥، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٤٦ ، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٢٦١ .
(٥) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٣٧٩ .
(٦) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٩ .

خلق

(١٢٤) يقول تعالى ذاكراً رسوله ﷺ [القلم/ ٤]: ﴿وإنَّك لعلى خُلُق عظيم﴾. يقول الجنيد: كان ﷺ خُلُقُه عظيماً لأنه لم يكن له همة سوى اللّه تعالى [١].

(١٢٥) ويذكر الجنيد مكونات «الخُلُق العظيم» فيقول: اجتمع فيه أربعة أشياء: السخاء، والألفة، والنصيحة، والشفقة [٢].

(١٢٦) قال الجنيد: سمعت الحارث المحاسبي يقول: فقدنا ثلاثة أشياء: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الأمانة، وحسن الإخاء مع الوفاء [٣].

(١٢٧) قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ: لأن يصحبني رجل فاسق حَسَنُ الخلق، أحبُّ إليّ من أن يصحبني قارئ سيئُ الخلق [٤].

* * *

خلوة

(١٢٨) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه ـ عن الخلوة، فقال: إن السلامة مُصَاحبة لمن طلب السلامة، فتَرك المخالفة، وتَرك التطلّع إلى ما أوجب العلم مفارقته [٥].

* * *

الخوف والرجاء

(١٢٩) قال الجنيد: سمعت السريّ يقول: أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد، فقيل له: ولم ذلك؟ فقال: أخاف ألا يقبلني قبري فأفتضح [٦].

---

(١) النص من **عوارف المعارف**، السّهروردي، ص١٣٨ .

(٢) النص من **عوارف المعارف**، السّهروردي، ص١٣٩ .

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٩٥ .

(٤) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٣٥، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٢/ ص ١٧٢ .

(٥) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٧٧ .

(٦) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص ص٦٦-٦٧، ورد أيضاً في **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٢/ ص١٨٦ .

١٣٠) قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ: ما أحب أن أموت حيث أعرف، أخاف ألاّ تقبلني الأرض وأفتضح [١].

١٣١) سُئل الجنيد عن «الخوف»، فقال: هو توقّع العقوبة مع مجاري الأنفاس [٢].

١٣٢) يقول الجنيد: الخوف من اللّه يقبضني، والرجاء منه يبسطني، والحقيقة تجمعني، والحقّ يفرقني. إذا قبضني بالخوف أفناني عني، وإذا بسطني بالرّجاء ردّني عليَّ، وإذا جمعني بالحقيقة أحضرني، وإذا فرقني بالحق أشهدني غيري فغطّاني عنه. فهو تعالى في ذلك كله محرّكي غير ممسكي، وموحشي غير مؤنسي. فأنا بحضوري أذوق طعم وجودي، فليته أفناني عني فمتّعني، أو غيّبني عنّي فَرَوّحني [٣].

١٣٣) قال الجنيد سمعت سرياً يقول: إني لأنظر إلى أنفي في كل يوم مرتين مخافة أن يكون قد اسودّ وجهي [٤].

* * *

دال

درجات

١٣٤) قال الجنيد: لا يرتقي في الدرجات مَنْ لم يُحْكم فيما بينه وبين اللّه أول البداية، وهي الفروض الواجبة، ثم الأوراد الزاكية، ومطَايا الفضل، وعزائم الأمر، فمن أحكمها مَنَّ اللّه عليه بما بعدها [٥].

* * *

---

(١) النص من **بستان العارفين**، للنووي، ص٣٦.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣١٠، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٤، كما ورد في **نشر المحاسن**، لليافعي، ص١٦٥.

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص١٩٨.

(٤) النص من **بستان العارفين**، للنووي، ص٣٦، كما ورد في **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٢/ ص ص١٨٦-١٨٧.

(٥) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٨.

دعوى

(١٣٥) قال الجنيد: العبارة كلها دعاوى [١].

(١٣٦) الجنيد بن محمد يقول: أضرُّ ما على أهل الديانات الدعاوى [٢].

(١٣٧) ورد عن الشبلي ـ رضي الله عنه ـ أنه وقف في مجلس الجنيد، وقال بصوت عال: يا مرادي! وأشار إلى الحق. فقال الجنيد: يا أبا بكر إذا كان مرادك الحق، فلم هذه الإشارات وهو مستغن عنها؟ وإذا لم يكن مرادك الحق، فلم قلتَ خلافاً، والحق عليم بقولك؟ فاستغفر الشبلي من قوله [٣].

* * *

دنيا

(١٣٨) كان الجنيد ـ رضي الله عنه ـ يقول: ما رأيت أحداً عظّم الدنيا فقرّت عينه فيها أبداً، إنما تقرّ فيها عين من حقّرها، وأعرض عنها [٤].

(١٣٩) قال الجنيد: لا يصفو قلبٌ لعمل الآخرة، إلا أن تجرَّد عن حبِّ الدنيا [٥].

(١٤٠) يقول الجنيد: ليس بشنيع عليَّ ما يردُ عليَّ من العالَم، لأني قد أصّلتُ أصلاً، وهو أنّ الدار دار غمٍّ وهمٍّ وبلاء وفتنة، وأنّ العالم كلّه شر، ومن حُكمه أن يتلقّاني بكلّ ما أكره، فإن تلقّاني بما أحب فهو فضل، وإلا فالأصل الأول [٦].

---

(١) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٦٠٠ .

(٢) النص من **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤٢٠، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص ٢٦٤، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٨٦ .

(٣) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص ص٦٠٠-٦٠١ .

(٤) النص من **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٦، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص ٥٨٠ .

(٥) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٦، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، للشعراني، ج١/ ص٨٥ .

(٥) النص من **حلية الأولياء**، أبونعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٠، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨٣، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٤، كما ورد في **صفوة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص ص٤٢٠-٤٢١ .

(١٤١) قال الجنيد: نَجْحُ قضاء كلِّ حاجةٍ من الدنيا تركُها [١].

(١٤٢) رأي الجنيد رويماً وقد تولى القضاء، فقال: من أراد أن ينظر إلى من خبأ في سره حبّ الدنيا عشرين سنة فلينظر إلى هذا [٢].

(١٤٣) سُئل الجنيد عن الدنيا ما هي؟ قال: ما دنا من القلب، وشَغَل عن اللّه [٣].

(١٤٤) قال الجنيد: سمعت السريّ السقطي يقول: إنّ اللّه سبحانه، سلب الدنيا عن أوليائه، وحماها عن أصفيائه، وأخرجها من قلوب أهل وداده، لأنه لم يرضها لهم [٤].

(١٤٥) قال الجنيد: احفظوا ساعاتكم، فإنها زائلةٌ غير راجعة. والحسرة على الغفلة من فوتها واقعةٌ. وصلُوا أورادكم تجدوا نفعها في دار الإقامة، ولا يشغلكم عن اللّه قليل الدُّنيا. فإنَّ قلَيلها يشغل عن كثير الآخرة. [٥].

(١٤٦) قال الجنيد: من شارك السلطان في عزِّ الدنيا، شاركه في ذُلِّ الآخرة [٦].

(١٤٧) قال الجنيد: لا تقومُ بما عليك حتّى تترك جميع ما لك، وليس شيءٌ أعزُّ من الدنيا [٧].

(١٤٨) سُئل الجنيد: عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مصّ نواة، فقال: المكاتَب عبدٌ ما بقي عليه درهم. [٨].

* * *

(١) النص من **طبقات الصوفية**، السُّلَميّ، ص١٦٠ .
(٢) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٨ .
(٣) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٤ .
(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢٩٣ .
(٥) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٧.
(٦) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٨ .
(٧) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨٠ .
(٨) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٦٢، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٧ .

ذال

ذكـر

(١٤٩) قيل للجنيد: «قل لا إله إلا اللّه»، فقال: ما نسيته فأذكره!! وقال:

حـاضـرٌ في القلب يعـمّـره لست أنسـاه فـأذكـره
فـهـو مـولاي ومـعـتـمـدي ونـصـيـبي منه أوفـره [(١)]

(١٥٠) وأنشدونا للجنيد:

ذكـرتكَ لا أني نسـيـتكَ لمحـةً وأيسرُ مـا في الذكـرِ ذكـرُ لسـاني [(٢)]

(١٥١) حكي أن شاباً كان يصحب الجنيد، فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعق. فقال له الجنيد يوماً: إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني. فكان بعد ذلك يضبط نفسه، حتى يقطر من كلّ شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق. فحكي [أبوعمرو] أنه اختنق يوماً لشدة ضبطه لنفسه، فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه [(٣)].

(١٥٢) قال الجنيد: من الأعمال ما لا يطّلع عليه الحَفَظَة، وهو ذكر اللّه بالقلب، وماطُويت عليه الضمائر من الهيبة والتعظيم للّه، واعتقاد الخوف، وإجلال أوامره ونواهيه [(٤)].

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٩٦، وورد أيضًا مطلعه في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٤٨٢، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨٣، و يضيف المناوي أنه قيل للجنيد ذلك عندالنَّزْع.

(٢) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٢٤ .

(٣) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٢/ ص ص٣٠٢-٣٠٣، كما ورد في **كشف المحجوب**، للهجويري، ص ص١٦٩-١٧٠، وفي **اللمع**، الطوسي، ص٣٥٨، وورد في **روض الرياحين**، اليافعي، ص١٨٠، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص ص٦٥١-٦٥٢، كما ورد في **عوارف المعارف**، السّهروردي، ص١١٩، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٣٣٠ .

(٤) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٧ .

١٥٣) سأل جعفر الجنيد قائلاً: ما تقول أكرمك الله في الذكر الخفي، ما هو الذي لاتعلمه الحَفَظَة، ومن أين زاد عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفاً؟ فأجابه الجنيد، فقال: وفقنا الله وإيّاكم لأرشد الأمور وأقربها إليه، واستعملنا وإيّاكم بأرضى الأمور وأحبّها إليه، وختم لنا ولكم بخير. فأمّا الذكر الذي يستأثر الله بعلمه دون غيره، فهو ما اعتقدته القلوب، وطُويت عليه الضمائر، مما لا تحرّك به الألسنة والجوارح. وهو مثل الهيبة لله، والتعظيم لله، والإجلال لله، واعتقاد الخوف من الله. وذلك كلّه فيما بين العبد وربه، لا يعلمه إلا من يعلم الغيب. والدليل على ذلك، قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [سورة القصص/ ٦٩]، وأشباه ذلك وهذه، أشياء امتُدح الله بها، فهي له وحده جلّ ثناؤه.

وأما ما تعلمه الحفظة فما وُكّلت به، وهو قوله [سورة ق/ ١٨]: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾، وقوله [سورة الإنفطار/ ١١-١٢]: ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾. فهذا الذي وُكّل به الملائكة الحافظون ما لفظ به وبدا من لسانه. وما يعلنون و يفعلون هو ما ظهر به السعي، وما أضمرته القلوب مما لم يظهر على الجوارح، وما تعتقده القلوب فذلك يعلمه جلّ ثناؤه. وكلّ أعمال القلوب ماعقد لا يجاوز الضمير فهو مثل ذلك، والله أعلم.

وما روي في الخبر من فضل عمل السرّ على عمل العلانية. وإنّ عمل السر يزيد على عمل العلانية سبعين ضعفا. فذلك والله أعلم، لأنّ من عمل لله عملاً فأسرّه، فقد أحبّ أن ينفرد الله عزّ وجلّ بعلم ذلك العمل منه.

ومعناه، أن يستغني بعلم الله في عمله عن علم غيره. وإذا استغنى القلب بعلم الله أخلص العمل فيه، ولم يعرج على من دونه. فإذا علم جلّ ذكره بصدق قصد العبد إليه وحده، وسقط عن ذكر من دونه، أثبت ذلك العمل في أعمال الخالصين الصالحين المؤثرين لله على من سواه. وجازاه الله بعلمه بصدقه من الثواب سبعين ضعفاً، على ما عمل من لا يحل محله. والله أعلم[1].

* * *

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبونعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص ص٢٦٤- ٢٦٥.

ذنب

(١٥٤) وقال: من هم بذنب لم يفعله ابتلي بهم لم يعرفه [١].

(١٥٥) عن أبي عمرو بن علوان في قصة تطول، قال فيها: كنت قائماً أصلي ذات يوم، فخامر قلبي هوى، طاولته بفكري، حتى تولد منه شهوة الرجل. فوقعت إلى الأرض، واسودّ جسدي كلّه، فاستترتُ في البيت ثلاثة أيام فلم أخرج، وقد كنت أعالج غسله في الحمام بالصابون والألوان الغاسلة، فلا يزداد إلا اسوداداً. ثم انكشف عني بعد ثلاث فرجعتُ إلى لوني البياض. فلقيت أبا القاسم الجنيد ـ رحمه اللّه ـ وكان وجّه إليّ فأشخصني من الرِّقّة. فلما أتيته، قال لي: أما استحييت من اللّه تعالى، كنتَ قائماً بين يديه فسامرتْ نفسُك شهوةً حتى استولتْ عليك برقة فأخرجتك من بين يدي اللّه تعالى، لولا أني دعوتُ اللّه عزَّ وجلَّ لك، وتبت إليه عنك، للقيتَ اللّه تعالى بذلك اللون. قال: فعجبت كيف علم بذلك وهو ببغداد وأنا بالرقة؟ ولم يطلع عليه إلا اللّه عزَّ وجلَّ [٢].

(١٥٦) قال أبو عمرو بن علوان خرجت يوماً إلى سوق الرحبة في حاجة، فرأيت جنازة فتبعتها لأصلي عليها، ووقفت حتى يدفن الميت في جملة الناس. فوقعت عيني على امرأة مسفرة من غير تعمد. فلححت بالنظر. واسترجعت، واستغفرت اللّه، وعدت إلى منزلي. فقالت لي عجوز: يا سيدي ما لي أرى وجهك اسودّ؟ فأخذتُ المرآة فنظرت فإذا وجهي أسود، فرجعت إلى سري أنظر من أين دُهيت. فذكرتُ النظرة. فانفردت في موضع استغفر اللّه واسأله الإقالة أربعين يوماً. فَخطر في قلبي أن زُرْ شيخك الجنيد. فانحدرت إلى بغداد. فلما جئت الحجرة التي هو فيها، طرقت الباب، فقال لي: ادخل يا أبا عمرو، تذنب بالرحبة، ونستغفر لك ببغداد! [٣].



---

(١) النص من **طبقات الأولياء**، لابن الملقن، ص١٢٧.

(٢) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج١/ ص ص٣٧٨-٣٧٩، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٥٤.

(٣) النص من **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٧، كما ورد في **جامع كرامات الأولياء**، النبهاني، ص ص٣٨٤-٣٥٨، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص ص٢٦١-٢٦٢، كما ورد في **صفوة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤١٩.

راء

رياضة ومجاهدة

(١٥٧) يقال إن الجنيد ـ رضي اللّه عنه ـ كان قد جلس مع أصحابه بحكم الرياضة، فدخل مسافر، فتكلّفوا من أجله وأحضروا له طعاماً. فقال: يلزمني غير هذا، الشيء الفلاني، فقال له الجنيد: ينبغي لك أن تذهب إلى السوق، لأنك رجل أسواق، لا رجل مساجد وصوامع (١).

(١٥٨) قال الجنيد: دخلت يوماً على السري السقطي وهو يبكي، فقلت له: «مايبكيك؟»، فقال: جاءتني البارحة الصبية، فقالت: يا أبت، هذه ليلة حارة، وهذا الكوز أعلقه ههنا. ثم إني حملتني عيناي فنمت، فرأيتَ جارية من أحسن الخَلْق قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان، فتناولت الكوز فضربت به الأرض، فكسرته. فرأيتُ [الجنيد] الخزف لم يرفعه ولم يمسَّه، حتى عفا عليه التراب (٢).

(١٥٩) قال الجنيد: دخلت على السريّ يوماً، فقال لي: عصفور كان يجيء في كلّ يوم فأفتُّ له الخبز، فيأكل من يدي، فنزل وقتاً من الأوقات فلم يسقط على يدي، فتذكرت في نفسي: ماذا يكون السبب؟ فذكرت أني أكلت ملحاً بأبزار [أي توابل]، فقلت في نفسي: لا آكل بعدها، وأنا تائب منه، فسقط على يدي وأكل (٣).

(١٦٠) قال جعفر بن نصير: دفع إليّ الجنيد درهماً، وقال: اشتر لي به التين الوزيري، فاشتريته له، فلما أفطر أخذ واحدة، ووضعها في فمه، ثم ألقاها وبكي، وقال:

---

(١) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٥٨٩ .

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٦٧، كما ورد في **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص ١٨٤، كما ورد في **روض الرياحين**، لليافعي، ص٣٤ .

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٧٩ .

احمله. فقلت له في ذلك، فقال: هتف في قلبي، أما تستحي شهوة تركتها من أجلي ثم تعود إليها؟! [١].

(١٦١) قال الجنيد: سمعت السري السقطي، يقول: إن نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة، أن أغمس جزرة في دبس فما أطعتها [٢].

(١٦٢) قال الخلدي: سمعت الجنيد يقول: مانزعتُ ثوبي للفراش منذ أربعين سنة[٣].

* * *

الرين والغين

(١٦٣) قال الجنيد ـ رحمه الله ـ: الرين من جملة الوَطَنَات، والغين من جملة الخَطَرات. والوطن باقٍ، والخطر طارئ [٤].

* * *

رؤيا

(١٦٤) حكي عن الجنيد ـ رضي الله عنه ـ قال: رأيت آدم ـ عليه السلام ـ في المنام وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك، أليس قد غفر الله تعالى لك، ووعدك بالرجوع إلى الجنة؟ فناولني ورقة مكتوبة، فاستيقظت من منامي، فوجدتها في يدي وإذا فيها:

أتحـرقني بالنارِ نارٍ من النوي ... ونـارُ النوى أحرُّ من النـارِ
شُغفتُ بجارٍ لابدارٍ سكنتها ... على الجارِ أبكي لا على سكنة الدّارِ
ولَوْ لم يعدني بالرجوعِ إلى المنى ... هَلكْتُ ولكن نلتَ بالوعدِ أوطاري [٥]

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٥٤، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٣/ ص٩٤، كما ورد في **طبقات الأولياء**، لابن الملقن، ص ص١٢٩-١٣٠.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٥٢، كما ورد في **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٢/ ص١٨٦.

(٣) النص من **الطبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦١.

(٤) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص١٩٤.

(٥) النص من **روض الرياحين**، لليافعي، ص١٦٩.

(١٦٥) ووقع له- أعني الجنيد- أنّه قال: الأرض محتاجةٌ للمطر. فلما مات قيل له: مافعل بك؟ قال: خيراً، لكنّه عاتبني على كلمة قُلتُها فذكرها. وقال: أتنبِّئني بأرضي وتقول: مُحتاجةٌ للمطر؟ وأنا العليم الخبير ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر/ ٢١] (١).

(١٦٦) قال الخوجة علاء الدين عطار: جاءني سيد الطائفة الجنيد [في رؤيا]في ضحوة يوم، عند انصرافنا من مكة المباركة، زادها اللّه تعالى تكريمًا وبركات، ونحن نسيرمع الركب وأنا بين النوم واليقظة. فقال ـ رضي اللّه عنه ـ في زيارته وبشارته: ألقصد مقبول. فحفظت هذه الكلمة وسررت بها ثم استيقظت من الحالة الواقعة بين النوم واليقظة. الحمد للّه على ذلك (٢).

* * *

رحمة

(١٦٧) حُكي عن أبي القاسم الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ أنه قال: تنزل الرحمة (من اللّه عزَّ ذكره). على الفقراء، يعني الصوفية، في ثلاثة مواطن: عند أكلهم الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة. وعند مجاراة العلم، فإنهم لا يتكلمون إلا في أحوال الصدّيقين والأولياء. وعند السماع، فإنهم لا يسمعون إلا من حق، ولا يقومون إلا بوجدة (٣).

* * *

---

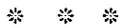
(١) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨٤ .

(٢) النص من **مخطوط نفحات الأنس**، للجامي، ورقة٢٢٨ .

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٤٢، وقد ورد في **اللمع** أيضًا ص٣٤٣، كما ورد في **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٩١، كما ورد في **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج٢/ ص١٢٢، كماورد في **الطبقات الكبرى**، للشعراني، ج١/ ص٨٥، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٢/ ص٢٧٠، كما ورد في **روض الرياحين**، للمناوي، ص١٨٢، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٤٤، كما ورد في **طبقات الشافعية**، الأسنوي، ص٢٧٤، كما ورد في **الكواكب الدرية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٦، كما ورد في **عوارف المعارف**، السّهروردي، ص١٠٦، كما ورد في **نشر المحاسن**، لليافعي، ص٣١٦ .

رسم

(١٦٨) سُئل الجنيد عن رجل غاب اسمه، وذهب وصفه، وامتحى رسومه فلا رسم له، قال: نعم، عند مشاهدته قيام الحق له بنفسه لنفسه في ملكه، فيكون ذلك معنى قوله «امتحي رسومه»، يعني علمه وفعله المضاف إليه بنظره إلى قيام اللّه له في قيامه [(١)].



رضا

(١٦٩) قال الجنيد: الرضا ثاني درجات المعرفة؛ فمن رَضِي صحّت معرفته باللّه، بدوام رضاه عنه [(٢)].

(١٧٠) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه ـ عن « الرضا»، فقال: الرضا رفعُ الاختيار [(٣)].

(١٧١) سُئل الجنيد عن الرضا، فقال: سألتم عن العيش الهنيء وقرة العين. من كان عن اللّه راضيًا. [(٤)].

(١٧٢) قال الشبلي بين يدي الجنيد: «لا حول ولا قوة إلا باللّه»، فقال له الجنيد: قولك ذا ضيق صدر، وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء. فسكت الشبلي [(٥)].

(١٧٣) قال الجنيد: الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلوب، فإذا باشر القلب حقيقة العلم أدّاه إلى الرضا. وليس الرضا والمحبة كالخوف والرجاء، فإنهما حالان لايفارقان العبد في الدنيا والآخرة، لأنه في الجنة لا يستغني عن الرضا والمحبة [(٦)].

* * *

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٢٧ .

(٢) النص من **طبقات الصوفية**، السُّلَميّ، ص١٦٢ .

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٨٠، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٢٦، وفي **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٢١، [يرد لفظ «ترك» بدل لفظ «رفع»].

(٤) النص من **حلية الأولياء**، أبونعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٨٠ .

(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٢٥، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٥ [ويرد بعد لفظ «بالقضاء» زيادة نصها: «والرضا رفع الاختيار»]، [كما ورد في **عوارف المعارف**، السّهرورديّ، ص٢٩٣ .

(٦) النص من **عوارف المعارف**، السّهرورديّ، ص٢٩٣ .

مراعاة الله

(١٧٤) كان لسريّ تلميذة، ولها ولد عند المعلّم. فبعث به المعلّم إلى الرحا. فنزل الصبي في الماء فغرق. فأعلم المعلّم سرياً بذلك. فقال السري: قوموا بنا إلى أمه. فمضوا إليها، وتكلّم السريّ عليها في علم الصبر، ثم تكلم في علم الرضا.

فقالت: يا أستاذ وأي شيء تريد بهذا؟ فقال لها: إن ابنك قد غرق. فقالت: ابني. فقال: نعم. فقالت: إن اللّه عزَّ وجلَّ ما فعل هذا. ثم عاد السري في كلامه في الصبر والرضا، فقالت: قوموا بنا. فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر. فقالت: أين غرق؟ فقالوا: ههنا. فصاحت به: ابني محمد. فأجابها: لبيك يا أماه. فنزلت وأخذت بيده، فمضت به إلى منزلها. فالتفت السري إلى الجنيد، وقال: أي شيء هذا؟ قال الجنيد ـ رضي اللّه عنه ـ: أقول. قال: قُلْ. قال: إنَّ المرأة مراعية لما للّه عزَّ وجلَّ عليها، وحكم من كان مراعياً لما للّه عزَّ وجلَّ عليه ألاّ يحدث عليه حادثة حتى يُعْلمه بذلك، فلما لم تكن حادثة لم يُعْلمها بذلك، فأنكرت، فقالت: إن ربي عزَّ وجلَّ ما فعل هذا [(١)].

* * *

رعاية الحقوق

(١٧٥) قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ: لا يُوصَل إلى رعاية الحقوق إلا بحراسة القلوب، ومن لم يكن له سرّ فهو مُصِرّ، والمصرّ لا تصفو له حسنة [(٢)].

* * *

مراقبة

(١٧٦) قال الجنيد: إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عزَّ وجلَّ [(٣)].

---

(١) النص من **روض الرياحين**، اليافعي، ص ص٦٥-٦٦.

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٦٧.

(٣) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٣٩٧، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٤٠٧، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٥.

روح

(١٧٧) قال الجنيد: الروح شيء استأثر اللّه بعلمه، ولم يُطْلِع عليه أحداً من خلقه، ولا يجوز العبارة عنه بأكثر من موجود، لقوله: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء/ ٨٥] (١).

* * *

مريد

(١٧٨) كان الجنيد يقول: أحبّ للمريد المبتدي ألاّ يشغل قلبه بهذه الثلاث، وإلا تغيّر حاله: التكسب، وطلب الحديث، والتزوّج (٢).

(١٧٩) قال الجنيد: أحبّ للصوفي [أي المريد الصوفي] ألاّ يقرأ ولا يكتب، لأنه أجْمَع لهمّه (٣).

(١٨٠) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه ـ عن المريد والمراد، فقال: المريد تتولاه سياسة العلم، والمراد تتولاه رعاية الحق سبحانه. لأن المريد يسير، والمراد يطير. فمتى يلحق السائر بالطائر؟ (٤).

(١٨١) قال الجنيد: المريد الصادق غني عن علوم العلماء (٥).

(١٨٢) قال الجنيد: إذا صدق المريدُ أغناه اللّه عن حفظ النُّقولِ بنورٍ يجعله في قلبه يُفرِّقُ به بين الحقِّ والباطل. (٦).

---

(١) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص٨٣، كما ورد في **عوارف المعارف**، السّهروردي، ص٢٥٩، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، المناوي، ص٥٧٥.

(٢) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج١/ ص٥٤٢، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٢٣٩، كما ورد في **نشر المحاسن**، لليافعي، ص١٤٦.

(٣) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج١/ ص٥٤٢، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٢٣٩.

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٣٩، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٣، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٥.

(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٣٨، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، للشعراني، ج١/ ص٨٥؛ ونصه: «المريد الصادق غني عن علم العلماء، وإذا أراد اللّه بالمريد خيراً أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة القراء».

(٦) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٥.

زاي

زكاة

نُقل عن الإمام النووي في كتابه «الروضة» أن الجنيد يقول إنه قبيل الصيام: إنّ أخْذَ المحتاج من صدقة التطوع أفضل من أخذه من الزكاة [١].

* * *

زهد

قال الجنيد: إن أمكنك ألاّ تكون آلة بيتك إلا خزفًا فافعل [٢].

قال الجنيد، وقد سُئل عن الزهد: الزهد خلوّ القلب عما خلت منه اليدّ، واستصغار الدنيا، ومحو آثارها من القلب [٣].

سُئل الجنيد عن الزهد، فقال: خلوُّ اليدِّ من الملك، والقلب من التتّبع [٤].

قال الجنيد: الزهد خلوّ القلب عما خلت منه اليد [٥].

سُئل الجنيد عن «الزهد»، فقال: للزهد معنيان، ظاهر وباطن: فالظاهر بغض ما في الأيدي من الأملاك، وتَرْك طلب المفقود؛ والباطن زوال الرغبة عن القلب، ووجود العزوف والانصراف عن ذكر ذلك. فإذا تحقق بذلك، رزقه اللّه تعالى

---

(١) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧١ .

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص١٠٦ .

(٣) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٤، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ٥٨٢، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢٩٥ .

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢٩٥، وفي **اللمع**، الطوسي، ص٧٢ [بدل «التتبع» يرد «الطمع»]، وورد أيضًا في **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١١٢، كما ورد أيضًا في **عوارف المعارف**، السَّهروردي، ص٢٨٥، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص١٤٢ .

(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢٩٤ .

الإشراف على الآخرة والنظر إليها بقلبه. فحينئذ يجدّ في العمل بتقصير الأمل، وتقريب الأجل، لأن الأسباب عن قلبه منقطعة، والقلب منفرد بالآخرة، وحقيقة الزهد قد خَلُصَتْ إلى قلبه، فامتلأ من الذكر الخالص لربّه سبحانه وتعالى. فالزهد عن حقيقة الإيمان والمشاهدة للآخرة تكون بعد الزهد واستواء الأشياء، فيكون عدمها كوجودها بعد المشاهدة، لاستواء القلب ومعه يستوي المدح والذم، لسقوط النَّفْس وذهاب رؤية الخلق. فعندها خلص الإخلاص إلى قلبه لصفاء الزهد، وثبت الزهد لسقوط النفس [1].

(١٨٩) قال الجنيد: قال لي سري السقطي: «اجتهد ألاّ تستعمل من آنية بيتك إلا جنسك». يضيف أبو طالب المكي: يعني من الطين، ويُقال لاحساب عليه [2].

(١٩٠) قال الجنيد: سمعت السريّ يقول: مارست كلّ شيء من أمر الزهد، فنلت منه ما أريد إلا الزهد في الناس، فإني لم أبلغه، ولم أطقه [3].

(١٩١) حكي لنا الجنيد، قال: اجتمع أربعة من الأبدال في جامع المنصور ليلة العيد، فلما أسحروا، قال أحدهم: أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد في بيت المقدس. وقال الآخر: أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد بطرسوس. وقال الثالث: أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد بمكة. وسكت الرابع وكان أعْرَفَهم، فقيل له: أنت أي شيء نويت؟ فقال: أما أنا فقد نويت اليوم ترك الشهوات، لا أصلي إلا في هذا المسجد الذي بتّ فيه. فقالوا: أنتَ أعْلَمُنا. فقعدوا عنده [4].

(١٩٢) اختلف أهل العلم بين عبدَيْن: الأول: ترك الذنب ونفسه تنازعه إليه وهو يجاهدها، والثاني: ترك الذنب ولم تكن نفسه تطالبه ولا تنازعه، ولم يكن في قلبه منه ثقل ولا مجاهدة، أي هذين أفضل؟ قال علماء: الذي سمحت نفسه بالبذل طوعاً من غير إكراه ولا اعتراض أفضل، لأن مقام هذا في سخاوة النفس، والتحقق بالزهد أفضل من جميع أعمال الأول من الإكراه والمجاهدة، ومن بذل ماله على ذلك، ولأنّ

---

(١) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج١/ ص ص٥٤٧-٥٤٨.

(٢) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج١/ ص٣٤٦، كما ورد في **طبقات الصوفية**، السُّلَميّ، ص١٥٩؛ [يورد لفظ «الخزف» بدلاً من لفظ «الطين»].

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢٩٨

(٤) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج١/ ص٥٤٧

الأول وإن غلب نفسه في هذه الكَرّة لا يأمن غلبتها في كرة ثانية أو ثالثة إذ ليس السخاء من مقامها لأنها كانت محمولة عليه . وإلى هذا ذهب الجنيد رحمه اللّه [١] .

* * *

سين

سؤال

١٩٣) وكان إذا سأله سائل عن مسألة يجيبه ، ثم يسأله آخر عنها ، فيجيبه بجوابٍ آخر ، ويقول : على قدر السائل يكون الجواب [٢] .

* * *

سبب

١٩٤) قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ : إن الحقائق اللازمة ، والقصود القويّة المُحْكَمة ، لم تُبق على أهلها سبباً إلا قطعته ، ولا معترضاً إلا منعته ، ولا تأويلاً مُوهماً لصحّة المراد إلا كشفته ، فالحقّ عندهم لصحة الحال مجرد ، والجدّ في دوام السير محدد ، على براهين من العلم واضحة ، ودلائل من الحقّ بيّنة [٣] .

* * *

سبحة

١٩٥) رؤي في يد الجنيد سبحة ، فقيل له : أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟! فقال : طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه [٤] .

* * *

---

(١) النص من **قوت القلوب** ، لأبي طالب المكي ، ج١/ ص ص٣٧٢-٣٧٣ .
(٢) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية** ، للمناوي ، ج١/ ص٥٧٨ .
(٣) النص من **اللمع** ، الطوسي ، ص٢٨٧ .
(٤) النص من **الرسالة القشيرية** ، القشيري ، ج١/ ص١٠٨ ، كما ورد في **طبقات الأولياء** ، لابن الملقن ، ص١٢٨ ، كماورد في **البداية والنهاية** ، ابن كثير ، مج١١/ ص١١٤ ، كماورد في **وفيات الأعيان** ، لابن خلكان ، ج١/ ص٣٧٣ ، كما ورد في **تاريخ بغداد** ، البغدادي ، مج٧/ ص٢٤٥ .

سر

(١٩٦) كان الجنيد ـ رحمه اللّه ـ ينشد هذين البيتين كثيراً:

ومن بعـــد هذا مـــا تدقّ صـــفـــاتُه ومـا كَـتْـمُـه أحظـى لديه وأعْـدَل

ألا إنّ للـرحـــــمن ســــــراً يُسِــرّهُ إلى أهله في السر، والسّترُ أجملُ (١)

* * *

التسليم والرضا

(١٩٧) ورد في الحكايات أنّ النوري في وقت ما، ظلّ يصرخ لمدة ثلاثة أيام وليال في بيته، واقفاً في مكان واحد. فأخبروا الجنيد. فنهض وذهب إليه، وقال: ياأباالحسين! إذا كنت تعرف أنّ الصراخ يفيد معه، فأخبرني لأصرخ أنا أيضاً. وإن كنت تعرف أنّه لا يفيد، فارضَ بالتسليم ليسعد قلبك. فكفّ النوري عن الصراخ، وقال: ما أحسنك معلماً لنا، يا أبا القاسم (٢).

* * *

سماع

(١٩٨) يقول الجنيد: دخلت يوماً على السريّ، فوجدت عنده رجلاً مغشياً عليه. فقلت له: ماله؟ فقال: سَمع آية من كتاب اللّه تعالى. فقلت له: يُقرأ عليه الآية مرة أخرى. فقرئت. فأفاق الرجل. فقال السريّ: من أين علمت هذا؟ فقلت له: إن قميص يوسف ـ عليه السلام ـ ذهب بسببه عَيْنا يعقوب ـ عليه السلام ـ، ثم عاد بصره به. فاستحسن ذلك مني (٣).

(١) النص من **قوت القلوب**، أبو طالب المكي، ج٢/ ص١١٧ .
(٢) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٣٤٤ .
(٣) النص من **الطبقات الكبرى**، للشعراني، ج ١/ ص٨٥، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٥١، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، للغزالي، ج٢/ ص٢٩٧، كما ورد في **اللمع**، الطوسي، ص٣٥٤ .

(١٩٩) سُئل الجنيد: ما بال الإنسان يكون هادئاً، فإذا سمع السماع اضطرب؟ فقال: إنّ اللّه تعالى لما خاطب الذرَّ في الميثاق الأول، بقوله ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [الأعراف/ ١٧٢]، استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح، فلمَّا سمعوا السماع حرَّكهم ذكر ذلك (١).

(٢٠٠) يقول الجنيد: إذا رأيت المريد يطلب السماع فاعلم أنّ فيه بقيةٌ من البطالة (٢).

(٢٠١) قيل إنّ الجنيد ترك «السماع» فقيل له: كنت تستمع؟ فقال: مع من؟ فقيل له: تسمع لنفسك؟ فقال: ممن؟ [يضيف السهروودي شارحاً: لأنهم كانوا لا يسمعون إلا من أهل مع أهل، فلمّا فُقِد الإخوان تُرِك]. (٣).

(٢٠٢) ومعروف أنه كان للجنيد مريدٌ كان يضطرب كثيراً في السماع، وكان ينشغل به الدراويش، فشكوه إلى الشيخ ـ رضي اللّه عنه ـ فقال له: إذا اضطربت بعد هذا في السماع فلا أصحبك أنا أيضاً (٤).

(٢٠٣) سمع الجنيد مغنياً يغني:

منازل كنتَ تهواها وتألفها ... أيام أنتَ على الأيام منصورُ

فبكى ـ رضي اللّه عنه ـ وقال: ما أطيب [منازل] الألفة والمؤانسة، وما أوحش مقامات المخالفة والوحشة، لا أزال أحنّ إلى بَدْوِ إرادتي، وجدّة سعي، وركوبي الأهوال، وجعل يقول:

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٤٣، كما ورد في **روض الرياحين**، اليافعي، ص١٨١، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٥؛ [يرد لفظ «استقرعت» بدلاً من لفظ «استفرغت»]، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٦، كما ورد في **نشر المحاسن**، لليافعي، ص٣١٦ .

(٢) النص من **عوارف المعارف**، السَّهروردي، ص١١٣، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٤٩ .

(٣) النص من **عوارف المعارف**، السَّهروردي، ص١١٣ .

(٤) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٦٥٦ .

خليليّ هل للشّام عينٌ حزينةٌ تبكي على نجدٍ فإني أعينها

وأسلمها الواشون إلا حمامةٌ مطوقةً ورقاءَ ابن قرينها [1]

(٢٠٤) يقول الجنيد: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء، وإلا فتركه أولى: الإخوان، والزمان، والمكان [2].

(٢٠٥) قال الجنيد، ـ رضي اللّه عنه ـ: رأيت درويشاً أسلم الروح في السماع [3].

(٢٠٦) سمعت أبا بكر بن ممشاد يقول: سمعت الجنيد يقول: السماع فتنةٌ لمن طلبه، ترويحٌ لمن صادفه. [4].

(٢٠٧) عن أبي القاسم الجنيد ـ رحمه اللّه ـ أنه قيل له: كنت تسمع هذه القصائد وتحضر مع أصحابك في أوقات السماع، وكنت تتحرّك، والآن فأنت هكذا ساكن الصفة، فقرأ عليهم الجنيد هذه الآية: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [النمل/ ٨٨] [5].

(٢٠٨) قال الجريري، والحكاية معروفة: كنت عند الجنيد، وهناك ابن مسروق وغيره، وثمّ قوّال، فقام ابن مسروق وغيره . . . والجنيد ساكن، فقلت: يا سيدي، مالك في السمع شيء؟ قال الجنيد: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾، ثم قال: وأنت يا أبا محمد مالك في السماع شيء؟ فقلت

---

(١) النص من **روض الرياحين**، اليافعي، ص١٤٧، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٨١، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٣١٣ .

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٤٦، وأيضاً ورد في **اللمع**، ص٣٤٢، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٤٥، وأيضاً في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٢/ ص٣٠١، كما ورد في **روض الرياحين**، اليافعي، ص١٨٢، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٣١٦ .

(٣) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص ٦٥٦ .

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٤٤ .

(٥) النص من **اللمع**، الطوسي، ص ص٣٦٦-٣٦٧، وفي **اللمع** أيضاً ص١٢٨، وفي **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٦٦٣، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٢/ ص٣٠٣ .

[الجريري]: يا سيدي، أنا إذا حضرت موضعاً فيه سَمَاع وهناك محتشم، أمسكت على نفسي وَجْدي، فإذا خلوتُ أرسلتُ وَجْدي، فتواجدتُ[1].

(٢٠٩) وسُئل أبو الحسن بن سالم: كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يسمعون، فقال: كيف أنكر السماع وقد سمعه عبدالله بن جعفر الطيار، يعني ابن أبي طالب. وإنما أنكرُ اللهو، وأنكرُ اللعب في السماع[2].

(٢١٠) يشير الجنيد - رحمه الله - إذا سئل عن سكونه وقلّة اضطراب جوارحه عند السماع، إلى قوله تعالى:

﴿وتَرَى الجبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وهيَ تَمُرُّ مرَّ السَّحاب صُنْعَ اللَّهِ الذي أتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النملَ/ ٨٨].[3].

(٢١١) قال الشيخ الجنيد: ما انتفعت بشيء انتفاعي بأبيات سمعتها، قيل له: وما هي؟ قال: مررت بدرب القراطيس، فسمعت جارية تغني من دار، فأنصتّ لها، فسمعتها تقول:

إذا قلتُ أهدي الهجرُ لي حللَ البلي ... تقولين لولا الهجر لم يطب الحبّ

وإن قلتُ هذا القلبُ أحرقه الهوي ... تقولي بنيران الهوى شَرُفَ القلبُ

وإن قلتُ ما أذنبتُ؟ قلت مجيبةً ... حياتُكَ ذنبٌ لا يُقاسُ به ذَنْبُ

فصعقتُ وصحتُ، فبينا أنا كذلك إذا بصاحب الدار قد خرج، فقال: ما هذا ياسيدي؟ فقلتُ له: مما سمعت. فقال: أشهدك إنها هبة مني لك. فقلت: قد قبلتها، وهي حرة لوجه الله تعالى. ثم زوجتها لبعض أصحابنا بالرباط، فولدت له ولداً نبيلاً، ونشأ أحسن نشوء، وحجّ على قدميه ثلاثين حجة على الواحدة[4].

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص ص٢٠١-٢٠٢.

(٢) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج٢/ ص١٢٣، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٢/ ص٢٦٩.

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص١٢٨، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧١، وفي **وفيات الأعيان**، لابن خلكان، مج١/ ص٣٧٣.

(٤) النص من **وفيات الأعيان**، لابن خلكان، مج١/ ص٣٧٤، كما ورد في **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، مج٢/ ص٢٢٩، كما ورد في **البداية والنهاية**، ابن كثير، مج ١١/ ص ص١١٤- ١١٥.

(٢١٢) ورد عن الجنيد ـ رضي اللّه عنه ـ أنه قال للجريري في حال ابتداء توبته: إذا أردتَ سلامة الدين ورعاية التوبة، لا تُنكر السماع الذي يقيمه الصوفية، ولا ترى نفسك أهلاً له ما دمتَ شاباً، وإذا صرتَ شيخاً فلا تؤثّم الناس (١).

(٢١٣) سُئل الجنيد: ما بالُ أصحابك إذا سمعوا القرآن، لا يتواجدون ولا يتحرَّكون، بخلاف ما إذا سمعوا الرُّباعيَّات؟ فقال: لأنَّ القرآن كلَّه أحكامٌ ومواعظُ، كُلِّفوا بالعمل بها، ومن كُلِّف بشيء لا يَطْربُ به، ولا كذلك الرُّباعيَّات؛ فإنها كلام جنسهم، وممَّا عملته أيديهم، بخلاف القرآن، فإنَّه حقّ صدر عن حقٍّ، فلا مجانسة بينها وبينه (٢).

(٢١٤) قال أبو القاسم الجنيد ـ رضي اللّه عنه ـ: «رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يارسول اللّه ما يقول في السماعات التي نحضرها في الليالي وربما تبدو منا الحركات فيها. فقال ﷺ: ما من ليلة إلا وأحضر معكم ولكن ابدءوا بالقرآن واختموا بالقرآن»(٣).

* * *

سنة الزيارة

(٢١٥) قال الجريري: وافيتُ من الحجّ، فابتدأت بالجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ وسلّمت عليه، وقلت: حتى لا يتعنّى، ثم أتيت منزلي. فلمّا صليت الغداة، التفتُّ فإذا بالجنيد خلفي. فقلت: يا سيدي، إنما ابتدأت بالسلام عليك لكي لا تتعنّى إلى ههنا. فقال لي: يا أبا محمد، هذا حقّك، وذاك فضلٌ لك (٤).

* * *

---

(١) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٦٦٠ .

(٢) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٤ .

(٣)النص من **روض الرياحين**، لليافعي، ص١٨٤ .

(٤) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٧٣، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص ص٤٩٧-٤٩٨، كما ورد في **عوارف المعارف**، السّهروردي، ص٢٤٤، كما ورد في **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٤ .

شين

شأن

(٢١٦) قال أبوالقاسم الجنيد: يا من هو كل يوم في شأن، اجعلني من بعض شأنك[١].

* * *

شباب

(٢١٧) قال الجنيد: سمعت السري ـ رحمه الله ـ يقول: يا معشر الشباب، جدّوا قبل أن تبلغوا مبلغي، فتضعفوا، وتقصّروا كما قصّرت. قال [الجنيد]: وكان [السري]في ذلك الوقت لا يلحقه الشباب في العبادة.[٢].

* * *

شجاعة

(٢١٨) قال الجنيد: الأنس بالمواعيد، والتعويل عليها، خَلَل في الشجاعة[٣].

* * *

شفقة

(٢١٩) سُئل الجنيد عن «الشفقة على الخلق» فقال: تعطيهم من نفسك ما يطلبون، ولاتحمّلهم ما لا يطيقون، ولا تخاطبهم بما لا يعلمون[٤].

* * *

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٠ .

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢٦٥، كما ورد في **بستان العارفين**، للنووي، ص٤٩ .

(٣) النص من **طبقات الصوفية**، السلَمي، ص١٦١ .

(٤) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٣٠٣، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٨ .

شكر

(٢٢٠) قال الجنيد: كنت بين يدي سريّ السقطي ألعب، وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر. فقال لي: يا غلام ما الشكر؟ قلت: ألا تعصي اللّه بنعمه. فقال لي: أخشى أن يكون حظك من اللّه لسانك. قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ: فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها لي السري [١].

(٢٢١) قال سري للجنيد: يا أبا القاسم ما الشكر؟ فقال: ألاّ يُستعان بشيء من نعم اللّه تعالى على معاصيه. فقال سري: من أين لك هذا؟ قال الجنيد: من مجالستك [٢].

(٢٢٢) قال الجنيد: فرض الشكر الاعتراف بالنعم بالقلب واللسان [٣].

(٢٢٣) وقال الجنيد: الشكر: ألاّ ترى نفسك أهلاً للنعمة [٤].

(٢٢٤) يقول الجنيد: الشكر فيه علّة، لأن الشاكر طالب لنفسه به المزيد، فهو واقف مع اللّه تعالى على حظ نفسه بالشكر [٥].

---

(١) النص من **طبقات الأولياء**، لابن الملقن، ص١٢٧، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٨٦، كما ورد في **اللمع**، الطوسي، ص٢٤٠؛ يضيف صاحب **اللمع**: «ألا تعصي اللّه بنعم أنعم اللّه بها عليك»، وفي **طبقات الحنابلة**، لأبي يعلى، ج١/ ص ١٢١، كما ورد في **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٤-٢٤٥، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٨، وفي **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، مج٢/ ص٤١٧، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٦، ووردأيضاً في كتاب **جامع كرامات الأولياء**، للنبهاني، ص٣٨٤، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٤، كما ورد في **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٤/ ص٦٨.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٨٧، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٨.

(٣) النص من **عوارف المعارف**، السَّهرورديّ، ص٢٩٠.

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٨٥، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج/ ٢ص٢٦٦، كما ورد أيضاً في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٨٥.

(٥) النص من **طبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٥، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٨٥.

٢٢٥) قال الجنيد: ما دام الشاكر يطلب من اللّه المزيد بشكره فهو غريقٌ في حظِّ نفسه، إنما الشُكر أن يرى العبد أنه ليس بأهل أن تناله الرَّحمة لشَهوده كثرة معاصيه [١].

٢٢٦) قال الجنيد: إنه وقف عليَّ سائل فسألته. فقال: حرَّكني فعل لَي. فقال الجنيد: لا، ولكن فعل اللّه فيك يقتضي منك شكر ما جعله فيك [٢].

٢٢٧) اعتلّ الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ علة شديدة، فكان يقول: ليس إلا ما قال ذوالنون، رحمه اللّه تعالى، يا من نشكر [يشكر] ما يَهَبُ هبْ لنا ما نشكر [٣].

* * *

شكوى

٢٢٨) عن فارس الحمَّال قال: «لحق أبا الحسين النُّوري علة والجنيد علة، فالجنيد أخبر عن وَجْده، والنُّوري كَتَم، فقيل له: لم لَمْ تُخْبر كما أخبر صاحبك؟ فقال: ما كنّا لنبتلي ببلوى، فتوقع عليها اسم الشكوَى. ثم أنشأ يقول:

إن كنتُ للسُّقْم أهْلاً ... فأنتَ للشُّكْر أهلاَ
عذبْ، فلم يَبْق قَلْبٌ ... يقول للسُّقْم: مهلاَ

فأعيدَ ذلك على الجنيد. فقال: ما كنا شاكين، ولكن أردنا أن نكشف عن عين القدرة فينا، ثم بدأ يقول:

أجلُّ ما منْك يَبْدو ... لأنّه عَنْك جَلاَّ
وأنتَ، يا أنْسَ قلبي ... أجَلُّ من أن تُجَلا
أفْنَيْتَني عن جَميعي ... فكيفَ أرْعَى المَحَلاَّ؟ [٤]

* * *

(١) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٥.

(٢) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٨.

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٧٢؛ ورد في **اللمع** «يشكر» والمعنى يفرض علينا أن نقرأها «نشكر».

(٤) النص من **طبقات الصوفية**، السّلَمِيّ، ص ص١٦٧-١٦٨.

شهادات

(٢٢٩) وكانت الكتبة يحضرون مجلسه [مجلس الجنيد] لألفاظه، والفقهاء لتقريره، والفلاسفة لدقَّة نظره ومعانيه، والمتكلِّمون لتحقيقه، والصوفية لإشاراته وحقائقه(١).

(٢٣٠) كان الجنيد يقول: أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام(٢).

(٢٣١) قال الجنيد: أعطي أهل بغداد الشطح والعبارة، وأهل خراسان القلب والسخاء، وأهل البصرة الزهد والقناعة، وأهل الشام الحِلم والسلامة، وأهل الحجاز الصَّبر والإنابة(٣).

(٢٣٢) قال سري السقطي: صليتُ وردي ليلةً من الليالي ومددتُ رجلي في المحراب، فنوديت: يا سريّ، هكذا تجالس الملوك؟! فضممت رجلي ثم قلت: وعزتك، مامددت رجلي أبداً. وقال الجنيد: فبقي ستين سنة ما مَدّ رجله ليلاً ولا نهاراً(٤).

(٢٣٣) دخل أبو حفص بغداد، فقال له الجنيد: لقد أدّبتَ أصحابك أدب السلاطين. فقال له أبو حفص: حُسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن(٥).

(٢٣٤) قال الجنيد: كان الشافعي ـ رحمه اللّه ـ من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا، وعظ أخاً له في اللّه وخوّفه باللّه، فقال: يا أخي إن الدنيا دحض مزلة ودار مذلة، عمرانها إلى الخراب صائر، وساكنها إلى القبور زائر، شملها على الفرقة موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار، فافزع إلى اللّه وارضَ برزق اللّه، لاتتسلف من دار بقائك إلى دار فنائك، فإن عيشك فيء زائل وجدار مائل، أكثِرْ من عملك واقصر من أملك(٦).

---

(١) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧١.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٩٥، كما ورد في **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٢/ ص٨٧.

(٣) النص من **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٤/ ص٦٩.

(٤) النص من **عوارف المعارف**، السهروردي، ص١٦٦، كما ورد في **نشر المحاسن**، لليافعي، ص٢٢٦.

(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٦١، كما ورد في **نشر المحاسن**، لليافعي، ص٢٢٨.

(٦) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٣/ ص٢١٠.

(٢٣٥) اجتاز أبو العباس بن سريج الفقيه بمجلس الجنيد، فسمع كلامه، فقيل له: ماتقول في هذا الكلام؟ فقال: لا أدري ما يقول، ولكني أرى لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل (١).

(٢٣٦) عن أبي العبّاس بن سُريج: أنّه تكلّم يوماً فعجبوا! فقال: ببركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد (٢).

(٢٣٧) عن أبي القاسم الكَعْبي أنه قال: رأيت لكم شيخاً ببغداد، يُقال له الجنيد، مارأتْ عيناي مثلَه! كان الكَتَبَة- يعني البلغاء- يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة يحضرونه لدقة معانيه، والمتكلمون يحضرونه لِزمام علمه، وكلامه بائنٌ عن فهمهم وعلمهم (٣).

(٢٣٨) قال الخلدي: لم نَرَ في شيوخنا من اجتمع له علمٌ وحالٌ غير الجنيد. كانت له حالٌ خطيرة، وعلمٌ غزير، إذا رأيت حاله رجَّحْتَه على علمه، وإذا تكلّم رجَّحْتَ علمَه على حاله (٤).

(٢٣٩) قال ابن نُجيد: ثلاثةٌ لا رابعَ لهم: الجنيد ببغداد، وأبو عثمان بنيسابور، وأبو عبدالله بن الجلاّء بالشام (٥).

(٢٤٠) لما حضرت سرياً السقطي الوفاة قال له الجنيد: يا سري، لا يرون بعدك مثلك. قال: ولا أخلف عليهم بعدي مثلك (٦).

(٢٤١) قال الجنيد: منذ مات النوري لم يخبِر عن حقيقة الصدق أحد (٧).

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٧٣٣ .

(٢) النص من **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٤/ ص٦٧ .

(٣) النص من **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٤/ ص ص٦٧-٦٨، كما ورد في **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٣ .

(٤) النص من **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٤/ ص٦٨، كما ورد في **تاريخ بغداد**، البغدادي، ج٧/ ص٢٤٤ .

(٥) النص من **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٤/ ص٧٠، كما ورد في **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٦ .

(٦) النص من **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص ص٢٤٦-٢٤٧ .

(٧) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص١١٢ .

(٢٤٢) قال الجنيد: ما رأيت أعبد من السري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعاً إلا في علّة الموت [١].

* * *

شاهد

(٢٤٣) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ لمَ سُمي الشاهد شاهداً؟ فقال: الشاهد الحق، شاهد في ضميرك وأسرارك مطلعاً عليها، وشاهداً لجماله في خلقه وعباده، فإذا نظر الناظر إليه شهد علمَهُ بنَظَره إليه. [وشاهدُ الصوفية هو: أن يقطع منزلَ المريدين، فيشهد عموم العارفين. وحَمَلَة اسم الشاهد الحاضر في الغيب، لايحرج، ولا يفتر، ولا يتغافل، فإن غفل غفلة مريد فليس بشاهد، وكلّما يجري فيه غير هذا في ظاهر الخليقة فهو باطل، فليس هو طريق الصوفية] [٢].

(٢٤٤) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه ـ عن «الشاهد»، فقال: الشاهد الحق [شاهد] في ضميرك وأسرارك مطلّع عليها، والمشهود ما يشهده الشاهد [٣].

* * *

مشاهدة

(٢٤٥) قال الجنيد: من قال «اللّه» عن غير مشاهدة، فهو مفترٍ [الأصل: مفترى] [٤].

(٢٤٦) قال الجنيد: إنّ إبليس لم ينل مشاهدته في طاعته، وآدم لم يفقد مشاهدته في معصيته [٥].

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٦٥، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٤٠٩، ورد أيضاً في **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٢/ ص١٨٦، كما ورد في **نفحات الأنس**، الجامي، ورقة ٤٧ .

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٣٠١ .

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤١٥، كما ورد في **مَشْرَب الأرواح**، الشيرازي، ص١٢٤ .

(٤) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٢٥ .

(٥) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٥٦ .

(٢٤٧) قال الجنيد والنوري وغيرهما من الكبار: إنّ ما جرى على الأنبياء إنما جرى على ظواهرهم، وأسرارهم مستوفاة بمشاهدة الحقّ[(١)].

(٢٤٨) يقول الجنيد: حقيقة المشاهدة وجود الحق مع فقدانك[(٢)].

(٢٤٩) قال الجنيد: المشاهدة إدراكُ الغيوب بأنوار الأسرار عند صفاء القلب من الدَّنس وخلوصه من الأضّداد والأغيار في مراقبة الجبّار، فيصير كأنه ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق من صفاء المعرفة وبرد اليقين.[(٣)].

* * *

شوق

(٢٥٠) قيل للجنيد: إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت، فقال: لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقاً[(٤)].

(٢٥١) قال الجنيد: بلغني أن يونس ـ عليه السلام ـ، بكى حتى عَميَ، وقام حتّى انحني، وصلّى حتّى أُقْعِدَ، ثمّ قال: وعِزَّتِكَ، لو كان بيني وبينَكَ بحرٌ من نارٍ لخضتُهُ شَوقاً إليكَ[(٥)].

(٢٥٢) يقول الجنيد: سمعت سري السقطي يقول: الشوق أجلّ مقام للعارف إذا تحقق فيه؛ وإذا تحقق في الشوق لَهَا عن كل شيء يُشغله عمن يشتاق إليه[(٦)].

* * *

---

(١) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص٨٦.

(٢) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٦، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢٢٦، كما ورد في **نشر المحاسن**، لليافعي، ص١١٨.

(٣) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٦.

(٤) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٤٨٢، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٩١.

(٥) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨٠، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٣٦١.

(٦) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٣٠.

صاد

صبر

(٢٥٣) سُئل الجنيد عن «الصبر»، فقال: هو تجرّع المرارة من غير تعبيس [١].

(٢٥٤) وقال الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ: كلّ شيء يقدر الفقير أن يعمله إلا صَبْرَهُ على وقته إلى انقضاء مدّته. [٢].

(٢٥٥) سُئل الجنيد عن الصبر، فقال: حمل المؤمن للّه تعالى حتى تنقضي أوقات المكروه [٣].

(٢٥٦) قال الجنيد ـ رحمه الله ـ: السير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن، وهجران الخلق في جَنْب الله تعالى شديد، والسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد، والصبر مع الله أشد [٤].

(٢٥٧) قال أبو عبدالله المكانسي: كنت عند الجنيد فأتت امرأة إليه وقالت: ادع الله أن يردّ عليّ ابني، فإن ابناً ليَ ضاع. فقال لها: اذهبي واصبري. فمضت، ثم عادت، فقالت له مثل ذلك، فقال لها الجنيد: اذهبي واصبري. فمضت، ثم عادت، ففعلت مثل ذلك مرات، والجنيد يقول لها: اصبري. فقالت له: عيل صبري، ولم يبق لي طاقة عليه، فادع لي. فقال لها الجنيد: إن كان الأمر كما قلت فاذهبي فقد رجع ابنك. فمضت فوجدته، ثم عادت تشكر له. فقيل للجنيد: بم عرفت ذلك؟

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٩٨، كما وردفي **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج/ ٢ص٢٦٥، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٨١، كما ورد في نشر المحاسن، اليافعي، ص١٥٥.

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٣٢.

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٧٦، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٧٠.

(٤) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٧٨، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج/ ٢ ص٢٦٤، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٨١، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص ص٣٩٧-٣٩٨، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص١٥٥.

فـقـال: قـال الله تعـالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل/ ٦٢] [١].

(٢٥٨) قال عبد الرحمن بن خفيف ـ رضي الله عنه ـ: دخلت بغداد قاصداً إلى الحج وفي رأسي نخوة الصوفية [يعني حدة الإرادة وشدة المجاهدة وإطراح ما سوى الله تعالى]ولـم آكل أربعين يومًا، ولـم أدخل على الجنيد. وخرجت ولـم أشرب الماء، وكنت على طهـارتي، فـرأيت ظبـيًا في البـرية على رأس بئر وهو يشـرب، وكنت عطشـانَ، فلما دنوت من البـئر ولّي الظبي، وإذا الماء في أسفل البـئر، فـمشـيت وقلت: يا سيدي، مالي عندك محل هذا الظبي؟ فسمعت قائلاً يقول من خلفي: جرّبناك فلم تصبر، ارجع فخذ الماء. فرجعت، فإذا البئر ملآنة، فملأت ركوتي، وكنت أشـرب منها وأتطهـر إلى المدينة ولـم ينفـد الماء. ولما استقيتُ سمعتُ هاتفًا يقول: إن الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل، وأنت جئت مع الركوة والحبل؟! فلما رجعت من الحج، دخلت الجامع، فلما وقع بصر الجنيد عليّ [الأصل: عني]، قال: لو صبرت لنبع الماء من تحت قدميك، لو صبرتَ صَبْر ساعة [٢].

* * *

صحبة

(٢٥٩) قال الجنيد: صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة [أي الصوفية]، كل طبقة ثلاثون رجلاً: حارثًا المحاسبي وطبقته، وحسنًا المسوحي وطبقته، وسريًا السقطي وطبقته، وابن الكرنبي وطبقته [٣].

(٢٦٠) سأل رجل الجنيد: من أصحبُ؟ فقال: من تَقْدر أن تُطلعه على ما يعلمه الله منك [٤].

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص ص٥٢٦-٥٢٧ .

(٢) النص من **روض الرياحين**، اليافعي، ص٨٣، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص ص٧٠٨-٧٠٩ .

(٣) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٢/ ص١٨٩ .

(٤) النص من **طبقات الصوفية**، السُّلَميّ، ص١٦١، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٧٠ [ونصه: «قال اصحَب بعدي من تأمنه سرّ الله فيك»].

(٢٦١) وسأل رجل الجنيد: من أصحب؟ فقال: من يقدر أن ينسي ماله، ويقضي ما عليه [١].

(٢٦٢) يقول الجنيد: ما احتشم صاحبٌ من صاحبه أن يسأله حاجة، إلا لنقص في أحدهما [٢].

(٢٦٣) قال الجنيد: صحبتُ قوماً بالبصرة، فأكرموني، فقلتُ يوماً مرةً «أين إزاري؟» فسقطتُ من أعينهم [٣].

(٢٦٤) يورد النووي في بستان العارفين حادثة جرت في مجلس الجنيد وكانت وراء تلقيب محمد بن جعفر الخواص صاحب الجنيد بالخُلْدي: قيل له الخلدي، لأنه كان يوماً عند الجنيد، فسئل يوماً على مسألة، فقال الجنيد: أجبهم. فأجابهم. فقال له الجنيد: من أين لك هذه الأجوبة؟ فقال: من خلدي. فبقي عليه هذا الاسم [٤].

* * *

صحو

(٢٦٥) يقول الهجويري: ثم إن الجنيد، وأبا العباس السياري، وأبا بكر الواسطي، ومحمد بن على الترمذي، [أجمعوا] على أن الكرامة تظهر في حال الصحو والتمكين دون السُكر، لأن اللّه تعالى جعل أولياءه أولياء للعالم، وناط بهم الحَلّ والعقد، وصيّر أحكام العالم موصولة بهمتهم. فوجب أن تكون آراؤهم أصح كلّ الآراء، وقلوبهم أشفق كلّ القلوب، وبخاصة على خلق اللّه، لأنهم واصلون. والتلوين والسُكر يكونان في حال الابتداء، فإذا حصل البلوغ تبدّل التلوين بالتمكين، ومن ثمّ يكون الولي وليّاً حقاً، وتكون كراماته صحيحة [٥].

---

(١) النص من **طبقات الصوفية**، السُّلَميّ، ص ص١٦١-١٦٢ .

(٢) النص من **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٦ .

(٣) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨٣ .

(٤) النص من **بستان العارفين**، النووي، ص٤٠ .

(٥) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٤٦٢ .

(٢٦٦) يقول الهجويري: ثم إن أولئك [رجال الصوفية] الذين يفضلون الصحو على السكر، وهم الجنيد وأتباعه، يقولون: إن السُّكر محلّ للآفة، لأنه تشويش الأحوال، وذهاب الصحة، وضياع زمام النفس [١].

(٢٦٧) قال الجنيد عن الشبلي: الشبليُّ سكران، ولو أفاق لجاء منه إمام يُنتفع به [٢].

* * *

صدق

(٢٦٨) قال الجنيد: حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب [٣].

(٢٦٩) قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ: ما من أحد طلب أمراً بصدق وجَدّ إلا أدركه، وإن لم يدرك الكلّ أدرك البعض [٤].

(٢٧٠) قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ: حقيقة الصدق تجري بموافقة اللّه تعالى في كلِّ حال [٥].

(٢٧١) قال الجنيد: رأيت في المنام كأنّ ملكَيْن نزلا من السماء، فقال أحدهما لي: ماالصدْق؟ فقلت: الوفاء بالعهد. فقال الآخر: صدَق. ثم صعدا [٦].

(٢٧٢) يقول الجنيد: الصادق يتقلّب في اليوم أربعين مرة، والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة [٧].

---

(١) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٤١٥.

(٢) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٦٦٣.

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٥١، كما ورد في **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٥، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٧١.

(٤) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٨٨.

(٥) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٨٨.

(٦) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٧٢٧.

(٧) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٤٩، كما ورد في **بستان العارفين**، النووي، ص٢٦ (مع شرح للنووي)، كما ورد أيضاً في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٥، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٣.

(٢٧٣) عن الجنيد، في قوله تعالى: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب/ ٨]، قال: يَسْأل الصادقين عند أنفسهم، عن صدقهم عند ربهم، وهذا أمر على خطر[١].

(٢٧٤) قال الجنيد: إذا صدقتَ اللّه فأصدقه في سرِّك، فإنه تعالى جعل لإبليس على كلِّ شيء طريقاً، إلا على صدق الأسرار[٢].

(٢٧٥) قال الجنيد: المريد الصادق غنيّ عن علوم العلماء، يعمل على بيان، يرى وجه الحقّ في وجوه الحقّ، ويتوقي وجوه الشرّ من وجوه الشرّ[٣].

(٢٧٦) قال الجنيد: من طلب عزاً بباطل أورثه اللّه ذلاً بحقّ[٤].

* * *

صداقة

(٢٧٧) قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ: إذا كان لك صديق فلا تَسُؤْهُ فيك بما يكرهه[٥].

* * *

تصديق

(٢٧٨) قال الجنيد، وسهل، وغيرهما من المتقدمين: إن التصديق يزيد ولا ينقص. ونقصانه يُخرج من الإيمان، لأنه تصديق بأخبار اللّه تعالى، وبمواعيده، وأدنى شكّ فيه كفر. وزيادته من جهة القوة واليقين. وإقرار اللسان لا يزيد ولا ينقص، وعمل الأركان يزيد وينقص[٦].

* * *

---

(١) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٣٨٧.

(٢) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨٠.

(٣) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٠، وأوله من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٣٨.

(٤) النص من **طبقات الأولياء**، لابن الملقن، ص١٢٧.

(٥) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٧٩.

(٦) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص٩٧.

صلاح

(٢٧٩) كان الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: بصفاء المطعم والملبس والمسكن يصلح الأمر كله [١].

* * *

صلاة

(٢٨٠) قال الجنيد: لا يكون همّك في صلاتك إقامتها، دون الفرح والسرور بالاتصال بمن لا وسيلة إليه إلا به. [٢].

(٢٨١) حكي عن الجنيد أنه قال: لكلّ شيء صفوة، وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى. [ويضيف الطوسي: والمعنى في ذلك أن التكبيرة الأولى هي مقرونة بالنية التي لاتجوز الصلاة إلا بها وهو عقدك بأن صلاتك لله عزَّ وجلَّ، فإذا صح العقد فما دخل بعد ذلك في صلاتك من الآفات الباطنة لم يفسد الصلاة، بل ينقص من فضلها، ويبقي للمصلي عقدها ونيتها] [٣].

(٢٨٢) سُئل الجنيد: ما فريضة الصلاة؟ قال: قطع العلائق، وجمع الهم، والحضور بين يدي الله [٤].

* * *

صمت

(٢٨٣) قال الجنيد ـ رحمه الله ـ: رأيت مع أبي حفص النيسابوري ـ رحمه الله تعالى ـ إنساناً كثير الصمت لا يتكلم. فقلت لأصحابه: من هذا؟ فقيل لي: هذا إنسان

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٤٤ .

(٢) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٧٠ .

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٠٤، كما ورد في **عوارف المعارف**، السَّهرورديّ، ص١٨٢ .

(٤) النص من **عوارف المعارف**، السَّهرورديّ، ص١٩١ .

يصحب أبا حفص ويخدمنا، وقد أنفق عليه مائة ألف درهم كانت له، واستدان مائة ألف أخرى أنفقها عليه، ما يسوِّغه أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة [١].

* * *

صواب

(٢٨٤) قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ : الصواب كلّ نُطْق عن إذن [٢].

* * *

تصوف

(٢٨٥) يقول الجنيد: مبنى التصوف على أخلاق ثمانية من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ : السخاء وهو لإبراهيم، والرضا وهو لإسحاق، والصبر وهو لأيوب، والإشارة وهي لزكريا، والغُرْبة وهي ليحيى، ولبس الصوف وهو لموسى، والسياحة وهي لعيسى، والفقر وهو لمحمد ﷺ وعليهم أجمعين [٣].

(٢٨٦) سُئل الجنيد عن «التصوف» فقال: هو أن يُميتك الحقّ عنك ويُحييك به [٤].

(٢٨٧) سُئل الجنيد عن «التصوف» فقال: هو أن تكون مع اللّه تعالى بلا علاقة [٥].

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٣٥، كما ورد في **عوارف المعارف**، السَّهروردي، ص٢٤٠، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٧٨ .

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٣٠٣ .

(٣) النص من **الطبقات الكبرى**، للشعراني، ج١/ ص٨٥، كما ورد في **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٢٣٥ .

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٥١، كما ورد النص في **عوارف المعارف**، للسَّهروردي، ص٣٩، ويضيف السَّهروردي: «وهذا المعنى هو الذي ذكرناه من كونه قائمًا في الأشياء باللّه لا بنفسه. والفقير والزاهد يكونان في الأشياء بنفسهما واقفان مع إرادتهما، مجتهدان مبلغ علمهما، والصوفي متّهمٌ لنفسه مستقل لعلْمه غير راكن إلى معلومه، قائم بمراد ربه لا بمراد نفسه»، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٣٩٦ .

(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٥٢، كما ورد النص أيضًا في **اللمع**، الطوسي، ص٤٥، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٥، **عوارف المعارف**، السَّهروردي، ص٣٧، كما ورد في **نشر المحاسن**، لليافعي، ص٣٩٦ .

(٢٨٨) قال الجنيد: التصوف عُنوةٌ لا صُلْح فيها[١].

(٢٨٩) قال الجنيد: التصوف ذكرٌ مع اجتماع، ووَجْدٌ مع استماع، وعملٌ مع اتّباع[٢].

(٢٩٠) قال الجنيد: إنما هذا الاسم [يعني التصوف] نعتٌ أقيمَ العبدُ فيه. فقال أبو بكر الملاعيقي: يا سيدي. نعتٌ للعبد أم نعتٌ للحقّ؟ فقال الجنيد: نعتٌ للحقِّ حقيقةً، ونعتٌ للعبد رَسْماً[٣].

(٢٩١) قال الجنيد: الصوفيُّ كالأرض، يُطرحُ عليها كُلُّ قبيحٍ ولا يخرج منها إلا كلُّ مليح[٤].

(٢٩٢) وقال الجنيد: الصوفيُّ كالأرض يطؤها البرُّ والفاجِرُ، وكالسحاب يُظِلُّ كلَّ شيء، وكالمطر يسقي كلّ شيء.[٥].

(٢٩٣) قال الجنيد: ما أخذنا التصوّف عن القال والقيل، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات، والمستحسنات. لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع اللّه، وأصله العزوف عن الدنيا، كما قال حارثة: «عزفتُ نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري»[٦].

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٥٣، كما ورد النص أيضاً في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٥، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٥.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري ج٢/ ص٥٥٣، كما ورد في **نشر المحاسن**، لليافعي، ص٣٩٧

(٣) النص من **طبقات الصوفية**، السُّلَميّ، ص١٥٨.

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشَيري، ج٢/ ص٥٥٣، كما ورد النص أيضاً في **عوارف المعارف**، السَّهروردي، ص٤٠، كما ورد في **نشر المحاسن**، لليافعي، ص٣٩٧.

(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٥٣، وتورد **الرسالة القشيرية**، ج٢/ ص٦٠٦ نفس النص تقريباً في تعريف العارف: «لا يكون العارف عارفاً حتى يكون كالأرض... وكالمطر يسقي مايحبُّ وما لا يحبّ»، كما ورد النص في **عوارف المعارف**، السَّهروردي، ص٤٠.

(٦) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص ص٢٧٧-٢٧٨، كما ورد النص في **روض الرياحين**، اليافعي، ص٢٠، كما ورد في **نشر المحاسن**، لليافعي، ص٢٨٠، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج/١ ص٨٤، وفي **طبقات الصوفية**، السُّلَمي، ص١٥٨، تاريخ بغداد، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٦، طبقات الحنابلة، للقاضي أبي يعلى، ج١/ ص١٢٨، **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص١٠٦، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٦، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٢، كما ورد مطلعه في **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٤/ ص٦٩.

(٢٩٤) سُئل الجنيد عن «التصوف»، فقال: تصفيةُ القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلّق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء للّه على الحقيقة، واتباع الرسول في الشريعة (١).

(٢٩٥) قال الجنيد: التصوف حفظ الأوقات. وهو ألاّ يطالع العبد غير حدّه، ولايوافق غير ربّه، ولا يقارن غير وقته (٢).

(٢٩٦) قيل للجنيد: «ما التصوف»؟ قال: لحوق السر بالحق، ولا يُنال ذلك إلا بفناء النفس عن الأسباب، لقوة الروح والقيام مع الحق (٣).

(٢٩٧) قال الجنيد: الصوفية هم أهل بيت واحد، لا يدخل فيهم غيرهم (٤).

(٢٩٨) قال الجنيد: إذا رأيت الصوفي يُعْنَي بظاهره فاعلم أن باطنه خراب (٥).

(٢٩٩) وقال الجنيد: لكل أمة صفوة، وصفوة هذه الأمة الصوفية (٦).

(٣٠٠) وقيل للجنيد مرةً: ما بالُ أصحابك يأكلون كثيراً؟ فقال: لأنهم يجوعون كثيراً؛ قيل له: فمابالهم لا تهمهم قوة شهوة؟ فقال: لأنهم لم يذوقوا طعم الزنى ويأكلون الحلال؛ قيل له: فما بالهم إذا سمعوا القرآن لا يطربون؟ قال: وأي شيء في القرآن يُطرب في الدنيا، القرآن حقّ نَزَل من عند حقّ، لايليق بصفات الخلق؛ عند كل حرف منه على الخلق واجب، لا يخرجهم منه إلا الوفاء للّه عزَّ وجلَّ به، فإذا سمعوه في الآخرة من قائله أطربهم؛ قيل له: فما بالهم يسمعون القصائد والأشعار والغناء فيطربون؟ فقال: لأنها مما عملت أيديهم، ولأنه كلام المحبين؛ قيل له: فما

---

(١) النص من **التعرف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص ص٣٤-٣٥، كما ورد في **عوارف المعارف**، السَّهروردي، ص٤٠ دون نسبته للجنيد، وصيغته «سُئل بعضهم عن التصوف فقال: . . .».

(٢) النص من **التعرّف لمذاهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٠٩ .

(٣) النص من **التعرّف لمذاهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٠٩ .

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٥٣، كما ورد النص في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ص٨٥، أيضاً ورد في **طبقات الأولياء**، ابن الملقن، ص١٢٧ .

(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٥٣، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٥، ويورد لفظ «يعبأ» بدلاً من لفظ «يُعْنَى».

(٦) النص من **طبقات الأولياء**، ابن الملقن، ص١٢٨ .

بالهم محرومين من أموال الناس؟، فقال: لأن اللّه تعالى يرضى لهم ما في أيدي الناس، لئلا يميلوا إلى الخلق، فيُقطعوا عن الحق تعالى، فأفرد القصد منهم إليه اعتناءً بهم [1].

(٣٠١) سُئل الجنيد بن محمد ـ رحمه اللّه ـ عن الصوفية: من هم؟ فقال: أثرة اللّه في خلقه، يخفيها إذا أحب، ويُظهرها إذا أحب [2].

(٣٠٢) يقول الجنيد: إذا أراد اللّه تعالى بالمريد خيراً أوقعه إلى الصوفية، ومنعه صحبة القُرّاء [3].

(٣٠٣) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ عن «التصوف ما هو»؟ فقال: اجتناب كل خُلق دنيّ، واستعمال كلّ خُلق سَنِيّ، وأن تعمل للّه، ثم لا ترى أنك عملت [4].

* * *

صوم

(٣٠٤) قال الجنيد ـ رضي اللّه عنه ـ: الصوم نصف الطريقة [5].

(٣٠٥) قيل أن الجنيد: أقام عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع، وورده كل يوم ثلاث مائة ركعة [6].

(٣٠٦) حُكي عن الجنيد أنه كان يصوم على الدوام، فإذا دخل عليه إخوته أفطر معهم، ويقول: ليس فضل المساعدة مع الإخوان بأقل من فضل الصوم للصائم [إذا كان متطوعاً] [7].

(١) النص من **الطبقات الكبرى**، للشعراني، ج١/ ص٨٦ .

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٦.

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٣٦، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٢٧٦ .

(٤) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٩٦، **اللمع** يورد «الظرف» بدل «التصوف»؛ والأصح: التصوف. كما ورد النص في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٧١، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٩ .

(٥) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٥٦٤ .

(٦) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧١ .

(٧) النص من **عوارف المعارف**، السهروردي، ص١٩٥، كما ورد في **اللمع**، الطوسي، ص٢٢٠، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧١ .

طـــاء

طبع

(٣٠٧) قال الجنيد: الإنسان لا يُعاب بما في طَبْعه، إنما يُعَاب إذا فعل بما في طَبْعه [١].

* * *

طريق إلى الجنة

(٣٠٨) قال الجنيد: سمعت السريّ يقول: أعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة. فقلت له: ما هو؟ فقال: لا تسأل من أحد شيئاً، ولا تأخذ من أحد شيئاً، ولا يكن معك شيء تعطي منه أحداً [٢].

* * *

طريق إلى الله

(٣٠٩) قال الجنيد: الطرق كلّها مسدودةٌ على الخلق، إلا [على] من اقتفى أثر الرسول ﷺ، واتَّبع سنته، ولَزِم طريقتَهُ، فإنّ طُرُق الخيرات كلّها مفتوحةٌ عليه [٣].

(٣١٠) قال الجنيد: الطريق إلى الله مسدود على خَلْق الله عز وجل، إلا المقتفين آثار

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٩، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٩، كما ورد في **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤٢٠.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٦٦، كما ورد في **اللمع**، الطوسي، ص٢٦٢.

(٣) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٥٧، كما ورد في **طبقات الصوفية**، السُلَميّ، ص١٥٩، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٣، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٥، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص١٠٦، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٣٦٤.

الرسول ﷺ والتابعين لسنته. كما قال اللّه عز وجل: [الأحزاب/ ٢١] ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (١).

(٣١١) سُئل الجنيد: كيف الطريق إلى اللّه تعالى؟ فقال: توبةٌ تحلّ الإصرار، وخوفٌ يزيل الغرَّة، ورجاءٌ مُزْعِجٌ إلى طريق الخيرات، ومراقبة اللّه في خواطر القلوب(٢).

(٣١٢) قال الجنيد ـ رضي اللّه عنه ـ: طريق الحبيب إما بالعلم أو بالسلوك. والسلوك بلا علم، وإن يكن حسناً، فهو جهل ونقص. وإذا كان العلم مع السلوك، فهو عزّ وشرف (٣).

(٣١٣) وقال الجنيد: بُنِيَ الطريقُ على أربع: لا تتكلم إلا عن وجود، ولا تأكل إلا عن فاقة، ولا تَنَم إلا عن غَلَبَة؛ ولا تسكت إلا عن خشية (٤).

(٣١٤) إذا طلب أحدهم منه [الجنيد] الطريق، يقول: اذهبْ فاخدم الملوك، ثم تعال؛ فإنه بداية طريقنا نهاية مقام بعض الملوك (٥).

(٣١٥) قال الجنيد: مَنْ لم يسمع الحديث، ويُجالس الفقهاء، ويأخذ أدبه عن المتأدبين، أفسد من اتَّبعه،

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف/ ١٠٨](٦).

(٣١٦) قال الجنيد لابن سريج [الأصل: ابن شُريح]: طريقنا أقرب إلى الحقّ من طريقكم. فطالَبَهُ بالبرهان. فقال الجنيد لرجل: إرْم حجراً في حلقة الفقراء،

---

(١) النص من **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤١٨ .

(٢) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٩ ، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٤ ، كما ورد في **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤٢٠ .

(٣) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٦٦٢ .

(٤) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٧٤ ، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٣ .

(٥) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٢ .

(٦) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٢ .

فرماه، فصاحوا كلُّهم: اللّه. ثمّ قال: ألقه في حلقة الفقهاء، فألقاه، فقالوا: حرامٌ عليك، أزعجتنا. فقبَّلَ [ابن سريج] رأسه [رأس الجنيد] واعتذر [1].

(٣١٧) قال الجنيد: الإيمان بطريقنا هذا ولاية [2].

(٣١٨) كان أبو القاسم الجنيد كثير الصلاة، ثم رأيناه في وقت موته وهو يدرّس ويُقَدّم إليه الوسادة فيسجد عليها. فقيل له: ألا روّحت عن نفسك؟ فقال: طريق وصلتُ به إلى اللّه لا أقطعه [3].

(٣١٩) زار الجريري الجنيد، فوجده يصلي، فأطال، فلامه، فقال [الجنيد]: طريقٌ عرفنا بها ربَّنا لا نقتصر على بعضها، فالنَّفس ما حمَّلتها تتحمّل، والصلاة صلةٌ، والسجود قربةٌ، ومن ترك طريق القُرْب أوشك أن يسلك طريق البعد [4].

(٣٢٠) قال الجنيد، للشبلي: إن خطرَ ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير اللّه فلا تعُدْ ثانيًا؛ فإنه لا يجيءُ منك شيءٌ في الطريق [5].

* * *

طعام

(٣٢١) عن الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ أنه قال: من النذالة أن يأكل الرجل بدينه [6].

(٣٢٢) كان الجنيد ـ رحمه اللّه ـ يقول: يقوم أحدهم في صلاته، فيجعل بينه وبين اللّه تعالى زنبيل طعام، ويريد أن يجد حلاوة المناجاة، أويسمع فهم الخطاب! [ويضيف صاحب قوت القلوب شارحًا: ومثل البَطْن مثل المِزْهَر، وهو العود المجوّف ذو الأوتار، إنّما حسن صوته لخفته ورقته، ولأنه أجوفَ غير ممتلئ، ولو

---

(١) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٨ .
(٢) النص من **عوارف المعارف**، السَّهروردي، ص٤٥ .
(٣) النص من **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤٢٢ .
(٤) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٩ .
(٥) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١ / ص٥٧٤ .
(٦) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٤٤ .

كان ثقيلاً جالساً ممتلئاً لم يكن له صوت . وكذلك الجَوْف إذا خلا من الامتلاء ، كان أرقَّ للقلب ، وأعْذَب للتلاوة ، وأدوم للقيام ، وأقلّ للمنام] [1] .

(٣٢٣) يحكى عن الجنيد أنه قال : مرَّ بي يوماً الحارث المحاسبي ، فرأيت فيه أثرالجوع ، فقلت : يا عمّ ، تدخل الدار وتتناول شيئاً؟ فقال : نعم . فدخلتُ الدار ، وطلبتُ شيئاً أقدِّمه إليه ، فكان في البيت شيءٌ من طعام حُمل إليَّ من عرس قوم ، فقدَّمته إليه ، فأخذ لقمةً وأدارها في فمه مرات ، ثم إنّه قام وألقاها في الدهليز ، ومرّ . فلما رأيته بعد ذلك بأيام ، قلت له في ذلك ، فقال : إني كنت جائعاً وأردت أن أسرّك بأكلي ، وأحفظ قلبك ، ولكن بيني وبين اللّه سبحانه علامة ، ألاّ يسوغني طعاماً فيه شُبْهة ، فلم يمكنّي ابتلاعه ، [تُفصّل رواية طبقات الشافعية الكبرى وجه عدم التسويغ بقول المحاسبي : «إنه إذا لم يكن الطعام مرضياً ارتفع إلى أنفي منه زَفْرةٌ ، فلم تقبله نفسي»] . فمن أين كان لك ذلك الطعام؟ فقلت : إنه حمل إليَّ من دار قريب لي من العرس ، ثم قلت : تدخل اليوم؟ فقال : نعم . فقدمت إليه كسراً يابسةً كانت لنا ، فأكل ، وقال : إذا قدّمت إلى فقير شيئاً فقدِّم إليه مثل هذا [2] .

(٣٢٤) قال الجنيد : جاءني بعض الصالحين يوم جمعة ، فقال لي : ابعث معي فقيراً يُدخل عليَّ سروراً ، ويأكل معي شيئاً . فالتفتُ ، فإذا أنا بفقير شهدتُ فيه الفاقة ، فدعوته ، وقلت له : امض مع هذا الشيخ ، وأدخل عليه سروراً فمضي . فلم ألبث أن جاءني الرجل ، فقال لي : يا أبا القاسم ، لم يأكل ذلك الرجل الفقير إلا لقمة ، وخرج ! ! فقلت : لعلك قلتَ كلمة جفاء عليه . فقال لي : لم أقل شيئاً . فالتفتُ فإذا أنا بالفقير جالس . فقلت له : لم لم تُتمّ عليه السرور؟ فقال : يا سيدي ، خرجتُ من الكوفة وقدمتُ بغداد ، ولم آكل شيئاً ، وكرهتُ أن يبدو سوء أدب مني من جهة

---

(١) النص من **قوت القلوب** ، لأبي طالب المكي ، ج٢/ ص٣٥٨ ، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية** ، للمناوي ، ج١/ ص٥٧٤ ، كما ورد في **إحياء علوم الدين** ، الغزالي ، ج٣/ ص٧٣ ، كما ورد في **الرسالة القشيرية** ، القشيري ، ج١/ ص٢١٩ .

(٢) النص من **الرسالة القشيرية** ، القشيري ، ج١/ ص٧٣ ، كما ورد في **اللمع** ، الطوسي ، ص٤٠٧ ، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى** ، السبكي ، ج٢/ ص٢٧٦ ، كما ورد أيضاً في **سير أعلام النبلاء** ، الذهبي ، ج١٢/ ص١١١ .

الفاقة في حضرتك، فلما دعوتَني، سررتُ إذ جرى ذلك ابتداءً منك، فمضيتُ وأنا لا أرضي له الجنان. فلما جلستُ على مائدته، سوَّى لقمةً، وقال لي: كُل، فهذا أحبّ إليَّ من عشرة آلاف درهم. فلمّا سمعتُ هذا منه، علمتُ أنه دنيء الهمّة، فتطرفت أن آكل طعامه. فقال الجنيد للشيخ: ألم أقل لك إنك أسأت أدبك معه، فقال: يا أبا القاسم التوبة. فسأله أن يمضي معه، ويُفْرِحه [١].

* * *

طاعة

(٣٢٥) قال الجنيد: الطاعة عاجل بُشْراه على ما سبق لهم من اللّه تعالى، وكذلك المعصية [٢].

* * *

عين

عبادة

(٣٢٦) قال الجنيد: تنتهي عبادة أهل المعرفة إلى الظَّفَرِ بنفوسهم [٣].

(٣٢٧) كان الجنيد يدخل كلّ يوم حانوته، ويسبلُ الستر، ويصلي أربعمائة ركعة، ثم يعود إلى بيته [٤].

(٣٢٨) حُكي أنّ أبا العباس بن عطاء دخلَ على الجنيد في وقت نزعه، فسلّم عليه فلم

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٦٤، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص ص٢٢٨-٢٢٩.

(٢) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص٧٧.

(٣) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٨.

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص١٠٨، كما ورد في **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص ص٤١٧-٤١٨، كما ورد في **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٤/ ص٦٧.

يجبه، ثم أجاب بعد ساعة، وقال: أعذرني فإني كنت في وردي، ثم ولّى وجهه إلى القبلة، وكبّر، ومات (١).

٣٢٩) قال أبو محمد الجريري: كنت واقفاً على رأس الجنيد في وقت وفاته، وكان يوم جمعة، ويوم نيروز، وهو يقرأ القرآن. فقلت له: يا أبا القاسم أرفق بنفسك. فقال: يا أبا محمد، رأيتَ أحداً أحوج إليه مني في هذا الوقت، وهو ذا تُطوى صحيفتي؟ (٢).

٣٣٠) لما حضرت الجنيد الوفاة دخل عليه أبو محمد الجريري - رضي الله عنه -، فقال: ألك حاجة! قال: نعم؛ إذا مُتّ فغسّلني وكفنّي وصلّى عليّ. فبكي الجريري وبكي الناس معه. ثم قال له الجنيد: وحاجة أخرى. فقال: وما هي؟ فقال: تتخذوا لأصحابنا طعام الوليمة فإذا انصرفوا من الجنازة رجعوا إلى ذلك حتى لا يقع لهم تشتيت. فبكى الجريري ثم قال: والله، لئن فقدنا هاتين العينين ما اجتمع منا اثنان أبداً (٣).

٣٣١) قال جعفر الخلدي: رأيت شاباً دخل على الجنيد -وهو في مرضه الذي مات فيه- ووجهه قد تورّم، وبين يديه مخدّة يصلّي إليها. فقال له الشاب: وفي هذه الساعة أيضاً لا تترك الصلاة! فلمّا سلّم، دعاه، وقال: هذا شيءٌ وصلت به إلى الله، ولا أحب أن أتركه. فمات بعد ساعة (٤).

٣٣٢) قال أبو بكر العطوي: كنت عند الجنيد حين مات، فرأيته ختم القرآن، ثم ابتدأ من البقرة، وقرأ سبعين آية، ثم مات (٥).

---

(١) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٤٨٣، كما ورد في **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤٢٢.

(٢) النص من **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٨، كما ورد في **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، ج٢/ ص٢٢٩، كما ورد أيضاً في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٦، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٩٠، كما ورد في **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤٢٢، كما ورد في إحياء علوم الدين، الغزالي، ج٤/ ص٤٨٢.

(٣) النص من **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ص٨٦.

(٤) النص من **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص ص٢٤٧-٢٤٨.

(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص١٠٨.

(٣٣٣) قال أبو بكر العطار: حضرت الجنيد عند الموت، في جماعة من أصحابنا، فكان قاعداً يصلي، ويَثني رجله كلما أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله، فثَقُلَت عليه حركتها، فمد رجليْه وقد تورَّمتا، فرآه بعض أصدقائه، فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟ قال: هذه نعَم، اللّه أكبر. فلما فرغ من صلاته، قال له أبو محمد الجريري: لو اضطجعتَ. قال: يا أبا محمد، هذا وقتٌ يُؤخذ، اللّه أكبر. فلم يزل كذلك حتى مات (١).

(٣٣٤) عن جعفر الخلدي: رأيت الجنيد في النوم، فقلت له: ما فعل اللّه بك؟ قال: طاحتْ تلك الإشارات، وغابتْ تلك العبارات، وفنيتْ تلك العلوم، ونفدتْ تلك الرسوم، وما نفعنا إلا رُكَيْعات كنّا نركعها في السَّحَر (٢).

(٣٣٥) رأى الجريري الجنيدَ في المنام، فقال له: كيف حالك يا أبا القاسم؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وبادت تلك العبارات، وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات (٣).

* * *

عبد

(٣٣٦) قال سمعت الجنيد بن محمد يقول: لا تكون عبد اللّه بالكلية، حتى لا تبقي عليك من غير اللّه بقية. (٤).

---

(١) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٢، كما ورد في **طبقات الأولياء**، ابن الملقن، ص ص١٣٣-١٣٤، كما ورد في **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص ص٤٢٢-٤٢٣.

(٢) النص من **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤٢٤، كما ورد في **طبقات الحنابلة**، للقاضي أبي يعلى، ج/ ١ص١٢٩، كما ورد في **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٨، كما ورد أيضاً في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٧، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨٤، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٥٧، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج/ ٤ ص٥٠٨[الرواية عن الكتاني].

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٧٢٢.

(٤) لنص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٥.

(٣٣٧) قال الجنيد: لا تكن عبدالله حقاً، وأنت لشيء سواه مسترقاً [١].

(٣٣٨) يقول الجنيد: إنّك لن تكون له على الحقيقة عبداً، وشيءٌ مما دونه لك مُسْتَرِقٌ، وإنك لن تَصل إلى صريح الحرية، وعليك من حقيقة عبوديّته بقيَّة. فإذا كنتَ له وحدَه عبداً، كنت مما دونه حُرّاً [٢].

(٣٣٩) قال الجنيد: بت ليلة عند السري ـ رضي اللّه عنه ـ فلما كان في بعض الليل، قال لي: يا جنيد أنت نائم. قلت: لا. قال: الساعة أوقفني الحقّ عزَّ وجلَّ بين يديه، وقال لي: يا سريّ خلقتُ الخلق كلّهم فادّعوا محبتي. فخلقت الدنيا فاشتغل بها من كل عشرة آلاف تسعة آلاف عني بالدنيا وبقي ألف. وخلقتُ الجنة فاشتغل بالجنة عني من الألف تسعمائة وبقي مائة. فسلطتُ عليهم شيئاً من البلاء، فاشتغل عني من المائة تسعون بالبلاء وبقي عشرة. فقلت لهم: أنتم لا الدنيا أردتم، ولا في الآخرة رغبتم، ولا من البلاء هربتم، فماذا تريدون؟ قالوا: إنك لتعلم ما نريد. فقلت: إني سأنزل عليكم من البلاء ما لا تطيقون، ولا تحمله الجبال الرواسي، أفتثبتون لذلك؟ قالوا: أليس أنت الفاعل بنا قد رضينا، بك نحمل، وفيك نحمل، ولك نحمل، ما لا تطيقه الجبال. فقلت لهم: أنتم عبيدي حقاً [٣].

(٣٤٠) قال الجنيد: إن اللّه كشف لعباده معايبهم في ذكر الطِّين لهم، وعرَّفهم مقاديرهم بذكر النُّطفة، وأشهدهم على عجزهم في تقلُّبهم، ليعرفوا فاقتهم إليه في كلِّ حال [٤].

(٣٤١) قال الجنيد: قد يُنقل العبد من حال إلى حال أرفع منها وقد بقي عليه من التي نُقل عنها بقيةٌ، فيشرف عليها من الحالة الثانية فيصححها [٥].

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٥ .

(٢) النص من **طبقات الصوفية**، السُّلميّ، ص١٥٨ .

(٣) النص من **روض الرياحين**، اليافعي، ص ص٢١٣-٢١٤ .

(٤) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٨ .

(٥) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٨ .

(٣٤٢) قال الجنيد: إن للّه عباداً على وطنات مطيّ حُمْلانه يركبون، وبالسرعة والبدار إليه يستبقون [١].

(٣٤٣) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ: إذا ذهب اسم العبد، وثبت حُكْم اللّه تعالى؟ قال: اعلم، رحمك اللّه تعالى، أنه إذا عظمت المعرفة باللّه ذهبت آثار العبد، وامَّحت رسومه، فعند ذلك يبدو علم الحق، وثبت اسم حكم اللّه تعالى [٢].

(٣٤٤) سُئل الجنيد رحمه اللّه تعالى: متى يستوي عند العبد حامده وذامُّه؟ فقال: إذا عَلِم أنه مخلوق، ويكون ثّماً [٣].

* * *

العبد العاقل

(٣٤٥) سُئل الجنيد: متى يستوجب العبدُ أن يقال له عاقل؟ فقال: سمعت سَرِياً يقول: هو ألاّ يَظهر في جوارحه شيءٌ قد ذمّه مولاه [٤].

(٣٤٦) يقول الجنيد: ينبغي للعاقل ألا يفقد من إحدى ثلاثة مواطن: موطن يعرف فيه حاله أمزاد أم منتقص؛ وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه وإلزامها ما يلزمها ويتقصّي فيه على معرفتها؛ وموطن يستحضر عقله برؤيته مجاري التدبير عليه وكيف تُقلّب فيه الأحكام في أناء الليل وأطراف النهار. ولن يصفو عقل لا يصدر إلى فهم هذا الحال الأخير إلا بإحكام ما يجب عليه من إصلاح الحالين الأولين.

فأما الموطن الذي ينبغي له أن يعرف فيه حاله أمزاد هو أم منتقص، فعليه أن يطلب مواضع الخلوة لكي لا يعارضه مشغل فيفسد ما يريد إصلاحه؛ ثم يتوجه إلى موافقة ما ألزم من تأدية الفرض الذي لا يزكو حال قربه إلا بإتمام الواجب من

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٤٦ .

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٩٧ .

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٩٧، كما ورد بنص مختلف في **اللمع** أيضاً ص٣٦٨، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٨٠ .

(٤) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٩، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٣ .

الفرائض؛ ثم ينتصب انتصاب عبد بين يدي سيده يريد أن يؤي إليه ما أمر بتأديته؛ فحينئذ تُكشف له خفايا النفوس الموارية فيعلم أهو ممن أدّى ما وجب عليه أم لم يؤد؛ ثم لا يبرح من مقامه ذلك حتى يوقع له العلم ببرهان ما استكشفه بالعلم، فإن رأى خللاً أقام على إصلاحه ولم يجاوزه إلى عمل سواه. وهذه أحوال أهل الصدق في هذا المحل ﴿ **وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ** ﴾ [آل عمران/ ١٣].

وأما الموطن الذي يخلو فيه بتأديب نفسه ويتقصي فيه حال معرفتها فإنه ينبغي لمن عزم على ذلك، وأراد المناصحة في المعاملة، فإن النفوس ربما خبت فيها منها أشياء، لا يقف على حد ذلك إلا من تصفّح ما هنالك في حين حركة الهوى في محبة فعل الخير المألوف، فإن النفس إذا ألفت فعل الخير صار خُلُقاً من أخلاقها، وسكنت إلى أنها موضع لما أهلّت له، وترى أن الذي جرى عليها من فعل ذلك الخير فيها هي له أهل، ويرصدها العدو المقيم بفنائها، المجعول له السبيل على مجاري الدم فيها، فيري هو بكيده خفيّ علتها [الأصل: غفلتها]، فيختلس منها بمسألة الهوى مالا يمكنه الوصول إلى اختلاسه في غير تلك الحال؛ فإن تألم لوكْزَته منه وعرف طعنته أسرع بالإنابة [الأصل: بالأمانة] إلى من لاتقع الكفاية منه إلا به، فاستقصى من نفسه علم الحال التي منها وصل عدوه إليه، فحَرَسها بلياذة اللجاء، وإلقاء الكنف، وشدة الافتقار، وطلب الاعتصام. كما قال النبي ابن النبي ابن النبي، الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن ـ عليهم السلام ـ: ﴿ **وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [يوسف/ ٣٣]. وعلم يوسف ـ عليه السلام ـ أن كيد الأعداء مع قوة الهوى لا ينصرف بقوة النفس ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ** ﴾.

وأما الموطن الذي يستحضر فيه عقله لرؤية مجاري الأحكام وكيف يقلّبه التدبير، فهو أفضل الأماكن وأعلى المواطن، فإن اللّه أمر جميع خلقه أن يواصلوا عبادته ولا يسأموا خدمته. فقال: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ فألزمهم دوام عبادته، وضمن لهم عليها في العاجل الكفاية، وفي الأخرى جزيل الثواب،

فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧]. وهذه كلها تلزم كل الخَلْق. ووقف ليرى كيف تُصرف الأحكام، وقد عَرَض لرفيع العلم والمعرفة ألا يعلم أنه قال: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩]- يعني شأن الخلق- وأنت أيها الواقف أترى إنك من الخلق الذي هو في شأنهم، أو ترى شأنك مرضياً عنده؟

ولن يقدر أحد على استحضار عقله إلا بانصراف الدنيا وما فيها عنه، وخروجها من قلبه، فإذا انقضت الدنيا وجاء أهلها وانصرفت عن القلب خلا بمسامرة رؤية التصرف، واختلاف الأحكام، وتفصيل الأقسام، ولن يرجع قلبٌ من هذا وصفه إلى شيء من الانتفاع بما في هذه التي عنها خَرَج، ولها تَرَك، ومنها هَرَب؛ ألا ترى إلى حارثة حين يقول: عزفتْ نفسي عن الدنيا، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني بأهل الجنة يتزاورون، وكأني وكأني.. وهذه بعض أحوال القوم [1].

(٣٤٧) سُئل الجنيد: متى يكون الرجل موصوفاً بالعقل؟ قال: إذا كان للأمور مميزاً، ولها متصفحاً، وعما يوجبه عليه العقل باحثاً يبحث يلتمس بذلك طلب الذي هو به أولى، ليعمل به ويؤثره على ما سواه. فإذا كان كذلك، فمن صفته ركوب الفضل في كلّ أحواله، بعد إحكام العمل بما قد فرض عليه. وليس من صفة العقلاء إغفال النظر لما هو أحق وأولى، ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير. فمن كانت هذه صفته، بعد إحكامه لما يجب عليه من عمله، تَرَكَ التشاغل بما يزول، وتَرَكَ العمل بما يفنى وينقضي، وذلك صفة كلّ ما حوت عليه الدنيا. وكذلك لا يرضي أن يشغل نفسه بقليل زائل، ويسير حائل، يصدّه التشاغل به، والعمل له عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها، ويتصل بقاؤها. وذلك أنّ الذي يدوم نفعه، ويبقي على العامل له حظه، وما سوى ذلك، زائل متروك، مفارق موروث، يخاف مع تركه سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله عليه. فكذلك صفة العاقل لتصفّحه الأمور بعقله،

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص ص٢٧١-٢٧٣، كما يرد مطلعه في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٨.

والأخذ منها بأوفره. قال اللّه تعالى: ﴿الَّذينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر/ ١٨]. كذلك وَصَفَهم اللّه، وذو الألباب هم ذوو العقول. وإنما وقع الثناء عليهم بما وصفهم اللّه به، للأخذ بأحسن الأمور عند استماعها. وأحسن الأمور هو أفضلها، وأبقاها على أهلها نفعاً في العاجل والآجل. وإلى ذلك ندب اللّه عزَّ وجلَّ، من عقِل، في كتابه[1].

* * *

عبودية

٣٤٨) يقول الجنيد: العبودية ترك الأشغال، والاشتغال بالشغل الذي هو أصل الفراغة[2].

٣٤٩) قال الجنيد: مرضتُ مَرْضَةً فسألت اللّه أن يعافيني. فقال لي في سريّ: لاتدخل بيني وبين نفسك.[3].

٣٥٠) دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة، فقال للجنيد: متى يستوي عند العبد حامده وذامّه؟ فقال بعض الشيوخ: إذا دخل البيمارستان وقيّد بقيدين. فقال الجنيد: ليس هذا من شأنك. ثم أقبل على الرجل، وقال: إذا تحقق أنه مخلوق. فشهق الرجل شهقة، ومات[4].

* * *

عرش

٣٥١) سُئل الجنيد: أين وطنك؟ قال: تحت العرش[5].

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٧ .

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٣٢ .

(٣) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٨١ .

(٤) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٢/ ص٢٩٨ .

(٥) النص من **نفحات الأنس**، الجامي، ورقة ٥٠ .

إعراض الله عن العبد

(٣٥٢) يقول الجنيد: علامة إعراض اللّه عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه [١].

* * *

عارف

(٣٥٣) سُئل الجنيد «من العارف؟ «قال: من نطق عن سرِّك وأنت ساكت [٢].

(٣٥٤) وقال الجنيد: العارف من نطق الحقُّ عن سرِّه وهو ساكت [٣].

(٣٥٥) سُئل الجنيد «من العارف؟» فقال: من لم يأسره لَحْظُهُ ولا لَفْظُهُ [٤].

(٣٥٦) سُئل الجنيد عن «العارف»، فقال: لون الماء لون إنائه. [أي أنه بحكم وقته، على ما يرى القشيري والشعراني] [٥].

(٣٥٧) يقول الجنيد: من عرف اللّه كَلَّ لسانُه [٦].

(٣٥٨) قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ: آخر مقام العارف الحرية [٧].

(٣٥٩) قال الجنيد: لا يكون العارف عارفاً حتى يكون كالأرض يطؤه البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء، وكالمطر يسقي ما يحبّ وما لا يحبّ [٨].

---

(١) النص من **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، مج٢/ ص٤١٨، كما ورد في **طبقات الأولياء**، ابن الملقن، ص١٢٧.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص١٠٥، كما ورد في **طبقات الأولياء**، لابن الملقن، ص١٢٨؛ كما ورد في **طبقات الصوفية**، السّلَمي، ص١٥٧، كما ورد في **البداية والنهاية**، ابن كثير، مج ١١/ ص١١٤، كما ورد في **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، مج٢/ ص٢٢٩، كما ورد في **وفيات الأعيان**، لابن خلكان، ج/ ١ ص ٣٧٣.

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٠٧.

(٤) النص من **طبقات الصوفية**، السّلَمي، ص١٥٩.

(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشَيرية، ج٢/ ص٦٠٧، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٥، كما ورد في **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٦٤، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٣.

(٦) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٦٠٠.

(٧) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٥٠.

(٨) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٠٦.

٣٦٠) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه ـ عن معقول العارفين، فقال: ذهبوا عن وصف الواصفين [١].

٣٦١) سُئل الجنيد عن قول ذي النون المصري، في صفة العارف: كان ههنا فذهب، فقال: العارف لا يحصره حال عن حال، ولا يحجبه منزل عن التنقل في المنازل، فهو مع أهل كل مكان بمثل الذي هو فيه، يجد مثل الذي يجدون، وينطق فيها بمعالمها لينتفعوا بها [٢].

٣٦٢) قيل للجنيد: يا أبا القاسم ما حاجة العارفين [إلى اللّه تعالى]؟ قال: حاجتهم إليه كلاءَته ورعايته، قال تعالى: ﴿ **قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ** ﴾ [الأنبياء/ ٤٢] [٣].

٣٦٣) ورد عن الجنيد أنه قال: أعزّ الأشياء في زماننا شيئان: عالِمٌ يعمل بعلمه، وعارفٌ ينطق عن حقيقة. [٤].

٣٦٤) يقال إن أبا سعيد الخرّاز ـ رحمه اللّه ـ كان كثير التواجد عند ذكر الموت، فسئل الجنيد عن ذلك، فقال: العارف قد أيقن أن اللّه لم يفعل شيئاً من المكاره بغضاً له ولا عقوبةً، ويشاهد في صنائع اللّه تعالى الحالّة به من المكاره صفو المحبة بينه وبين اللّه عزَّ وجلَّ. وإنما يُنزل به هذه النوازل ليردّ روحه إليه، اصطفاءً له، واصطناعاً له. فإذا كوشف العارف بهذا أو ما أشبهه، لم يكن بعجب أن تطير روحه إليه اشتياقاً، وتنقلب من وطنها اشتياقاً. فلذلك ما رأيتَ من التواجد عند ذكر الموت. وربما أتى ذلك على قرب مُنْيته. واللّه يفعل بوليّه، ما يشاء، وما يُحبّ [٥].

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٥٧ .
(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٠٩ .
(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٥٨، كما ورد في **طبقات الصوفية**، السُّلَمِيّ، ص١٦٠، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصفهاني، ج١٠/ ص٢٧٨ .
(٤) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٣٤٤ .
(٥) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٣٨٠ .

(٣٦٥) قال رجل للجنيد: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات، من باب البرِّ والتقرُّب إلى الله عزَّ وجلَّ. فقال الجنيد: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيمة. والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا. فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإلى الله رجعوا فيها. ولو بقيتُ ألف عام لم أنقص من أعمال البرِّ ذرَّة[1].

(٣٦٦) قال الجنيد: من زعم أنه يعرف الله وهو كاذب ابتلاه بالمحن، وحجب ذكره عن قلبه، وأجراه على لسانه، فإن تنبّه وانقطع إليه وحده كشف عنه المحن، وإن داوم السكون إلى الخلق نُزعت من قلوبهم الرحمة عليه، وألبس لباس الطمع فيهم، فتصير حياته عجزاً، وموته كمداً، وآخرته أسفاً. نعوذ بالله من الركون لغيره[2].

(٣٦٧) قيل للجنيد: العارف يزني يا أبا القاسم؟ فأطرق ملياً، ثم رفع رأسه، وقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً[3].

(٣٦٨) ذكر الجنيد أهل المعرفة بالله، وما يراعونه من الأوراد والعبادات، بعد ما ألْطَفَهُم اللّهُ به من الكرامات، فقال: العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك[4].

* * *

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٠٥، وأيضًا ص١٠٦، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبونعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٨، كما ورد في **طبقات الصوفية**، السُّلَمي، ص١٥٩، كما ورد في **عوارف المعارف**، السهروردي، ص٧٩، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص ص٣٦٧-٣٦٨.

(٢) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٣.

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٦٥، كما ورد في **بستان العارفين**، للنووي، ص٥٨.

(٤) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٥٧، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٦.

معرفة

٣٦٩) قال الجنيد: من عرفَ اللّه لا يُسَرُّ إلا به [١].

٣٧٠) قال الجنيد: من عرف اللّه أطاعه، ومن عرف نفسه ساء بها ظنّه، وخاف على حسناته ألاّ تُقبل. [٢].

٣٧١) عن الجنيد أيضاً، قال: المعرفة هي شهود الخاطر بعواقب المصير، وأن لا يتصرّف العارف بسرف ولا تقصير [٣].

٣٧٢) سُئل الجنيد عن «المعرفة» فقال: هي تردّد السرّ بين تعظيم الحق عن الإحاطة وإجلاله عن الدرك. [٤].

٣٧٣) سُئل الجنيد عن المعرفة، فقال: أن تعلم أنّ ما تصور في قلبك فالحق بخلافه، فيالها حيرة، لا له حظ من أحد، ولا لأحد منه حظ، وإنما وجود يتردّد في العدم، لا تتهيأ العبارة عنه، لأنّ المخلوق مسبوق، والمسبوق غير محيط بالسابق [٥].

٣٧٤) سُئل الجنيد «ما المعرفة؟»، فقال: المعرفة وجود جهلك عند قيام علمه. قالوا: زدنا أيضاً. فقال: هو العارف والمعروف. [ويضيف الجامي شارحاً قول الجنيد: أي كلما يزيد في القرب وتظهر آثار عظمته تعالى يزيد في حصول العلم بجهله، ويزيد بكمال المعرفة حيرة على حيرة، وتخرج من العارف بلا اختياره، رب زدني تحيراً فيك] [٦].

٣٧٥) اختلفوا في «المعرفة» نفسها: ماهي، والفرق بينها وبين العلم؟ فقال الجنيد: المعرفة وجود جهلك عند قيام علمه. قيل له: زدنا، قال: هو العارف وهو المعروف[٧].

---

(١) النص من **طبقات الصوفية**، السّلميّ، ص١٦٣ .

(٢) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٩ .

(٣) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٥٩ .

(٤) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٥٨ .

(٥) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٥٨ .

(٦) النص من **نفحات الأنس**، للجامي، ورقة رقم ٦ .

(٧) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص٨١، كما ورد في **نفحات الأنس**، الجامي، ورقة ٦ .

(٣٧٦) قال الجنيد: المعرفة معرفتان: معرفة تعرّف، ومعرفة تعريف. معنى التعرف: أن يعرّفهم اللّه عزّوجلّ نفسه، ويعرّفهم الأشياء به، كما قال إبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿لا أُحبُّ الآفِلِينَ﴾ [الأنعام/ ٧٦]. ومعنى التعريف: أن يريهم آثار قدرته في الآفاق والأنفس، ثم يُحْدث فيهم لطفاً، تدلهم الأشياء أنّ لها صانعاً. وهذه معرفة عامة المؤمنين. والأولى معرفة الخواص. وكلٌّ لم يعرفه في الحقيقة إلا به [١].

(٣٧٧) قال الجنيد: كثرة النظر في الباطن تُذْهب بمعرفة الحقّ من القلب [٢].

(٣٧٨) قال الجنيد: اعلم أنه إذا عظمت فيك المعرفة باللّه، وامتلأ من ذلك قلبك، وانشرح بالانقطاع إليه صدرك، وصفا لذكره فؤادك، واتصل باللّه فهمك، ذهبت آثارك، وامتحيت رسومك، واستضاءت باللّه علومك، فعند ذلك يبدو لك علم الحق [٣].

(٣٧٩) سُئل الجنيد ـ رضي اللّه عنه ـ عن المعرفة باللّه هل هي كسب أو ضرورة؟ فقال: رأيت الأشياء تُدرك بشيئين، فما كان منها حاضراً فبالحس، وما كان غائباً فبالدليل. ولما كان الحق تعالى غير باد لحواسنا، كان معرفته بالدليل والفحص، إذ كنا لا نعلم الغيب والغائب إلا بالدليل، ولا نعلم الحاضر إلا بالحس [٤].

* * *

عزلة

(٣٨٠) يقول الجنيد: مكابدة العزلة أيسرُ من مداراة الخُلْطَة [٥].

---

(١) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص٧٩.
(٢) النص من **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، ج٢/ ص٢٢٨.
(٣) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٨١.
(٤) النص من **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٦.
(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢٧٤، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٥، كما ورد أيضاً في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٧، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٣؛ [يرد لفظ «أشد» بدلاً من «أيسر»].

٣٨١) وقال الجنيد: من أراد أن يَسْلَم له دينه، ويستريح بدنه وقلبه، فليعتزلْ الناس فإن هذا زمان وحشة. والعقل مَن اختار فيه الوحدة [١].

* * *

عشق

٣٨٢) سُئل الجنيد عن العشق، فقال: لا أدري ما هو، لكن رأيت رجلاً أعمى عشق صبياً، وكان الصبي لا ينقاد له، فقال الأعمى: ياحبيبي، إيش تريد مني؟ فقال: روحك. ففارق روحه حالاً [٢].

٣٨٣) قال الجنيد: العشق مأخوذ من العَشَق وهو رأس الجبل وأقصاه، فعلى هذا يجب أن يقال: عَشقَ فلان إذا ازدادت محبته وثارت وارتفعت حتى تبلغ أقصاها وتناهى في معناها، وهذا يكون إذا كان منتهاه عشق اللّه تعالى ومحبته [٣].

* * *

عقيدة

٣٨٤) يقول الجنيد: إن أول ما يُحتاج إليه من عَقْد الحكمة تعريف المصنوع صانعه والمحدث كيف كان أحدثه، وكيف كان أوّله، وكيف أحدث بعد موته، فيعرف صفة الخالق من المخلوق، وصفة القديم من المحدث، فيعرف المربوب ربه، والمصنوع صانعه، والعبد الضعيف سيده، فيعبده ويوحّده، ويعظّمه ويدْل دعوته، ويعترف بوجوب طاعته. فإن مَنْ لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه، ولم يضف الخلق في تدبيره إلى وليّه. والتوحيد علْمُك وإقرارُك بأن اللّه فرد في أوليّته وأزليته، لا ثاني معه ولا شيء يفعل فعله، وأفعاله التي أخلصها لنفسه؛ أن

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢٧٥، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٥، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٢٤٠.

(٢) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، المناوي، ص٥٨١.

(٣) النص من **مَشْرَبِ الأرواح**، الشيرازي، ص١٣٥.

يعلم أن ليس شيء يضر ولا ينفع، ولا يمنع، ولا يسقم ولا يبري، ولا يرفع، ولايضع، ولا يخلق، ولا يرزق، ولا يميت، ولا يحيي، ولا يسكن ولا يحرك غيره جل جلاله [١].

* * *

عقل

(٣٨٥) قال جعفر الخلدي: سألت الجنيد عن مسألة في العقل. فقال: يا أبا محمد من لم يحترز بعقله، من عقله، لعقله، هلك بعقله [٢].

(٣٨٦) قال الجنيد: من ادَّعى أنَّ له حالاً مع اللّه أسقط عنه التَّكليف، وهو حاضر العقل، فهو كاذبٌ، ومَنْ يسرقُ ويزني أحسنُ حالاً ممَّن يقول ذلك [٣].

* * *

علم

(٣٨٧) قال الجنيد: متى أردتَ أن تشرّف بالعلم، وتُنسب إليه، وتكون من أهله، قبل أن تُعطي العلم ماله عليك، احتجبَ عنك نوره، وبقي عليك وسمه وظهوره. ذلك العلم عليك لا لك، وذلك أنّ العلم يشير إلى استعماله، وإذا لم يستعمل العلم في مراتبه، رحلت بركاته [٤].

(٣٨٨) يقول الجنيد: إن للعلم ثمناً فلا تعطوه حتى تأخذوا ثمنه. قيل له: وما ثمنه؟ قال: وَضْعه عند من يُحْسِن حمله ولا يضيّعه [٥].

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٥٦، كما ورد مطلعه في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص ص٢٦-٢٧؛ [ينتهي النص عند قوله «بالملك لمن استوجبه»].

(٢) النص من **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، ج٢/ ص٢٢٨ .

(٣) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٤ .

(٤) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٩ .

(٥) النص من **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٦ .

(٣٨٩) حكي عن الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ أنه قال: اتفق أهل العلم على أنّ أصولهم خمس خلال: صيام النهار، وقيام الليل، وإخلاص العمل، والإشراف على الأعمال بَطول الرعاية، والتوكل على اللّه في كلّ حال [(١)].

(٣٩٠) يقول الجنيد: فتح كلّ باب وكلّ علم نفيس بَذْل المجهود [(٢)].

(٣٩١) ويرد أيضاً قوله: باب كل نفيس جليل بَذْل المجهود، وليس من عَبْدَ اللّه ببذل المجهود كمن طلبه من طريق الجود [(٣)].

(٣٩٢) قال الجنيد: العلم يوجب لك استعماله، فإن لم تستعمله في مراتبه، كان عليك لا لكَ [(٤)].

(٣٩٣) قال رجل للجنيد: بم أستعين على غض البصر؟ فقال: بعلمك أَن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه [(٥)].

(٣٩٤) يقول الجنيد: ما من شيء أسقط للعلماء من عين اللّه من مساكنة الطمع مع العلم في قلوبهم [(٦)].

(٣٩٥) قال الجنيد: رأيت في المنام كأنّ النبي ﷺ أخذ بعضدي من خلفي، فما زال يدفعني حتى أوقفني بين يدي اللّه تعالى. فسألتُ جماعة من أهل العلم، فقالوا: إنك رجل تقود العلم إلى أن تلقى اللّه تعالى [(٧)].

(٣٩٦) قال بعض الكبار للجنيد، وهو يتكلم على الناس: يا أبا القاسم إن اللّه لا يرضى عن العالم بالعلم، حتى يجده في العلم. فإن كنتَ في العلم، فالزم مكانك، وإلا فانزل. فَقام الجنيد ولم يتكلم على الناس شهرين. ثم خرج، فقال: لولا أنه بلغني

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٨٨ .
(٢) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٣ .
(٣) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٧ .
(٤) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٩ .
(٥) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٣٩٧ .
(٦) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٣ .
(٧) النص من **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص ص٢٤٣-٢٤٤ .

عن النبي ﷺ، أنه قال: في آخر الزمان يكون زعيم القوم أرذلهم. ما خرجت إليكم [1].

(٣٩٧) قال الجنيد: كنت يوماً عند السري وأقوام جالسون على باب السريّ، فقال السري لي: انظر أيكون أحد منهم أجنبي. قلت: لا، دراويش طالبون. فقال: ناد فلاناً، فناديته. فتكلم السري معه كلاماً كثيراً مدة طويلة، وخفي كلامه حتى ما فهمت كلامه، فضاق قلبي. ثم قال السري له: من أستاذك؟ قال: في بهراة لي أستاذ أنا أعلّمه فرائض الصلاة وهو يعلمني علم التوحيد، فقال السري: إن كان هذا العلم في خراسان باق، فيكون في جميع البلدان، فإذا انقطع من خراسان فلاتجده في جميع البلدان [2].

(٣٩٨) يقول الجنيد: أكثر الناس علماً بالآفات، أكثرهم آفات [3].

(٣٩٩) سأله الجريري، عن قول عيسى ـ عليه السلام ـ: ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾ [المائدة/ ١١٦] قال الجنيد: هو، واللّه أعلم، تعلم ما أنا لك عليه، وما لك عندي، ولا أعلم ما لي عندك، إلا ما أخبرتني به وأطلعتني عليه [4].

* * *

العلم والوجود

(٤٠٠) سُئل الجنيد ما أتم: استغراق العلم في الوجود، أو استغراق الوجود في العلم؟ قال: استغراق العلم في الوجود، ليس العالمون باللّه كالواجدين له [5].

* * *

---

(١) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٧٢، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٣/ ص٣٤٣ .

(٢) النص من **نفحات الأنس**، الجامي، ورقة٤٧ .

(٣) النص من **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٥، كما ورد في **طبقات الصوفية**، السّلميّ، ص١٦١، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٧، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٩ .

(٤) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٥ .

(٥) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٥ .

علم الصوفية - العلم اللدني-

(٤٠١) قال الجنيد: لو أنّ العلم الذي أتكلم به من عندي لَفَنِيَ. ولكنه من حق بَدَا، وإلى الحقّ يعود. وربما وقع فِيَّ أنَّ زعيم القوم أرذلهم (١).

(٤٠٢) وكان الجنيد ـ رحمه الله ـ كثيراً ما ينشد:

عِلمُ التصوف عِلْمٌ ليس يعرفُه إلا أخو فِطْنَة بالحقّ معروف

وليس يعرفُه من ليس يَشْهَدُه وكيف يَشْهَدُ ضوءَ الشمسِ مكفوف (٢)

(٤٠٣) قال الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ: لو علمت أن علماً [تحت أديم السماء]، أشرف من علمنا هذا، لسعيت إليه، وإلى أهله، حتى أسمع منهم ذلك؛ ولو علمت أن وقتاً أشرف من وقتنا هذا، مع أصحابنا ومشايخنا ومسائلنا ومجاراتنا هذا العلم، لنهضت إليه (٣).

(٤٠٤) يقول الجنيد: علمنا مضبوط بالكتاب والسُّنَّة، ومَنْ لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، ولم يتفقه، لا يُقْتَدى به (٤).

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٣، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٦؛ ونصه: «لولا أنه روي أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم، ما تكلمت عليكم»

(٢) النص من **قوت القلوب**، أبو طالب المكي، ج١/ ص٣٢٤

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٣٩، كما ورد النص في **روض الرياحين**، لليافعي، ص٢٠، **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص ص٧٣٤-٧٣٥، كما ورد في **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٣، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٧١.

(٤) النص من **حلية الأولياء**، أبونعيم الأصبهاني، ج ١٠/ ص٢٥٥، كما ورد النص في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص١٠٧، **شذرات الذهب**، لابن العماد، ج٢/ ص٢٢٨، **طبقات الأولياء**، ابن الملقن، ص١٢٧، كما ورد في **نشر المحاسن**، لليافعي، ص ٣٦٤، **والبداية والنهاية**، ابن كثير، مج١١/ ص١١٤، **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٣، **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، ص٣٧٣، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج/ ٢ص٢٣٧[يرد لفظ «طريقنا» بدلاً عن «علمنا»، [كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧١، كما ورد في **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٤/ ص٦٧.

(٤٠٥) قال الجنيد: علمنا هذا مُشْبَكٌ بحديث رسول الله ﷺ [١].

(٤٠٦) قيل للجنيد: من أين استفدت هذا العلم؟ فقال: من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة، تحت تلك الدرجة. وأومأ إلى درجة في داره [٢].

(٤٠٧) قال الجنيد بن محمد: كنت إذا سئلت عن مسألة في الحقيقة لم يكن لي [فيها] منازلة، أقول: قفوا عليَّ. فكان يدخل، فيعامل الله بها، ثم يخرج ويتكلم في علمها! [٣].

(٤٠٨) عن الجنيد أنه قال: كنت إذا قمت من عند سريّ السقطي قال لي: إذا فارقتني من تجالس؟ فقلت: الحارث المحاسبي. فقال: نَعَم، خُذْ من علمه وأدبه، ودع عنك تشقيقه للكلام وردّه على المتكلمين. قال [الجنيد]: فلما ولّيت سمعته يقول [السري]: «جعلك الله صاحب حديث صوفيًا، ولا جعلك صوفيًا صاحب حديث» [٤].

(٤٠٩) قال الجنيد للشبلي: نحن حبّرنا هذا العلم تحبيرًا، ثم خبأناه في السراديب،

---

(١) النص من **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٣، كما ورد في **اللمع**، الطوسي، ص١٤٤، وأيضًا في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص١٠٧[ورد «مشيّد» بدلاً عن«مشتبك»]، كما ورد في **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٤/ ص٦٧ .

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص١٠٧، كما ورد نفس النص في **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٥، وفي **روض الرياحين**، لليافعي، ص٢٠، كما ورد في **نشر المحاسن**، لليافعي، ص ٢٨٠، **والبداية والنهاية**، ابن كثير، مج١١/ ص١١٤ كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦١، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص ٥٧٦، كما ورد في **صفوة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤١٧ .

(٣) **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٦ .

(٤) النص من **قوت القلوب**، أبو طالب المكي، ج١/ ص٣٢٢، ويضيف أبو طالب المكي: «إنك إذا ابتدأت بعلم الحديث والأثر ومعرفة الأصول والسنن، ثم تزهدت وتعبّدت، تقدمت في علم الصوفية وكنت صوفيًا عارفًا. وإذا ابتدأت بالتعبّد والتقوى والحال شُغلْت به عن العلم والسنن، فخرجت إما شاطحًا، أو غالطًا لجهلك بالأصول والسنن. فأحسن أحوالك أن ترجع إلى العلم الظاهر وكتب الحديث، لأنه هو الأصل الذي تُفَرّع عليه العبادة والعلم، وأنت قد بودئت بالفرع قبل الأصل»، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧١ .

فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ، فقال [الشبلي]: أنا أقول، وأنا أسمع، فهل في الدارين غيري [1].

٤١٠) قال الجنيد ذات يوم: ما أخرج اللّه إلى الأرض علماً، وجعل للخلق إليه سبيلاً، إلا وقد جعل لي منه حظاً ونصيباً [2].

٤١١) وحكي عن الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ أنه قال: لوكان علمنا هذا مطروحاً على مزبلة، لم يأخذ كلّ واحد منه إلا حظه على مقداره [3].

٤١٢) لما حضر جنيد بن محمد الوفاة، أوصى بدفن جميع ما هو منسوب إليه من علمه، فقيل له: ولم ذلك؟ فقال: أحببت ألاّ يراني اللّه وقد تركتُ شيئاً منسوباً إليّ، وعلم الرسول ﷺ بين ظهرانيهم [4].

٤١٣) وكان الجنيد يقول: علمنا هذا الذي نتكلم فيه قد طُوي بساطه منذ عشرين سنة، وإنما نتكلم في حواشيه [5].

٤١٤) وكان الجنيد يقول: قد كنت أجالس قوماً سنين يتحاورون في علوم لا أفهمها، ولا أدري ما هي، وما بُليت بالإنكار قط، كنت أتقبّلها، وأحبّها من غير أن أعرفها [6].

---

(١) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٧٢ .

(٢) النص من **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤١٦، ورد أيضاً في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج/ ٢ ص٢٦١، كماورد في **طبقات الشافعية**، الأسنوي، ص١٦٣، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٤، كما ورد في **طبقات الحنابلة**، للقاضي أبي يعلى، ج١/ ص١٢٠، كما ورد في **سير أعلام النبلاء**، للذهبي، ج١٤/ ص٦٧، كما ورد في **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٢ .

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٣٩ .

(٤) النص من **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٨، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، للشعراني، ص٨٥ .

(٥) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج١/ ص٣٣٠ .

(٦) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج١/ ص٣٣٠ .

(٤١٥) وكان الجنيد يقول: كنا نتجارى مع إخواننا قديماً في علوم كثيرة ما تُعْرَف في وقتنا هذا، ولا سألني عنها أحد، وهذا باب قد أغلق ورُدم [١].

(٤١٦) حكي عن الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ أنه كان يقول لأصحابه: لوعلمت أنّ صلاة ركعتين أفضل من جلوسي معكم، ما جلست عندكم [٢].

(٤١٧) وقال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ: ما عندي عصابةٌ ولا قومٌ اجتمعوا على علم من العلوم أشرفُ من هذه العصابة، ولا أشرف من علمهم، ولولا ذلك ما جالستُهم، ولكنهم كذا عندي، [و] بهذه الصورة [٣].

(٤١٨) يقول [الجنيد]: رضوان اللّه على أمير المؤمنين عليّ ـ رضي اللّه عنه ـ لولا أنه اشتغل بالحروب، لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة. ذاك امرؤ أعطيَ علمَ اللَّدُني، والعلم اللدني هوالعلم الذي خُصّ به الخضر ـ عليه السلام ـ، قال اللّه تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف/ ٦٥] [٤].

(٤١٩) قال الجنيد: لو كان العلم الذي أتكلَّم به من عندي لفنيَ، لكنْ من حقٍّ بدأ، وإلى الحقِّ يعود [٥].

(٤٢٠) قال الجنيد: أنا تكلمتُ بهذا العلم في السراديب والبيوت خفية، ولما جاء الشبلي تكلم بهذا العلم على المنابر وأظهره بين الخلائق [٦].

---

(١) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج١/ ص٣٣٠، و يضيف أبو طالب المكي: «ولما صنف شيخنا أبو سعيد ابن الأعرابي كتاب طبقات النساك، ووصف أول من تكلم في هذا العلم وأظهره، ثم من بعده من البصريين والشاميين وأهل خراسان إلى أن كان آخرهم البغداديين. وقال: آخر من تكلم في هذا العلم صاحبنا جنيد القواريري، وكانت له بصيرة فيه وحقيقة وحسن عبارة، وما بقي بعده إلا مَنْ مجالستُه غَيْظ، وقال مرة أخرى: ما بقي بعد جنيد إلا مَنْ يُسْتَحى من ذكره».

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٧٣، كما ورد في **عوارف المعارف**، السَّهرورديّ، ص٢٤٣ .

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٣٩ .

(٤) النص من **اللمع**، الطوسي، ص١٧٩، كما ورد مختصراً في **نشر المحاسن**، لليافعي، ص٤١٩ .

(٥) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٧ .

(٦) النص من **نفحات الأنس**، الجامي، ورقة٢٨ .

(٤٢١) يقول الجنيد: قال أبو سليمان الداراني: ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً، فلا أقبل منه إلا بشاهدَيْنَ عَدْلَيْن: الكتاب والسنّة (١).

(٤٢٢) قال الجنيد، ـ رضي اللّه عنه ـ: التصديق بعلمنا هذا ولاية (٢).

(٤٢٣) سُئل الجنيد عن مسألة فقال: حتى أسأل معلمي. ثم دخل منزله وصلّى ركعتين وخرج فأجاب عنها. (٣).

(٤٢٤) كان ابن سريج يصحب الجنيد ويلازمه، وربما استفاد منه أشياء في الفقه لم تخطر له ببال. ويقال إنه سأله مرة عن مسألة، فأجابه بها بجوابات كثيرة، فقال: ياأبا القاسم، لم أكن أعرف فيها سوى ثلاثة أجوبة مما ذكرت، فأعدْها عليّ. فأعادها بجوابات أخرى كثيرة، فقال ابن سريج: واللّه ما سمعت هذاَ قبل اليوم، فأعده. فأعادها بجوابات، فقال له: لم أسمع بمثل هذا، فامله عليّ حتى أكتبه. فقال الجنيد: لئن كنت أجريه فأنا أمليه. [أي إن اللّه هو الذي يجري ذلك على قلبي وينطق به لساني، وليس هذا مستفاد من كتب ولا من تعلّم، وإنما هذا من فضل اللّه ـ عز وجل ـ يلهمنيه ويجريه على لساني](٤).

* * *

علم الغيوب

(٤٢٥) قال الجنيد: تفرّد الحق بعلم الغيوب، فعلمَ ما كان، وما يكون، وما لا يكون: أن لو كان، كيف كان يكون (٥).

* * *

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٨٦، كما ورد في **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٠، ص ١٨٣.

(٢) النص من **روض الرياحين**، اليافعي، ص٥، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، المناوي، ج١/ ص٥٧٣؛ مع زيادة: «وإذا فاتتك المنَّةُ في نفسك فلا تفُتك أن تُصدِّق بها في غيرك».

(٣) النص من **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٥.

(٤) النص من **البداية والنهاية**، ابن كثير، ج١١/ ص١١٤.

(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٤٢.

عمل

(٤٢٦) سُئل الجنيد عن قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى﴾ [الأعلى٦/]. فقال: سنقرؤك التلاوة، فلا تنسىَ العمل. وسئل عن قوله تعالى: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ [الأعراف/ ١٦٩]. فقال: تركوا العمل بما فيه. فقال المغربي: حَرُجَت [من الحرج] أمة أنتَ بين ظهرانيها لا تفوّض أمرها إليك [(١)].

(٤٢٧) حكي عن الجنيد أنه قال: رأيت في المنام كأني أتكلم على الناس فوقف عليَّ مَلَكٌ، فقال: أقرب ما تقرّب به المتقربون إلى الله، ماذا؟ فقلت: عملٌ خفيٌ بميزانٍ وفيّ. قال: فولّى المَلك عني، وهو يقول: كلام موفق والله [(٢)].

* * *

إسقاط الأعمال

(٤٢٨) قال الجنيد: لو كنتُ ذا سلطان لضربت عُنُق كلِّ من يقول: ما ثمَّ إلاَّ الله، لأنه يلزمُ من ظاهر مقالته هذه نفيُ الخَلْقِ ونفيُ جميع الشرائع المتعلقة بهم [(٣)].

(٤٢٩) وقال الجنيد: لو رأيتم الرَّجل قد تربَّع في الهواء، ومَشي على الماء، فلا تلتفتوا إليه حتى تنظروه عند الأمر والنهيِّ، فإن كان عاملاً بالأمر، مُجتنبًا لما نُهيَ عنه فاعتقدوه [(٤)].

* * *

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبونعيم الأصبهاني، ج١٠ / ص٢٧٠، كما ورد في **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج/٧ص ص ٢٤٥-٢٤٦ .

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٧٢٦، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٩، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٥٠٨ .

(٣) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٥ .

(٤) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٤ .

عناية

٤٣٠) سُئل الجنيد: العناية قبل أم البداية؟ فقال: العناية قبل الطين والماء (١).

* * *

عهد

٤٣١) قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ: أخذ على العبد حِفْظَ أنفاسه على ممر أوقاته (٢).

* * *

غـين

غربة

٤٣٢) قال الجنيد: مُقام الغريب ببغداد، بعد خمسة أيام، فُضول (٣).

٤٣٣) باتَ الجنيد ليلة العيد في موضعٍ غير الموضع الذي كان يعتاده في البرية، فلما أن صار وقت السَّحَر إذا بِشابٍ ملتفٍّ في عباءة، وهو يبكي، ويقول:

بحُرمة غُربتي! كم ذا الصدودُ! ... ألا تعطف عليّ؟! ألا تجودُ؟

سرور العيد قد عَمَّ النواحي ... وحزني في ازديادٍ لا يبيدُ

فإن كنتُ اقترفتُ خِلال سوء ... فعذري في الهوى ألاّ أعودا! (٤)

* * *

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٠، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٩.
(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٢٤.
(٣) النص من **طبقات الصوفية**، السُّلَميّ، ص١٦٢.
(٤) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٧١، كما ورد في **طبقات الأولياء**، ابن الملقن، ص١٣٣.

غفلة

(٤٣٤) يقول الجنيد: الغَفْلة عن الله أشدّ من دخول النار[١].

(٤٣٥) قال الجنيد: لو أقبل صادقٌ على الله ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاته أكثر ممّا ناله[٢].

* * *

غَيْبَة

(٤٣٦) ورد عن الجنيد ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كان أهل السماوات والأرض مدة يبكون على حيرتي، وكنت أيضاً أبكي هكذا على غيبتهم، والحال الآن أني لاأدري بهم ولا بنفسي[٣].

(٤٣٧) كان الجنيد قاعداً، وعنده امرأته، فدخل عليه الشبلي، فأرادت امرأته أن تستتر؛ فقال لها الجنيد: لا خبر للشبليّ عنك؛ فاقعدي. فلم يزل يكلّمه الجنيد، حتى بكى الشبلي، فلمّا أخذ الشبلي في البكاء، قال الجنيد لامرأته: استتري، فقد أفاق الشبلي من غيبته[٤].

---

(١) النص من **طبقات الصوفية**، السَّلَميّ، ص١٥٩، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٤، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٨٠.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص١٠٧، كما ورد في **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤٢١، كما ورد في **طبقات الصوفية**، السَّلَميّ، ص١٦١، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، المناوي، ص٥٧٢، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٥، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٨، كما ورد في **عوارف المعارف**، السَّهروردي، ص٣١٦، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص١٠٦.

(٣) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٤٩٢.

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢١٥، كما ورد في **روض الرياحين**، اليافعي، ص١٧٩، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٢٠٨؛ يضيف اليافعي أبياتًا قالها الشبلي في مجلس الجنيد هذا، وهي:

عودوني الوصال والوصل عذبٌ ورموني بالصد والصدّ صعبٌ

زعمــوا حيــن عاتبوا أن جرمي فــرط حبي لهــم وما ذاك ذنب

لا وحسن الخضوع عند التلاقي ما جــزا مَنْ يُحِبُّ ألاّ يُحَبُّ

(٤٣٨) يقدّم فريق من الصوفية الغَيْبة على الحضور، وفريق آخر يقدّم الحضور على الغَيْبة، ويثبت الهجويري اسم الإمام الجنيد، مع جملة من الأعلام كالحارث المحاسبي وسهل التستري وحمدون القصار، كواحد من الفريق الثاني (١).

* * *

غيبة

(٤٣٩) قال الجنيد: كنت جالساً في مسجد «الشونزية» أنتظر جنازة أصلي عليها، وأهلُ بغداد، على طبقاتهم، جلوسٌ ينتظرون الجنازة، فرأيتُ فقيراً عليه أثر النسك يسأل الناس، فقلت في نفسي: لو عمل هذا عملاً يصون به نفسه كان أجمل به!! فلمّا انصرفت إلى منزلي، وكان لي شيء من الورد بالليل من البكاء والصلاة وغير ذلك، فثقل عليّ جميع أورادي، فسهرت وأنَا قاعد، فغلبتني عيناي، فرأيت ذلك الفقير.. جاءوا به على خوان ممدود. وقالوا لي: كُلْ لحمه، فقد اغتبته! وكُشف لي عن الحال، فقلت: ما اغتبته، إنما قلت في نفسي شيئاً. فقيل لي: ما أنت ممن يُرضى منك بمثله، اذهب، فاستحلّه. فأصبحت، ولم أزل أتردد، حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء، عند تزايد الماء، أوراقاً من البقل مما تساقط من غَسْل البقل، فسلَّمت عليه، فقال: يا أبا القاسم، تعود؟ فقلت: لا. فقال: غفر الله لنا ولك (٢).

(٤٤٠) قال الشبلي يوماً على المنبر حق [أي عاب شخصاً غائباً وإنما قال فيه الحق]. فقال الجنيد، وكان حاضراً: فالغيبة حرام (٣).

* * *

(١) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٤٩٠.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٦٠، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج/ ٢ ص٢٦٣، كما ورد أيضاً في **روض الرياحين**، اليافعي، ص١١٢، كما ورد أيضاً في **جامع كرامات الأولياء**، النبهاني، ص٣٨٥.

(٣) النص من **نفحات الأنس**، الجامي، ورقة١٠٣.

فــــاء

فــوز

(٤٤١) قال الجنيد ـ رحمه الله ـ: لقد فاز قوم دلّهم وليّهم على مختصر الطريق، فأوقفهم على محجة المناجاة، ولوّح لهم على فهم الدعوة إلى المسارعة بالمناسبة إلى فهم الخطاب، إذ يقول عزوجل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران / ١٣٣]، فنهضت العقول مستجيبةً بحُسْن التوجّه لإقامة ما به يحظون عنده[١].

* * *

فتوة

(٤٤٢) سُئل الجنيد عن «الفتوة»، فقال: ألاّ تنافر فقيراً، ولا تعارض غنياً[٢].

(٤٤٣) قال الجنيد: الفتوة، كفُّ الأذى، وبذل الندى[٣].

(٤٤٤) لما ورد [أبو حفص النيسابوري] مسجد الشونيزية، اجتمع حوله المشايخ جملة، وكان معهم الجنيد، فكان يتحدث إليهم بعربيّة فصيحة بحيث حاروا جميعاً من فصاحته، وسألوه: ما الفتوة؟ قال: فلتبدءوا بواحد منكم، ولتتكلموا. فقال الجنيد: الفتوة عندي ترك الرؤية وإسقاط النسبة. فقال أبو حفص: ما أحسن ما قال الشيخ، ولكن الفتوة عندي أداء الإنصاف وترك مطالبة الانتصاف. قال الجنيد ـ رحمه الله ـ: قوموا يا أصحابنا فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته، في الفتوة[٤].

(٤٤٥) قال الجنيد: الفتوة بالشام، واللسانُ بالعراق، والصدق بخراسان[٥].

* * *

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤١٢.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٧٣.

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٧٤، كما ورد في **طبقات الشافعية**، الأسنوي، ص٢٦٥، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨٢.

(٤) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٣٣٦.

(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص ص٤٧٢-٤٧٣.

فراسة

(٤٤٦) يقول أبو بكر الخطيب: لا يعُرف للجنيد غير حديث واحد. قال الجنيد: قال رسول اللّه ﷺ: اتقوا فراسَةَ المُؤمن، فإنّه يَنْظُرُ بنُور اللّه. ثم قرأ [الجنيد]: ﴿إنَّ في ذلك لآيات للمُتَوَسِّمينَ﴾ [الحَجر/ ٧٥] [ويضيف السّلمي: قال الجنيد: «للمتفرسينً»] (١).

(٤٤٧) قعد الجنيد للناس في الجامع، فانتشر في الناس أنّ الجنيد قعد يتكلم على الناس؛ فوقف عليه غلامٌ نصراني متنكراً، وقال له: أيها الشيخ، ما معنى قول رسول اللّه ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن، فإنّ المؤمن ينظر بنور اللّه تعالى؟ فأطرق الجنيد.. ثم رفع رأسه، وقال: أسْلِمْ، فقد حان وقت إسلامك. فأسلم الغلام. (٢).

(٤٤٨) سُئل الجنيد عن «الفراسة»، فقال: هي مصادفة الإصابة. فقيل له: هي للمتفرس في وقت المصادفة أو على الأوقات، قال: لا، بل على الأوقات، لأنها موهبة، فهي معه كائنةٌ دائمة. [فأخبر أنّ المواهب تكون دائمة] (٣).

* * *

فرق

انظر «جمع».

* * *

---

(١) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٨، كما ورد في **طبقات الصوفية**، السّلَميّ، ص١٥٦.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٩٣، كما ورد في **البداية والنهاية**، ابن كثير، مج١١/ ص١١٤ كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، المناوي، ج١/ ص٥٨٢، كما ورد في **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، ج٢/ ص ص٢٢٨-٢٢٩، كما ورد في **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، ص٣٧٤، كما ورد في **جامع كرامات الأولياء**، النبهاني، ص٣٨٤، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٥٤.

(٣) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٥٧.

فقد

(٤٤٩) قال الجنيد: لقيت شابًا من المريدين في البادية، تحت شجرة من شجر أم غيلان، فقلت: ما أجلسك ههنا؟ فقال: حَالٌ [الأصل: مال] افتقدته. فمضيت وتركته. فلمّا انصرفت من الحج إذا أنا بالشاب قد انتقل إلى موضع قريب من الشجرة، فقلت: ما جلوسك هنا؟ فقال: وجدت ما كنت أطلبه في هذا الموضع، فلزمته. قال الجنيد: فلا أدري أيهما كان أشرف، لزومه لافتقاد حاله، أو لزومه للموضع الذي نال فيه مراده [١].

(٤٥٠) سُئل الجنيد عن قوله: ﴿لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾[الآية ٧٦: الانعام)، قال: لا أحب من يغيب عن عيناي وعن قلبي، وفي هذا دلالة أني إنما أحب من يدوم لي النظر إليه والعلم به حتى يكون ذلك موجودًا غير مفقود. وكذلك رأينا أن أشد الأشياء على المحبين أن يغيب عنهم من أحبوه وأن يفقدوا شاهدهم [٢].

* * *

فقر

(٤٥١) قال أبو القاسم الجنيد بن محمد: الفقر خلوّ القلب عن الأشكال [٣].

(٤٥٢) قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ: الفقر بحر البلاء، وبلاؤه كله عزّ [٤].

(٤٥٣) قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ: لا يتحقق الإنسان بالفقر حتى يتقرر عنده أنه لا يرِدُ القيامة أفقر منه. [٥].

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٤٤٢، كما ورد في **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٨٩، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٢٦٤ .

(٢) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٥ .

(٣) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٢٢٤؛ ويشرح الهجويري كلام الجنيد: فحين يخلو القلب عن الانشغال بالشكل، والشكل موجود فما الوجه سوى طرحه.

(٤) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٣١، كما ورد أيضًا في **اللمع**، ص٢٩٢ .

(٥) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٩٣ .

(٤٥٤) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ عن أعزّ الناس، فقال: الفقير الراضي [١].

(٤٥٥) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه ـ عن «الفقير الصادق»، فقال: هو أن [لا] يستغني بشيء، ويستغني به كلّ شيء [٢].

(٤٥٦) حكي عن الجنيد ـ رحمه اللّه ـ أنه قال: علامة الفقير الصادق ألاّ يسأل أحداً، ولا يعارض، وإن عورض سكت [٣].

(٤٥٧) يقول الجنيد: يا معشر الفقراء، إنكم تُعْرَفون باللّه، وتُكْرَمون للّه. فانظروا كيف تكونون مع اللّه، إذا خلوتم به؟! [٤].

(٤٥٨) قال الجنيد: إذا لقيتَ الفقير فالقه بالرفق، ولا تلقه بالعلم، فإنّ الرفقَ يؤنسه، والعلم يوحشه. فقلت له [القائل هو المرتعشي]: يا أبا القاسم، وهل يكون فقير يوحشه العلم؟ فقال: نعم، الفقير إذا كان صادقاً في فقره، فطرحتَ عليه علمك ذاب، كما يذوب الرصاص على النار [٥].

(٤٥٩) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه ـ عن «غنيّ شاكر وفقير صابر أيهما أفضل؟»، فقال: ليس مدح الغنيّ للوجود، ولا مدح الفقير للعدم، إنما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما. فشرط الغني يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذها. والفقير يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتقبضها وتزعجها. فإذا كان الإثنان قائمين للّه تعالى بشروط ما عليهما، كان الذي آلم صفته وأزعجها أتم حالاً ممن متع صفته ونعمها. وينتهي الجنيد إلى القول: بأن الذي يؤلم صفته أفضل [٦].

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٩٣ .

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص١٥١ .

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٧٥، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٢/ ص٢٤٣ .

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٣٩، كما ورد في **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤١٨، كما ورد في **طبقات الأولياء**، لابن الملقن، ص١٢٩، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص١٦٠ .

(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٤٥، كما ورد في **اللمع**، الطوسي، ص٢٣٣، كما ورد في **طبقات الصوفية**، السّلَميّ، ص١٦٠، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٤، كما ورد في **عوارف المعارف**، السَّهروردي، ص٤٧ .

(٦) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج١/ ص٤١٠، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص١٤٠ .

(٤٦٠) وسُئل الجنيد عن الفقير الصادق، متى يكون مستوجباً لدخول الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام. فقال: إذا كان هذا الفقير، معاملاً للّه عزّ وجلّ بقلبه. موافقاً للّه فيما مُنع، حتى يعدّ الفقر من اللّه نعمةً عليه، يخاف على زوالها كما يخاف على زوال غناه. وكان صابراً محتسباً، مسروراً باختيار اللّه له الفقر، صائناً لدينه، كاتماً للفقر، مظهراً للإياس من الناس، مستغنياً بربّه في فقره، كما قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة/ ٢٧٣]. فإذا كان الفقير بهذه الصفة يدخل الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، ويُكفى يوم القيامة مؤونة الوقوف والحساب، إن شاء اللّه تعالى [١].

(٤٦١) عن جعفر الخلدي قال: دخل رجل إلى الجنيد، فأراد أن يخرج من ملكه كلّه، ويجلس معهم على الفقر [. . .]. فسمعتُ الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ يقول له: لا تُخْرج كلّ ما معك، اجلس مقدار ما يكفيك وأخْرج الفضل، وتقوّت بما حبست، واجتهد في طلب الحلال، لا تُخرج كلّ ما عندك، فلستُ آمَنُ عليك أن تطالبك نفسك، والنبي ﷺ كان إذا أراد أن يعمل عملاً أثبته [٢].

(٤٦٢) وقد اختلف العلماء في شخصين: سُئل أحدهما شيئاً من بذل ماله في سبيل اللّه فأبت نفسه عليه فجاهدها وأخرج ماله. وسُئل الآخر بذل ماله فبذله مع السؤال طوعاً من غير منازعة النفس ولا مجاهدة منه؛ أيهما أفضل؟ قال قوم: الذي سمحت نفسه بالبذل طوعاً من غير إكراه ولا اعتراض أفضل، لأن مقام هذا في سخاوة النفس، والتحقق بالزهد أفضل من جميع أعمال الأول من الإكراه والمجاهدة، ومن بذل ماله على ذلك. ولأنّ الأول، وإن غلب نفسه في هذه الكرّة لا يأمن غلبتها في كرّة ثانية، أو ثالثة، إذ ليس السخاء من مقامها لأنها كانت محمولة عليه. وإلى هذا ذهب الجنيد ـ رحمه اللّه ـ [٣].

(٤٦٣) جري ذات يوم بين الجنيد وابن عطاء، ـ رحمة اللّه عليهما ـ، حديثٌ في هذه المسألة [المفاضلة بين الغني والفقير]. فقدَّم ابن عطاء الدليل على أنّ الأغنياء أفضل،

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٩٢.

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٧٤، كما ورد في **عوارف المعارف**، السّهرورديّ، ص٢٤٥.

(٣) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج١/ ص ص٣٧٢-٣٧٣.

لأنهم يُحاسبون في القيامة، وإسماع الحساب يكون كلام اللّه بلا واسطة في محل العتاب، والعتاب يكون من الحبيب للحبيب. فقال الجنيد: إذا كانوا يحاسبون الأغنياء، فإنهم يعتذرون للفقراء، والعذر أفضل من عتاب الحساب[1].

(٤٦٤) قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ : علم الفقير إذا قوي ضَعُفَت محبته، وإذا ضَعُفَ قويت محبته، وحكم الفقير أن يكون فوق محبته[2].

(٤٦٥) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ أيهما أتّم الاستغناء باللّه تعالى أم الافتقار إلى اللّه عزوجل؟ فقال: الافتقار إلى اللّه عزوجل موجب للغني باللّه عزوجل، فإذا صح الافتقار إلى اللّه عزوجل كَمُل الغني باللّه تعالى، فلا يُقال «أيهما أتم؟»، لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بتمام الآخر، ومن صحح الافتقار صحح الغني[3].

(٤٦٦) كان الجنيد جالساً أيام الموسم وحوله جماعة كثيرون من العجم والمولدين. فجاءه إنسان بخمسمائة دينار، ووضعها بين يديه، وقال: تفرّقها على هؤلاء الفقراء. فقال الجنيد: ألك غيرها؟ فقال: نعم، لي دنانير كثيرة. فقال: أتريد غير ما تملك؟ فقال: نعم. فقال له الجنيد: خذها فإنك أحوج إليها منا؛ ولم يقبلها[4].

(٤٦٧) قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ: جاء إبراهيم [الصياد البغدادي] يوماً إلى السري السقطي وكان إزاره قطعة حصير، فقال السقطي: هذا المال، وأمر أصحابه أن يشتروا له جبة. فقال: يا أبا إسحاق إلبسها، فإنه كان عندي عشرة دراهم اشتريت لك بها هذه الجبة. فقال إبراهيم: تقعد مع الفقراء وتدّخر عشرة دراهم؟! فما لبسها إبراهيم وامتنع من أخذها[5].

* * *

(١) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٢٢٠، كما وردت إشارة مجتزئة في **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج١/ ص٤١٠، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص١٤٠ وص٢٠١ .

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٣١ .

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٩١، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٣٩ .

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٤١٤، كما ورد في **روض الرياحين**، اليافعي، ص١٤، كما وردفي **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٥، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٢٣٩ .

(٥) النص من **طبقات الأولياء**، ابن الملقن، ص٢٥، كما ورد في **نفحات الأنس**، للجامي، ورقة٤١ .

فلاح

(٤٦٨) قال الجنيد: كانت معي أربعة دراهم، فدخلت على السريّ وقلت: هذه أربعة دراهم حملتها إليك، فقال: أبشر يا غلام بأنك تفلح؛ كنت أحتاج إلى أربعة دراهم؛ فقلت: اللهمّ ابعثها على يد مَنْ يُفلح عندك (١).

* * *

فناء

(٤٦٩) قال الجنيد ـ رحمه الله ـ: كنت أسمع السري يقول: يبلغ العبد إلى حدّ [من المواجيد في الأذكار القوية أو من الحب] لو ضُرب وجهه بالسيف لم يشعر به. وكان في قلبي منه شيء، حتى بان لي أنّ الأمرَ كذلك (٢).

(٤٧٠) سُئل الجنيد عن «الفناء»، فقال: إذا فني الفناء عن أوصافه، أدرك البقاء بتمامه (٣).

(٤٧١) سُئل الجنيد عن «الفناء»، فقال: الفناء استعجام الكل عن أوصافك، واشتغال الكل منك بكلّيته. (٤).

(٤٧٢) قال الجنيد ـ رحمه الله ـ في تفسير قول أبي يزيد «ليس بَلَيْسَ»، قال: هو ذهاب ذلك كلّه عنه، وذهابه عن ذهابه، وهو معنى قوله لَيْسَ في لَيْسَ. يعني، قد غابت المحاضر، وتلفت الأشياء، فليس يوجد شيء، ولا يُحسّ، وهو الذي يسميه قومٌ الفناء، والفناء عن الفناء (٥).

قال أبو يزيد البسطامي: أشرفت على ميدان اللّيْسيه، فما زلت أطير فيه عشر سنين، حتى صرت من ليس في ليس بليس؛ ثم أشرفت على التضييع، وهو ميدان

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٧٠٠، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج ١٠/ ص ص٢٧٠-٢٧١.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص١٩٩، كما ورد في **اللمع**، الطوسي، ص٣٨١، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص١٩٥، كما ورد بصيغة مختلفة في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٣٤٨.

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٨٥.

(٤) النص من **عوارف المعارف**، السَّهروردي، ص٣٠٥، كما ورد في **اللمع**، الطوسي، ص٢٨٥.

(٥) النص من **اللمع**، الطوسي، ص ص٤٢٣-٤٢٤.

التوحيد، فلم أزل أطير بليس في التضييع، حتى ضعت في الضياع ضياعاً، وضعت فضعت عن التضييع بليس في ليس في ضياعة التضييع؛ ثم أشرفت على التوحيد في غيبوبة الخَلْق عن العارف، وغيبوبة العارف عن الخَلْق.

٤٧٣) قال الجنيد: هذا كله وما جانسه داخلٌ في علم الشواهد على الغيبة عن استدراك الشاهد، وفيها معان من الفناء بتغيُّب الفناء عن الفناء. ومعنى قوله «أشرفت على ميدان الليسيه حتى صِرت من ليس في ليس بليس»؛ فذاك أول النزول في حقيقة الفناء، والذهاب عن كل ما يُرى وما لا يُرى؛ وفي أول وقوع الفناء انطماس آثارها.

وقوله «ليس بليس»؛ هو ذهاب ذلك كلّه عنه، وذهابه عن ذهابه. ومعنى «ليس بليس»: أي ليس شيء يُحَسّ ولا يوجد. قد طُمس على الرسوم، وقُطعت الأسماء، وغابت المحاضر، وبُلعت الأشياء عن المَشاهدة، فليس شيء يوجد، ولا يُحَسّ بشيء يفقَد، ولا اسم لشيَء يُعهَد؛ ذهب ذلك كلّه بكل الذهاب عنه، وهو الذي يسميه قوم: الفناء. ثم غاب الفناء في الفناء، فضاع في فنائه، فهو التضييع الذي كان في ليس به، وبه في ليس.

وذلك حقيقة فَقْد كل شيء، وفَقْد النفس بعد ذلك، وفَقْد الفَقْد في الفقد، والارتماس في الانطماس، والذهاب عن الذهاب، وهذا شيء ليس له أمد ولا وقت يُعهَد.

وقال الجنيد «ذكره لعشر سنين»: هو وقته، ولا معنى له؛ لأن الأوقات في هذا الحال غائبة، وإذا مضى الوقت وغاب بمعناه عمّن غُيِّب عنه فعشر سنين ومائة وأكثر من ذلك كله، في معنى واحد [1].

٤٧٤) قال أبو بكر الزقاق: سمعت من الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ: كلمة في الفناء منذ أربعين سنة، هيجتني وأنا بعد في غمارها [2].

* * *

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص ص٤٦٨-٤٦٩.

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٤٠.

قـــاف

قبض وبسط

(٤٧٥) قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ في معنى «القبض والبسط» : يعني الخوف والرجاء ؛ فالرجاء يبسط إلى الطاعة ، والخوف يقبض عن المعصية [١] .

* * *

قدوة

(٤٧٦) سأل الحكيمي الجنيد عن حال واحد من المشايخ : هل يجوز الاقتداء به أم لا؟ فقال الجنيد : إن تجد منه الاجتناب وطلب القوت الحلال فيجوز الاقتداء به ، وإلاّ فاتْركه [٢] .

* * *

قرب

(٤٧٧) سُئل الجنيد عن قرب اللّه تعالى ؟ فقال : بعيدٌ بلا افتراق ، قريبٌ بلا التزاق [٣] .

(٤٧٨) قال الجنيد : إن اللّه تعالى يقرّب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه ، فانْظر ماذا يَقْرُب من قلبك [٤] .

(٤٧٩) وقال رجل للجنيد : علّمني شيئاً يقرّبني إلى اللّه وإلى الناس ، فقال : أما الذي يقرّبك إلى اللّه فمسألته ، وأما الثاني فترك مسألتهم [٥] .

* * *

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٢٠ .

(٢) النص من **نفحات الأنس**، الجامي، ورقة ٨٩ .

(٣) النص من **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٥[يورد لفظ «اقتراب» بدلاً من «افتراق». . وقد أجرينا التصحيح نظراً للمعنى، ومقارنة بنص **طبقات الشافعية الكبرى**]، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٧؛ ونصه: «قريب لا بالتّلاق، بعيد لا بافتراق».

(٤) النص من **عوارف المعارف**، السّهروردي، ص٣٠١، كما ورد في **اللمع**، الطوسي، ص٨٥، كما ورد في نشر المحاسن، اليافعي، ص١٩٨ .

(٥) النص من **طبقات الأولياء**، لابن الملقن، ص١٢٨ .

قطب

(٤٨٠) سُئل الجنيد : «مِن القطب ؟ «قال : لم يظهر [١] .

* * *

قلب

(٤٨١) قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ : القلوب المحفوظة لا يعرضها وليُّها ، لمجانبة محادثة غيره ، ضناً منه بها ، ونظراً منه لها ، وإبقاءً عليها ؛ ليخلص لهم ما أصفاهم به ، وما جمعهم له ، وما عاد به عليهم [٢] .

(٤٨٢) قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ : كانوا يكرهون أن يتجاوز اللسان مُعتقد القلب [٣] .

(٤٨٣) قيل للجنيد : يا أبا القاسم يكون لسان بلا قلب؟ قال : كثير . قلت : فيكون قلب بلا لسان؟ قال : نعم قد يكون ، ولكن لسان بلا قلب بلاء ، وقلب بلا لسان نعمة . قلت : فإذا كان لسان وقلب؟ قال : فذاك الزبد بالنرسيان ، [يعني العسل] [٤] .

(٤٨٤) قال الجنيد : صفاء القلوب على حسب صفاءِ الذكر ، وخلوصه من الشوائب [٥] .

(٤٨٥) قال الجنيد : إن اللّه يَخْلُص إلى القلوب من برِّه ، حسَب ما خَلَصت القلوب به إليه من ذكره ، فانظر ماذا خالط قلبك [٦] .

---

(١) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٣٥٩؛ ويضيف الهجويري : «ولكن يبدو من الإشارة أنه الجنيد ـ رضي اللّه عنه ـ، فقد خدم أربعين من أصحاب التمكين وأفاد منهم، وكان فارساً في علوم الظاهر والباطن» .

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٤٠ .

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٣٨ .

(٤) النص من **قوت القلوب**، أبي طالب المكي، ج١/ ص٢٨٩ .

(٥) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٣ .

(٦) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٧ ، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٩ ، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ص٨٤ .

(٤٨٦) قال الجنيد : أحتاجُ إلى الجماع كما أحتاجُ القوت ، فالزوجة على التحقيق قوتٌ، وسببٌ لطهارة القلوب (١) .

(٤٨٧) قال أبو عمرو بن علوان: كان شابٌّ يصحب الجنيد ـ رحمه اللّه ـ وكان له قلبٌ فطنٌ، وربما يتكلم بخواطر الناس . وما يعتقدون في سرائرهم . فقيل للجنيد ذلك، فدعاه، وقال: إيْش هذا الذي يبلغني عنك؟ فقال: لا أدري، ولكن اعتقد في قلبك ما شئت . قال الجنيد: اعتقدتُ، فقال الفتى: اعتقدتَ كذا وكذا . فقال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ: لا . فقال: اعتقد مرةً أخرى . فقال الجنيد: اعتقدتُ . فقال الشاب: هو كذا وكذا، فقال الجنيد: لا . قال: فاعتقد ثالثاً . فقال الجنيد: اعتقدتُ . فقال الشاب: هو كذا وكذا . فقال الجنيد: لا . فقال الشاب: هذا واللّه عجيبٌ، أنت عندي صادقٌ، وأنا أعرف قلبي وأنت تقول لا . فتبسّم الجنيد ثم قال: صدقتَ ياأخي في الأول، وفي الثاني، وفي الثالث، وإنما امتحنك هل تتغيّر عما أنت عليه(٢) .

(٤٨٨) قال الجنيد : التوكل عمل القلب ، والتوحيد قول القلب (٣) .

* * *

قناعة

(٤٨٩) قيل للجنيد : ما القناعة ؟ قال : ألا تتجاوز إرادتُك ما هو لك في وقتك (٤) .

* * *

---

(١) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨١، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٢/ ص٢٩، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص١٤٦[بألفاظ مختلفة].

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٠٧، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص ص٤٨٨-٤٨٩ .

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٤٢ .

(٤) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٣ .

قوت

(٤٩٠) قال الجنيد: الأقوات ثلاثة: فقوت بالطعام وهو مولّد للأعراض. وقوت بالذكر فهذا يشممهم الصفات. وقوت برؤية المذكور وهو الذي يُفني ويُبيد. ثم أنشد يقول:

إذا كنتَ قوت النفس ثم هجرتها فلم تلبث النفس التي أنتَ قوتها (١).

* * *

قول وفعل

(٤٩١) قرئ أمام الجنيد ـ رضي اللّه عنه ـ قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف/ ٢]، فقال: يا إلهي، إن قلنا قلنا بك، وإن فعلنا فعلنا بتوفيقك، فأين القول والفعل! (٢).

(٤٩٢) قال الجنيد: مَنْ خالفتْ إشارتُه معاملَتَه، فهو مدَّعٍ كذّاب (٣).

* * *

مقام

(٤٩٣) ذكر أن الخضر ـ عليه السلام ـ قال: بين العبد وبين مولاه ألف مقام. وكذلك قال ذو النون المصري، وأبو يزيد البسطامي، والجنيد، وأبو بكر الكتاني ـ رضي اللّه عنهم ـ. قال ذو النون: بينه وبين العبد ألف عام، قال الجنيد: ألف قصر، وقال الكتاني: ألف مقام. وقال الجنيد: في طريق اللّه ألف مانع حاجز عن اللّه ـ عزَّ وجلَّ ـ فلا بدّ من الجواز عليهم. قال أيضاً: في الطريق ألف قصر في كل قصر قاطع من قطاع الطريق موكل على المريد السالك، ولكل موكل مكر وغدر خلاف آخر، فإذا جاء السالك غدر الموكل معه شيء يعطي به فيمنعه عن الطريق ويحجبه عن اللّه، فإذا كان الأمر بهذه المثابة، فلا بدّ من عالم عرف المنجيات والمهلكات، حتى تبين لهم أسرار المقامات، ويصرح طريق التخلص عن الآفات (٤).

* * *

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص ص٢٧٥-٢٧٦ .
(٢) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٦٤١.
(٣) النص من **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٤/ ص٦٨ .
(٤) النص من **مَشْرَبِ الأرواح**، الشيرازي، ص٤ .

كاف

كبـر

(٤٩٤) يحكي أن مريداً من مريدي الجنيد - رضي اللّه عنه - خيل إليه أنه وصل إلى درجة الكمال، وقال لنفسه: إن الوحدة أفضل لي من الصحبة. واعتكف في زاويته وأعرض عن صحبة الجماعة. فلما أقبل الليل جيء بجمل، وقيل له: ينبغي لك أن تذهب إلى الجنة، فركبه وأخذ يسير حتى بَدَا له مكان بهيج، وكان فيه جماعة حسان الصور، وأطعمة طيبة، ومياه جارية، واستبقوه حتى وقت السحر، ثم نام. فلما استيقظ رأى نفسه على باب صومعته حتى استشرت فيه رعونة الآدمية، وأظهرت نخوة الشباب أثرها في قلبه، فأطلق لسان الدعوى، وكان يقول «إن لي كذا وكذا»، حتى أبلغ الخبر الجنيد، فنهض وجاء إلى صومعته، فوجده وقد مُلئ رأسه زهواً، وتمكن في دماغه الكبر، فسأله الجنيد عن حاله، فذكر للجنيد كلّ شيء، فقال له - رضي اللّه عنه -: عندما تذهب الليلة إلى ذلك المكان، قل: لا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم ثلاث مرات. فلما جَنّ الليل حملوه، وكان في قلبه ينكر علم الجنيد. فلما انقضى زمن قال: «لا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم»، ثلاث مرات. على سبيل التجربة. فضجّ أولئك جميعاً وانصرفوا، ووجد نفسه جالساً في وسط مزبلة وقد أحاطت به بعض عظام الرم. ووقف على خطئه وتعلق بأهداب التوبة، ورجع إلى صحبة أصحابه[1].

* * *

كرم

(٤٩٥) قال الجنيد: إن بدت عين من الكرم ألحقتْ المسيء بالمحسن. قال أبو العباس بن

---

(١) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٥٨٥

عطاء : متى تبدو ؟ فقال له الجنيد : هي بادية ، قال رسول اللّه ﷺ [في حديث قدسي] : ﴿سبقت رحمتى غضبي﴾ [1] .

(٤٩٦) قال الجنيد : لو بدت عين من الكرم لألحقت المسيئين بالمحسنين ، وبقيت أعمال العاملين فضلاً لهم . [2] .

(٤٩٧) قال الجنيد : إن بدتْ عينٌ من الكَرم ألحقتْ اللاحقين بالسابقين . ومع وجود هذا ينبغي الجهد والجهاد [3] .

(٤٩٨) سُئل الجنيد «من الكريم» فقال : الكريم من لا يحُوجك إلى وسيلة [4] .

* * *

كرامة

(٤٩٩) عن الجنيد ، رحمه اللّه ، أنّه قال : من يتكلّم في الكرامات ولا يكون له من ذلك شيء ، مَثَلهُ مَثَل مَنْ يمضغ التبن [5] .

(٥٠٠) وقال الجنيد : جئت المسجد «الشونزية» فرأيت فيه جماعة من الفقراء يتكلمون في الآيات فقال فقير منهم : أعرف رجلاً لو قال لهذه الأسطوانة كوني ذهباً نصفك ، ونصفك فضة كانت . . . قال الجنيد : فنظرت . فإذا الأسطوانة نصفها ذهب ونصفها فضة [6] .

---

(١) النص من **حلية الأولياء** ، أبو نعيم الأصبهاني ، ج١٠/ ص٢٦٣ ، كما ورد في **إحياء علوم الدين** ، الغزالي ، ج/ ٤ ص١٥٢ ، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية** ، للمناوي ، ج١/ ص٥٧٦ .

(٢) النص من **حلية الأولياء** ، أبو نعيم الأصبهاني ، ج١٠/ ص٢٦٧ ، كما ورد في **إحياء علوم الدين** ، الغزالي ، ج٤/ ص١٥٢ .

(٣) النص من **نفحات الأنس** ، الجامي ، ورقة رقم ٢٢٩ .

(٤) النص من **اللمع** ، الطوسي ، ص٣٠٢ .

(٥) النص من **اللمع** ، الطوسي ، ص٣٩٠ .

(٦) النص من **الرسالة القشيرية** ، القشيري ، ج٢/ ص٦٩٠ ، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية** ، للمناوي ، ص٥٨٠ ، كما ورد في **روض الرياحين** ، اليافعي ، ص٢٠٣ .

(٥٠١) عن الجنيد ـ رحمه اللّه ـ قال: جاءني أبو حفص النيسابوري مرةً ومعه عبد اللّه الربَّاطي وجماعة، وكان فيهم رجلٌ أصلع قليل الكلام، فقال يوماً لأبي حفص، ـ رحمه اللّه ـ: قد كان فيمن مضى، لهم الآيات الظاهرة [يعني به الكرامات]، وليس لك شيء من ذلك [. .] فجاء أبو حفص به [بالسائل] إلى الحدادين، إلى كور عظيم محميٍّ، فيه حديدة عظيمة، فأدخل يده في الكور، فأخذ الحديدة المحمّاة، فأخرجها، فبردت في يده، فقال له: يجزيك هذا. فسئل بعضهم عن معنى إظهار ذلك من نفسه، فقال الجنيد: كان مُشْرفاً على حاله فخشي على حاله أن يتغير عليه إن لم يُظهر ذلك له، فخصّه بذلك شفقة عليه، وصيانة لحاله، وزيادة لإيمانه (١).

(٥٠٢) ذكر عن ابن عطاء أنه قال: سمعت أبا الحسين النوري يقول: كان في نفسي شيء من هذه الكرامات، فأخذتُ قصبةً من الصبيان، وقمت بين زورقين، ثم قلت: وعزتك إن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقنّ نفسي. فخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال. فبلغ ذلك الجنيد، فقال: كان حُكْمُه أن تخرج له أفعى تلدغه (٢).

(٥٠٣) قال الجنيد: سمعت أبا جعفر الخصاف، يقول: حدثني جابر الرحبي، قال: أكْثَرَ أهلُ الرحبة عليَّ الإنكار في باب الكرامات، فركبتُ السبع يوماً، ودخلت الرحبة، وقلت: أين الذين يُكذّبون أولياء اللّه؟! قال: فكفُّوا بعد ذلك عني (٣).

* * *

كسب

(٥٠٤) قال الجنيد: فتح كل باب شريف بذل المجهود (٤).

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص ص٤٠٤-٤٠٥ .

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٧٦ .

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص ص٦٨٤-٦٨٥ .

(٤) النص من **طبقات الصوفية**، السُّلَمي، ص١٦١، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٣، كما ورد في **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤١٩ .

(٥٠٥) يقول الجنيد : بابُ كلِّ علْم نفيس جليل بَذْلُ المجهود ، وليس من طَلَب الله ببَذْل المجهود ، كمن طلبه من طريق الجُود (١).

(٥٠٦) قال الجنيد : من ظنّ أنه يصل ببذل المجهود فمتعنٍّ . ومن ظنّ أنه يصل بغير بذل المجهود فمُتَمَنٍّ . ومتعلم يتعلّم الحقيقة يوصله الله إلى الهداية ، قال ﷺ : كلّ ميسّر لما خُلق له (٢).

(٥٠٧) سُئل الجنيد ـ رحمه الله ـ عن «الكسب »، فقال : يستقي الماء ، ويلتقط النوى (٣).

(٥٠٨) سبيل المكاسب عند الجنيد ، على ما سبق من الشرط : سبيل الأعمال المقربة إلى الله عز وجل (٤).

(٥٠٩) قال أبو جعفر الفرغاني : كنا يوماً عند الجنيد، فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد، ويتشبّهون الصوفية، ويقصّرون عما يجب عليهم من حق الجلوس، ويَعيبون من يدخل السوق، فقال الجنيد: كم ممن هو في السوق حُكْمُه أن يدخل المسَجد، ويأخذ بأذن بعض من فيه، فيخرجه، ويجلس مكانه. وأني لأعرف رجلاً يدخل السوق ، ورِدُه كلّ يوم ثلاثمائة ركعة ، وثلاثون ألف تسبيحة. قال [الفرغاني]: فسبقَ إلى وهمي أنه يعني نفسه (٥).

* * *

كلام

(٥١٠) قال أبو عمرو الأنماطي: كنا عند الجنيد، إذ مرّ به النوري، فسلّم، فقال له الجنيد: وعليك السلام يا أمير القلوب، تكلم. فقال النوري: يا أبا القاسم غَشَشْتَهم فأجلسوك على المنابر ونصحتُهم فرموني في المزابل. فقال الجنيد: مارأيتُ

---

(١) النص من **طبقات الصوفية**، السّلَميّ، ص١٥٧ .
(٢) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٧ .
(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٥٩ .
(٤) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٠٣ .
(٥) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٢/ ص٨٥ .

قلبي أحزن منه في ذلك الوقت. ثم خرج علينا في الجمعة الأخرى فقال: إذا رأيتم الصوفي يتكلّم على الناس فاعلموا أنه فارغ [1].

(٥١١) قال الجنيد: رأيت في المنام كأني واقف بين يدي اللّه تعالى، فقال لي: يا أباالقاسم: من أين لك هذا الكلام الذي تقول؟ فقلت: لا أقول إلا حقاً. فقال: صدقت [2].

(٥١٢) قال الجنيد: كلام الأنبياء نَبَأ عن حضور، وكلام الصدّيقين إشاراتٌ عن مشاهدات [3].

(٥١٣) قال الجنيد: أقلُّ ما في الكلام سقوط هيبة الربّ جلّ جلاله من القلب، والقلب إذا عَرِيَ من الهيبة عَرِيَ من الإيمان [4].

(٥١٤) نقل عن الجنيد أنه قال: أنا أكلّم اللّه منذ ثلاثين سنة، والناس يظنون أني أكلّمهم [5].

(٥١٥) قال الجنيد: القرآن كلام اللّه، وهو صعب الإدراك، والرُّباعيَّاتُ كلام المحبِّين المخلوقين [6].

(٥١٦) قال الجنيد: سألتُ اللّه عز وجل ألا يعذِّبَني بكلامي. وربما وقع في نفسي: أن زعيم القوم أرذلهم [7].

(٥١٧) قيل لبعض المتكلمين: قد ذكرتَ الطوائف، وعارضتَهم، ولم تذكر الصوفية.

---

(١) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص ص١٧٣-١٧٤.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٧٢٨.

(٣) النص من **طبقات الصوفية**، السُّلَمِيّ، ص١٦٢، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٤، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٣، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٨.

(٤) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٥، كما ورد في **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٤/ ص٦٨.

(٥) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٢/ ص٢٢٧.

(٦) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٤.

(٧) النص من **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٤/ ص٦٩.

فقال: لم أعرفْ لهم علماً ولا قولاً، ولا ما راموه. قيل: بل هم السادة؛ وذكروا له الجنيد. ثم أتوا الجنيد فسألوه عن التصوف، فقال: هو إفراد القديم عن الحَدث، والخروج عن الوطن، وقطع المحابّ، وترك ماعُلم أو جُهل، وأن يكون المرء زاهداً فيما عند اللّه، راغباً فيما للّه عنده، فإذا كانَ كذلك حَظاه إلى كشف العلوم، والعبارة عن الوجوه، وعلم السرائر، وفقه الأرواح. فقال المتكلم: هذا -واللّه- علمٌ حسن، فلو أعَدْتَه حتى نكتبه. قال: كلا، مَرَّ إلى المكان الذي منه بدأ النسيان؛ وذكر فصلاً طويلاً. فقال المتكلم: إنْ كان رجلٌ يهدم ما يثبت بالعقل بكلمة من كلامه، فهذا، فإنّ كلامه لا يحتمل المعارضة [1].

* * *

ميم

مزاح

٥١٨) قال أبو طالب: جاء شاب من خراسان لزيارة الجنيد، فأخذ الجنيد [من الشاب] عصاه وركوته، ودّاها [أي أرسلها] البيت ووضعها في مخزن وقفله. وتلك الليلة كان لأصحاب الجنيد اجتماع. فقال الشيخ لجماعة: ودّوا هذا الغريب. فلما فرغوا من الطعام، فبطريق الطيبة والمزاح، أرادوا أن يلعبوا الخاتم، فقال الشبلي للشاب: توافقني فيه. فأبى وعابهم، فنظرإليه الشبلي وقال: اسكت وإلا أقطع رأسك. فسكت الشاب وقام وذهب. في اليوم الثاني حكوا هذه الحكاية عند الجنيد، فقام الجنيد ودخل البيت فما وجد العصا والركوة في ذلك المكان، فخرج وقال لأصحابه: كم مرة أوصيتكم إن دخل غريب لا تذلوه [بالمزاح معه]واللّه لقد أخذ العصا والركوة وذهب، وما أعطيته، وماطلب مني [2].

* * *

(١) النص من **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج١٤/ ص٦٩ .
(٢) النص من **نفحات الأنس**، الجامي، ق ق ٨٥-٨٦ .

معية الله

(٥١٩) سأل ابن شاهين الجنيد عن معنى «مع»، فقال: مع على معنيين: مع الأنبياء بالنُّصرة والكلاءة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه/ ٤٦]؛ ومع العامة بالعلم والإحاطة، قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة / ٧]؛ قال ابن شاهين: مثلك يصلح أن يكون دالاً للأمة على الله(١).

* * *

مروءة

(٥٢٠) قال الجنيد: المروءة احتمال ذلل الإخوان (٢).

* * *

نـــون

نجـاة

(٥٢١) كان الجنيد جالساً مع رويم والجريري وابن عطاء. فقال الجنيد: ما نجا مَنْ نجا إلا بصدق اللَّجا [الالتجاء]، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة / ١١٨].

وقال رويم ـ رحمه الله ـ: ما نجا من نجا إلا بصدق التقى، قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص ص٣٩-٤٠.

(٢) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٤، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٨ [«امتحان» بدل «احتمال»]، كما ورد في **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤٢٠.

اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ [الزمر: ٦]. وقال الجريري: ما نجا من نجا إلا بمراعاة الوفا، قال اللّه تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد / ٢٠]. وقال ابن عطاء: ما نجا من نجا إلا بتحقيق الحياء من اللّه، قال اللّه تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق/ ١٤] (١).

* * *

نصيحة

(٥٢٢) قال الجنيد للشبلي: يا أبا بكر! إذا وجدتَ من يُوافقُك على كلمة مما تقول، فتمسّك به (٢).

(٥٢٣) قال الجنيد: لا تقومُ بما عليك حتى ترْك ما لَكَ؛ ولا يَقوي على ذلك إلا نبيٌّ أو صدِّيقٌ (٣).

(٥٢٤) قال الجنيد: اعلم أن المناصحة منك للخلق، والإقبال على ما هو أولى بك، فيك وفيهم، أفضل الأعمال لك في حياتك، وأقربها إلى أوليائك في وقتك. واعلم أن أفضل الخلق عند اللّه منزلة، وأعظمهم درجة، في كلّ وقت وزمن، وفي كلّ محل ووطن، أحسنهم إحكاماً لما عليه في نفسه، وأسبقهم بالمسارعة إلى اللّه فيما يحبّه، وأنفعهم بعد ذلك لعبادة. فخذ بالحظ الموفر لنفسك. وكن عاطفاً بالمنافع على غيرك. واعلم أنك لن تجد سبيلاً تسلكه إلى غيرك، وعليك بقية مفترضة من حالك. واعلم أن المؤهلين للرعاية إلى سبيل الهداية، والمرادين لمنافع الخليقة، والمرتّبين للنذارة والبشارة، أيّدوا بالتمكين، وأسعدوا براسخ علم اليقين، وكُشفَ لهم عن غوامض معالم الدين، وفُتح لهم في فهم الكتاب المستبين. فبلغوا ما أنعَم به عليهم من فضله، وجاد به من عظَيم أمره، إحكام ما به أمروا، والمسارعة إلى ما إليه نُدبوا. والدعاية إلى اللّه بما به مُكّنوا. وهذه سيرة الأنبياء صلوات اللّه

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص ص٢٨٢-٢٨٣.
(٢) النص من **طبقات الصوفية**، السّلَميّ، ص١٦٠.
(٣) النص من **طبقات الصوفية**، السَّلَميّ، ص١٦١.

عليهم، فيمن بعثوا إليهم من الأمم، وسيرتهم في تأدية ما علموه من الحكم. وسيرة المتّبعين لآثارهم من الأولياء والصدّيقين، وسائر الدعاة إلى اللّه من صالحي المؤمنين[١].

* * *

نظرة

(٥٢٥) قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ : لقد كنت أرى أقواماً تجزيني منهم النظرة، فهي زادي من الجمعة إلى الجمعة[٢].

* * *

نفس

(٥٢٦) وعن جعفر الخلدي ـ رحمه اللّه ـ أنه قال: كان الجنيد ـ رحمه اللّه ـ يوصي الرجل، ويقول: قدّم نفسك وأخّر عزمك، ولا تقدّم عزمك وتؤخّر نفسك، فيكون فيها إبطاء كثير[٣].

(٥٢٧) يقول الجنيد: النفس الأمارة بالسوء: هي الداعية إلى المهالك، المُعينة للأعداء، المتّبعة للهوى، المتّهمة بأصناف الأسواء[٤].

(٥٢٨) يقول الجنيد: لا تسكن إلى نفسك، وإن دامت طاعتها لك في طاعة ربك[٥].

(٥٢٩) يقول الجنيد ـ رضي اللّه عنه ـ : أساس الكفر قيامك على مراد نفسك[٦].

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص ص٢٨٣-٢٨٤ .
(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٧٩ .
(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٣٣٤ .
(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٥٠ .
(٥) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٩ .
(٦) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٤٣١ .

(٥٣٠) قال الجنيد ، ـ رضي اللّه عنه ـ : الأحوال كالبروق ، فإن بقيت فحديث نفس[١] .

(٥٣١) فرّق الجنيد بين هواجس النفس ووساوس الشيطان، بأنّ النفس إذا طالبتك بشيء ألحَّت ، فلا تزال تعاودك ، ولو بعد حين ، حتى تصل إلى مرادها ، ويحصل مقصودها ، اللهمّ إلا أن يدوم صدق المجاهدة ، ثم إنها تعاودك وتعاودك . وأمّا الشَّيطان إذا دعاك إلى زلَّة ، فخالفته بترك ذلك ، يوسوس بزلَّة أخرى ، لأن جميع المخالفات له سواء ، وإنما يريد أن يكون داعياً أبداً إلى زلَّة ما ، ولا غرض له في تخصيص واحد دون واحد [٢] .

(٥٣٢) قال الجنيد : مَنْ أعان نفسه على هواها فقد أشرك في قتل نفسه ، لأن العبودة ملازمة الأدب ، والطغيان سوء الأدب [٣] .

(٥٣٣) يقول الجنيد : أعلى درجة الكِبْر أن ترى نَفْسَك ، وأدناها أن تخطر ببالك[٤] .

(٥٣٤) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ ، عن «الإخلاص » ، فقال : إخراج الخلق من معاملة اللّه تعالى ، والنَّفْس أوّل الخَلْق [٥] .

(٥٣٥) قال الجنيد : أرقْت ليلة ، فقمت إلى وردي ، فلم أجد ما كنت أجده من الحلاوة والتلذّذ بمناجاتي لربي ، فتحيّرت ، فأردت أن أنام ، فلم أقدر ، فقعدت ، فلم أطق القعود ، ففتحت الباب ، وخرجت ، فإذا رجل ملتفٌ في عباءة ، مطروح على الطريق . فلما أحسّ بي ، رفع رأسه ، وقال : يا أبا القاسم ، إلى الساعة !! فقلت :

---

(١) النص من **كشف المحجوب** ، للهجويري ، ص٤١٠ .

(٢) النص من **الرسالة القشيرية** ، القشيري ، ج١/ ص٢٤٣ .

(٣) النص من **عوارف المعارف** ، السّهروردي ، ص١٦٦ .

(٤) النص من **طبقات الشافعية الكبرى** ، السبكي ، ج٢/ ص٢٦٦ ، كما ورد في **تاريخ بغداد** ، البغدادي ، ج٧/ ص ٢٤٥ كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية** ، للمناوي ، ص٥٧٩ ، كما ورد في **سير أعلام النبلاء** ، الذهبي ، ج١٤/ ص٦٨ ، كما ورد في **حلية الأولياء** ، أبو نعيم الأصبهاني ، ج١٠/ ص٢٧٣ .

(٥) النص من **اللمع** ، الطوسي ، ص٢٩٠ .

ياسيدي من غير موعد؟ فقال: بلى، قد سألت محرِّك القلوب أن يُحرِّكَ إليَّ قلبك. فقلت: فقد فعل ذلك! فما حاجتك؟ فقال: متى يصير داءُ النفس دواءها؟ فقلت: إذا خالفتْ النفسُ هواها صار داؤها دواءها. فأقبل على نفسه، وقال: اسمعي قد أجبتُك بهذا الجواب سبع مرات، فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد، فقد سمعتِ، وانصرف عني، ولم أعرفه، ولم أقف علَيه بعد [(١)].

(٥٣٦) وكتب يوسف بن الحسين إلى الجنيد: لا أذاقكَ الله طعم نفسك! فإنّك إن ذقتها لم تذق بعدها خيرًا أبدًا [(٢)].

(٥٣٧) ورد عن الجنيد - رضي الله عنه - أنه أصابته الحمى مرّة، فقال: يا إلهي! عافني، فنودي في سرّه: من أنت حتى تتكلم في ملكي وتختار، وأنا أعرف تدبير ملكي أحسن منك، فاختر اختياري، ولا تُظهر نَفْسَك باختيارك [(٣)].

(٥٣٨) قيل للجنيد: هل عاينت أو شاهدت؟ قال: لو عاينت تزندقت، ولو شاهدت تحيّرت، ولكن حيرة في تيه، وتيه في حيرة [(٤)].

(٥٣٩) يحكي أن عبد الله بن الجلاء قال: رأيت ذات يوم نصرانيًا حسن الوجه، فتحيرت في جماله، وتوقفت قبله. فمرّ علي الجنيد - رحمه الله - فقلت: يا أستاذ لن يحرق الله تعالى مثل هذا الوجه بنار الجحيم! فقال - رضي الله عنه -: يا بني! هذه سويقة النفس التي تحملك على هذا، لا نظرة العبرة، لأنك إذا نظرت بالعبرة في كلّ ذرة من الموجودات، فهذه الأعجوبة موجودة [(٥)].

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٥٠، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٣/ ص ص٦٦-٦٧، كما ورد في **روض الرياحين**، اليافعي، ص٢٢٠، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج ١٠/ ص ص٢٧٤-٢٧٥، كما ورد في **جامع كرامات الأولياء**، النبهاني، ج١/ ص٣٨٤، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٢، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨٣ كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٢٧٨.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص١٢٦.

(٣) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٦٣٢.

(٤) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٤.

(٥) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص ص٣٤٦-٣٤٧.

(٥٤٠) قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ : النفس التي قد أعزّها الحقّ بحقيقة الغنى تزول عنها موافقات الفاقات [١].

(٥٤١) يقول الجنيد : كان يعارضني في بعض أوقاتي أن أجعل نفسي كيوسف وأكون أنا كيعقوب ، فأحزن على نفسي لما فقدت منها ، كما حزن يعقوب على فقده ليوسف . فمكثت أعمل مدة فيما أجده على حسب ذلك [٢].

(٥٤٢) وقف الشبلي على الجنيد ، فقال : ما تقول يا أبا القاسم فيمن وجوده حقيقة لاعلماً ؟ فقال : يا أبا بكر ، بينك وبين أكابر الناس سبعون قدماً أدناها أن تنسى نفسك [٣].

(٥٤٣) جاء الشبلي إلى الجنيد ـ رضي اللّه عنه ـ فقال له الجنيد : يا أبا بكر ! إنّ في رأسك نخوة تجعلك تقول : «أنا ابن حاجب حجاب الخليفة ، وأمير سامراء» ، ولن يتأتّي منك أمر ما لم تذهب إلى السوق ، وتسأل كلّ من ترى ، حتى تعرف قيمة نفسك . ففعل كذلك [٤].

* * *



نفاق

(٥٤٤) يقول الجنيد : إحذر أن تكون ثناءً منشوراً وعيباً مستوراً [٥].

* * *

إنفاق المال

(٥٤٥) حكي عن الجنيد ـ رضي اللّه عنه ـ أنه قال : خرجت يوماً في بعض الغزوات ، وكان قد أرسل إليّ أمير الجيش شيئاً من النفقة ، فكرهتُ ذلك ، ففرقتُه على محاويج الغزاة . فلما كان في بعض الأيام ، صلّيتُ الظهر ، وجلست متفكراً في ذلك ، نادماً

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٩٢ .
(٢) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٣، كما ورد في **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج/ ٢ص٤٢١ .
(٣) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٠ .
(٤) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٦٠٥.
(٥) النص من **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، مج٢/ ص٤٢٠.

على قبوله وتفريقي إياه. فغلبني النعاس، فرأيت قصوراً تُبني مزخرفة، ونعماً طائلة. فسألت عنها، فقيل لي: هذه لأصحاب المال الذي فرقته في الغُزَاة. فقلت: فما لي معهم شيء؟ فقيل: ذلك القصر. وأشاروا إلى قصر عظيم من أحسن القصور وأعظمها. فقلت: فكيف فُضِّلت عنهم؟ فقيل: أولئك أخرجوا المال وهم يتوقعون الثواب عليه، فكان هذا جزاؤهم. وأنت فرّقت ذلك المال، خائفاً، وجلاً، محاسباً نفسك، نادماً، فضاعف اللّه تعالى لك ذلك على ثواب سعيك (١).

* * *

نوم

(٥٤٦) قال الجنيد: كنت يوماً في مجلس السري وعنده عصابة من الرجال وأنا كنت أصغرهم. فقال السري: من أي شيء يطير النوم؟ فقال بعضهم: من الجوع. وقال واحد: من قلة الماء. فلما وصلت نوبتي قلت: علم القلوب باطلاع اللّه على كل نفس بما كسبت. قال: أحسنت يا بني. وأجلسني إلى جنبه، فأنا من ذلك اليوم مقدّم على الناس [أي في مجلس السري] (٢).

* * *

نية

(٥٤٧) يقول الجنيد: من فتح على نفسه باب نيَّة حسنة فتح اللّه عليه سبعين باباً من التوفيق، ومن فتح على نفسه باب نّية سيئة فتح اللّه عليه سبعين باباً من الخذلان، من حيث لا يشعر (٣).

(٥٤٨) قال الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ: النيّة تصوير الأفعال (٤).

* * *

(١) النص من **روض الرياحين**، اليافعي، ص٢٠٩.

(٢) النص من **نفحات الأنس**، الجامي، ورقة ٨٩.

(٣) النص من **الطبقات الكبرى**، للشعراني، ج١/ ص٨٦.

(٤) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٣٠٣.

هـــاء

هجر

(٥٤٩) قال الجنيد: دخلت على السريّ يوماً، فأمرني شيئاً، فقضيت حاجته سريعاً، فلمّا رجعت ناولني رقعة، وقال: هذا لمكان قضائك لحاجتي سريعاً. فقرأت الرقعة، فإذا فيها مكتوب: سمعت حادياً يحدو في البادية:

أبكي، وهل يُدريك ما يُبكيني　　　أبكي حِذاراً أن تفارقيني

وتُقطعي حبلي وتَهجريني [(١)]

* * *

هم

(٥٥٠) يقول الجنيد: قال لي عبدون الزجاجي: لأن ترد إلى اللّه عزَّ وجلَّ بهمك ساعة خير لك مما طلعتْ عليه الشمس. [(٢)].

(٥٥١) قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ: قال لي إبراهيم الآجُرِّي: يا غلام لأن تَرِدَ بهمّك إلى اللّه تعالى طرفة عين، خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس [(٣)].

* * *

همة

(٥٥٢) قال الجنيد: عليكم بحفظ الهمّة، فإنّ حفظ الهمّة مقدّمة الأشياء [(٤)].

* * *

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٦٣٤، كما ورد في **نفحات الأنس**، الجامي، ورقة٤٨.

(٢) النص من **نفحات الأنس**، الجامي، ورقة ٤١.

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٢٥، كما ورد في **اللمع** ص٨٢.

(٤) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٨.

واو

وجـد

(٥٥٣) قد حكي عن الجنيد أنه قال : لا يضرّ نقصان الوجد مع فضل العلم ، وإنما يضرّ فضل الوجد مع نقصان العلم [١] .

(٥٥٤) ذكر عن الجنيد أنه قال : لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم، وفضل العلم أتم من فضل الوجد . [٢] .

(٥٥٥) عن الجنيد ـ رحمه اللّه ـ أنه كان يقول : إذا قوي الوجد يكون أتم ممن يستأثر العلم [٣] .

(٥٥٦) ذكر عن الجنيد ـ رحمه اللّه ـ أنه قال : الحملان في الوجد بعد الغلبة أتمّ من حال الغلبة في الوجد، والغلبة في الوجد أتمّ من المحمول قبل الغلبة، فقيل له : كيف نزلت هذا التنزيل؟ فقال : المحمول عن حال غلبته بالحمل بعد القهر أتمّ، والمغلوب بعد حُمْلاَنه عن نفسه وشاهده أتمّ [٤] .

(٥٥٦) قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ : الوجد هو [الأصل : هي] المصادقة [٥] .

(٥٥٧) وذكر عن الجنيد ـ رحمه اللّه ـ أنه قال : كما أظنُّ أنّ الوجد هو المصادفة، بقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ﴾ [الكهف/ ٤٩]، يعني صادفوا، وقال : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّه ﴾ (عز وجل) [البقرة/ ١١٠] أي تُصَادفوا ، وقال : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ [النور/ ٣٩] يعني لم يصادفه [٦] .

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٢٤٧، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٢/ ص٣٠٣ .
(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٣٨١ .
(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٣٨١ .
(٤) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٣٨١ .
(٥) النص من **مَشْرَب الأرواح**، الشيرازي، ص٨٣ .
(٦) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٣٧٥، كما ورد في **مَشْرَبِ الأرواح**، الشيرازي، ص٨٣.

(٥٥٩) قال الجنيد : اعتللتُ بمكة ، فقوى عليّ فيها الوجود ، حتى لم أقدر أن أقول «سبحان اللّه والحمد للّه » [١] .

(٥٦٠) دخل الشبلي على الجنيد متواجداً ، فقال : إن كنت ترى نفسك في حضرة اللّه فهذا سوء أدب ، وإن كنت خارجها ، فماذا حصّلت حتى تتواجد ؟ فقال : التوبة يا إمام [٢] .

(٥٦١) أنشدونا للجنيد :

الوجـد يطرب من في الوجـد راحتُـه ... والوجـد عند حـضـور الحقّ مـفـقـودُ

قـد كـان يطربني وَجْدي فـأشـغلني ... عن رُؤية الوجد ما في الوجد موجودُ [٣]

* * *

توحيد

(٥٦٢) قال الجنيد : أوّل مقام التوحيد قول المصطفي ﷺ : أن تعبد اللّه كأنك تراه [٤] .

(٥٦٣) حكي عن الجنيد ، أنه قال : أشرف كلمة في التوحيد قول أبي بكر الصدّيق : سبحان من لم يجعل للخَلْق طريقاً إلى معرفته ، إلا العجز عن معرفته [٥] .

(٥٦٤) قال الجنيد : علم التوحيد طُويَ بساطه منذ عشرين سنة ، والناس يتكلمون في حواشيه !! [٦] .

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٠ .

(٢) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية** ، للمناوي، ج١/ ص٥٨٣ .

(٣) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف** ، الكلاباذي، ص ص١٣٤-١٣٥ .

(٤) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية** ، للمناوي، ج١/ ص٥٧٧ .

(٥) النص من **اللمع**، الطوسي، ص١٧٢ ، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٨٥ ، كما ورد في **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٥٢٥ .

(٦) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٨٦ ، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٥ ، كما ورد في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٥ .

(٥٦٥) قال الجنيد: التوحيد الذي انفرد به الصوفية هو : إفراد القِدَم عن الحدث ، والخروج عن الأوطان ، وقطع المحَابِّ، وترك ما عُلِم وجُهِلَ، وأن يكون الحق سبحانه مكان الجميع [١].

(٥٦٦) سُئل الجنيد عن «توحيد الخاص» فقال: أن يكون العبد شبحاً بين يدي اللّه سبحانه، تجري عليه تصاريف تدبيره، في مجاري أحكام قدرته، في لجج بحار توحيده، بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته، في حقيقة قربه، بذهاب حسّه وحركته، لقيام الحقّ سبحانه له فيما أراد منه ، وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوّله ، فيكون كما كان قبل أن يكون [٢].

(٥٦٧) قال الجنيد: إذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد تناهت إلى الحيرة [٣].

(٥٦٨) سُئل الجنيد عن «التوحيد»، فقال: إفراد الموحِّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته بأنه الواحد، الذي لم يلد ولم يولد، بنفي الأضداد، والأنداد، والأشباه، بلاتشبيه، ولا تكييف، ولا تصوير، ولا تمثيل، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشوري ١١/] [٤].

(٥٦٩) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه ـ ، عن «التوحيد»، فقال : معنى تضمحل فيه الرسوم، وتندرج فيه العلوم ، ويكون اللّه تعالى كما لم يزل [٥].

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٨٦، كماورد في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج١/ ص٨٥[يرد لفظ «المحارب» بدل لفظ «المحَابّ»]، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٥، كما ورد مطلعه في **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٥٢١ .

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٨٤، كما ورد أيضاً في **الطبقات الكبرى**، الشعراني، ج/ ١ ص٨٥، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٥، كما ورد في **اللمع**، الطوسي، ص٤٩ .

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٨٣ .

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٨٣، كما ورد في الرسالة أيضاً ص٢٧، كما ورد في **اللمع**، الطوسي، ص٤٩ .

(٥) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٩، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٨٣ .

(٥٧٠) قال الجنيد: كنت عند أستاذي ابن الكَرَنْبي، وهو يجود بنفسه. فنظرت إلى السماء، فقال: بعد. ثم نظرت إلى الأرض، فقال: بعد. [يضيف القشيري يعني: إنه أقرب إليك من أن تنظر إلى السماء أو إلى الأرض، بل هو وراء المكان] (١).

(٥٧١) سُئل الجنيد: عن «التوحيد»، فقال: سمعت قائلاً يقول:

وغنَّى لي من قلبي	وغَنَّيتُ كما غنَّى
وكُنّا حيثما كانوا	وكانوا حيثما كنَّا

فقال السائل: أهَلَكَ القرآن والأخبار؟!! فقال الجنيد: لا، ولكن الموحِّد يأخذ أعلى التوحيد من أدنى الخطاب وأيسره (٢).

(٥٧٢) قال الجنيد: علم التوحيد مباينٌ لوجوده، ووجوده مباين لعلمه (٣).

(٥٧٣) قال الجنيد: أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة، في ميدان التوحيد. والتنسّم بنسيم المعرفة. والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد. والنظربحسن الظن للّه عزَّ وجلَّ. ثم قال: يا لها من مجالس ما أجلّها! ومن شراب ما ألذّه! طوبي لمن رُزِقَه! (٤).

(٥٧٤) قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ في وصف «التوحيد»: حُكْمُها على ما جَرَت عليه جار. وسلطانها على كل حق عال. ظهرت فقهرت. وخفيت فاستترت. وصالت فغالت، هي هي بلا هي. تبدّي فتَبيد ما بَدَت عليه. وتُفْنِي ما أشارت إليه. قريبها بعيدٌ. وبعيدها قريبٌ. وقريبها مريبٌ (٥).

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٩٧ .

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج٢/ ص٥٨٨.

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٢٠٣، كما ورد أيضًا في **الرسالة القشيرية**، ج٢/ ص٥٨٦ .

(٤) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٤٢٥، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٤٣، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٧.

(٥) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٣٨ .

(٥٧٥) قال أبوبكر الزقاق: سمعتُ من الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ كلمةً في التوحيد هيمتني أربعين سنة، وأنا بعدُ في غمار ذلك [(١)].

(٥٧٦) قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ من بَنِي آدَمَ من ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف/ ١٧٢]: فمن أين كان وكيف كان، قبل أن يكون. هل أجابت إلاّ الأرواح الطاهرة، بإقامة القدرة، وإنفاذ المشيئة؟ فهو الآن في الحقيقة، كما كان قبل أن يكون، وهذا غاية حقيقة التوحيد للواحد، أن يكون العبد كما لم يكن ويبقي اللّه تعالى كما لم يزل [(٢)].

(٥٧٧) قال الجنيد: التوحيد هو الخروج من ضيق رسوم الزمانية إلى سعة فناء السرمدية[(٣)].

(٥٧٨) قال الجنيد: سئل بعض العلماء عن التوحيد، فقال: هو اليقين. فقال السائل: بيِّن لي ما هو؟ فقال: هو معرفتك، أنّ حركات الخلق وسكونهم، فعل اللّه عزَّ وجلَّ وحده، لا شريك له، فإذا فعلت ذلك فقد وحَّدته [(٤)].

(٥٧٩) قال الجنيد: التوحيد علمك، وإقرارك بأنّ اللّه فردٌ في أزليته، لا ثاني معه، ولا شيء يفعل فعله. [(٥)].

(٥٨٠) قال أبو يزيد البسطامي: أشرفت على التوحيد في غيبوبة الخَلْق عن العارف، وغيبوبة العارف عن الخَلْق. يقول الجنيد في تفسير كلمات أبي يزيد: عند إشرافي على التوحيد تحقق عندي غيبوبة الخَلْق كلّهم عن اللّه تعالى، وانفراد اللّه عزَّ وجلَّ بكبريائه عن خليقته، وهذه الألفاظ التي قال أبو يزيد معروفة في إدخال المراد فيما أريد منها [(٦)].

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٣٦٨ .
(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص ص٥٠-٥١ .
(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٩ .
(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٦، كما ورد في **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٥٦، كما ورد في **نشر المحاسن**، اليافعي، ص٣٤٠ .
(٥) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣١ .
(٦) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٦٩ .

قال أبو يزيد: أول ما صرْتُ إلى وحدانيته، فصرت طيراً جسمه من الأحدية، وجناحاه من الديمومة؛ فلم أزل أطير في هواء الكيفية عشر سنين، حتى صرت إلى هواء مثل ذلك مائة ألف ألف مرة، فلم أزل أطير إلى أن صرت في ميدان الأزلية، فرأيت فيها شجرة الأحدية. [ثم وصف أرضها وأهلها وزرعها وأغصانها وثمارها]، ثم قال: فنظرت فعلمت أن هذا كله خدعة.

قال الجنيد: أما قوله «أول ما صرت إلى وحدانيته» فذاك أول لَحْظه إلى التوحيد، فقد وصف ما لاحظ من ذلك، ووصف النهاية في حال بلوغه، والمَستقّر في تناهي رسوخه.

(٥٨١) وقال الجنيد: وأما قول أبي يزيد «ألف ألف مرة»، فلا معنى له، لأن نعته أجلّ وأعظم مما وصفه وقاله، وإنما نعت من ذلك على حسب ما أمكنه، ثم وصف ماهناك، وليس هذا، بَعْد، الحقيقة المطلوبة، ولا الغاية المستوعبة، وإنما هذا بعض الطريق.

(٥٨٢) وقال الجنيد: لو أن أبا يزيد ـ رحمه اللّه ـ علم عظم إشارته خرج من البداية والتوسط! ولم أسمع له نطقاً يدلُّ على المعنى الذي ينبئ عن الغاية! وذلك ذكره للجسم، والجناح، والهواء، والميدان [١].

(٥٨٣) سُئل الجنيد عن التوحيد، فأجاب بكلام لم يفهم، فقيل له: أعد الجواب، فإنا مافهمنا، فقال جواباً آخر، فقيل له: هذا أغمض، فأمْلِه علينا حتى ننظر فيه ونعلمه، فقال: إن كنت أجريه فأنا أمليه. [٢].

(٥٨٤) قال الجنيد: التواضع عند أهل التوحيد تكبّر. [يقول الغزالي: لعل مراده أن المتواضع يُثبت نفسه أولاً ثم يضعها، والموحّد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئاً حتى يضعها أو يرفعها] [٣].

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص ص٤٦٤-٤٦٦ .

(٢) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨٢[كما يراجع «العلم اللدني»].

(٣) النص من **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٣/ ص٣٤٣، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٨٠ .

(٥٨٤) حُكي عن الجنيد ـ رحمه اللّه ـ أنّه قال : لا يبلغ العبد إلى حقيقة المعرفة وصفاء التوحيد حتى يعبر الأحوال والمقامات [١] .

(٥٨٥) قال الجنيد رحمه اللّه : حكايات أبي يزيد البسطامي ـ رحمه اللّه ـ تدلٌّ على أنه كان قد بلغ إلى عين الجمع ، و «عين الجمع» : اسمٌ من أسماء التوحيد، له نعتٌ ووصفٌ يعرفه أهله [٢] .

(٥٨٦) قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ : رأيت حكايات أبي يزيد ـ رحمه اللّه ـ على ما نَعْتُهُ ينبئ عنه : أنه قد غرق فيما وجد منها وذهب عن حقيقة الحق، إذا لم يرد عليها وهي معان غرّقته على تارات من الغرق، كلٌّ واحد منها غير صاحبتها . وقال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ أما ما وصف من بدايات حاله فهو قويٌّ محكم، قد بلغ منه الغاية، وقد وصف أشياء من علم التوحيد صحيحة، إلا أنّها بداياتٌ، فيما يطلب منها المرادون لذلك [٣] .

* * *

ورد

(٥٨٧) عندما شاخ الجنيد ـ رضي اللّه عنه ـ لم يضيّع أيّ ورد من أوراد الشباب، فقيل له : أيها الشيخ! لقد صرتْ ضعيفاً فكفّ عن بعض النوافَل . قال : هذه أشياء أدركتُ بها في البداية ما أدركته، فمحال أن أكفّ عنها في النهاية، بعد قضاء اللّه [٤] .

(٥٨٨) دخل ابن عطاء على الجنيد وهو في النَّزْع، فسلَّم، فلم يردّ عليه، ثم ردّ عليه بعد ساعة، وقال : أعذرني ، فإني كنتُ في وردي ، ثم حوّل وجهه إلى القبلة وكبّر ومات [٥] .

* * *

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٣٦ .

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٥٠ .

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص ص٤٥٩-٤٦٠ .

(٤) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٥٤٥ .

(٥) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٦، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج ٢ص٥٩٨، [يورد لفظ «يجود بنفسه» بدلاً من لفظ «في النزع»]، كما ورد في **طبقات الأولياء**، لابن الملقن، ص١٣٤ .

ورع

(٥٨٩) قال الجنيد: الورع في الكلام أشد منه في الاكتساب [١].

(٥٩٠) قال الجنيد: سمعت السري يقول، كان أهل الورع في أوقاتهم أربعة: حُذيفة المرتعش، ويوسف بن أسباط، وإبراهيم بن أدهم، وسليمان الخوّاص، فنظروا في الورع فلما ضاقتْ عليهم الأمور فزعوا إلى التقلل [٢].

(٥٩١) قال الجنيد: مات أبو الحارث [المحاسبي] يوم مات، وإن الحارث لمحتاج إلى دانق فضة. وخلّف أبوه مالاً كثيراً، وما أخذ منه حبّةً واحدة. وقال: أهل ملّتين لا يتوارثان [٣].

* * *

وَحشَة

(٥٩٢) ورد عن الجنيد ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: رأيتُ درويشاً في البادية، جالساً تحت أشواك شجرة أم غيلان، في مكان صعب وبمشقة تامة، فقلت: يا أخي! ما أجلسَك هنا؟ فقال: اعلمْ أنه كان لي وقت ضاع هنا، فجلستُ الآن أتوجع عليه. فقلت: منذ كم من السنين؟ قال: منذ اثنتي عشرة سنة، فليبذل الشيخ الآن همة في الأمر [يطلب الدرويش من الجنيد أن يبذل همة لمساعدته]، لعلي أصل إلى مرادي، وأستعيد وقتي.

قال الجنيد: فمضيت وأديت الحج، ودعوتُ له، فاستجيبت الدعوة، وبلغ مراده. فلما رجعت وجدتُه جالساً في نفس المكان. فقلت: أيها الشاب! لقد استعدتَ وقتك، فلماذا لا تتحوّل عن هذا المكان؟ فقال: أيها الشيخ! لقدكنت ألازم المكان الذي كان محل وحشتي وأضعتُ فيه رأس مالي، فهل يجوز الآن أن أترك المكان الذي استعدتُ فيه رأس مالي وهو محلّ أنسي؟ فليذهب الشيخ بسلام، لأني سأخلط ترابي بتراب هذا الموضع، حتى أرفع رأسي يوم القيامة من هذا التراب، الذي هو محلّ أنسي وسروري [٤].

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٩، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٩.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص ص٢٨٤-٢٨٥.

(٣) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٧٧.

(٤) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٦١٤

(٥٩٣) قال أبو القاسم الجنيد: كلّمت يوماً حسناً المسوحي في شيء من الأنس. فقال لي: ويحك ما الأنس؟ لو مات مَنْ تحت السماء ما استوحشت [١].

* * *

وصل

(٥٩٤) قال أبو عمرو بن علوان: سمعت الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة من الليالي وهو يقول في مناجاته: «إلهي أتريد أن تخدعني عنك بقربك، أو تريد أن تقطعني عنك بوصلك. هيهات، هيهات». سئل أبو عمرو: ما معنى قوله «هيهات.. هيهات»؟ قال: التمكين [٢].

(٥٩٥) وسُئل الجنيد ـ رضي الله عنه ـ: ما الوصل؟ قال: ترك ارتكاب الهوى [٣].

(٥٩٦) قال الجنيد: يتصل به من أوصله بقدر ما خُصَّ به، وإلا فليس بينه [تعالى] وبينهم [أي البشر] سبب ولا نَسَب ولا وصل [٤].

* * *

وصول

(٥٩٧) سُئل الجنيد عن النهاية فقال: هي الرجوع إلى البداية. [ويضيف السهروردي وقد فسّر بعضهم قول الجنيد فقال: معناه أنه كان في ابتداء أمره في جهل، ثم وصل إلى المعرفة، ثم ردّ إلى التحيّر والجهل، وهو كالطفولية: يكون جهل ثم علم ثم جهل] [٥].

(٥٩٨) قال الجنيد: الواصل هو الحاصل عند ربه [٦].

* * *

(١) النص من **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤٢٥.

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص١٧٨؛ وأيضاً في **اللمع**، ص٤٢٦.

(٣) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٤٤٠؛ [ويضيف الهجويري شارحاً: «فمن يرد أن يُكْرَم بوَصْلَة الخلق، يجب أن يخالف هوى الجسد، لأن العبد لا يقوم بعبادة أبداً أعظم من مخالفة الهوى، إذ إن حَفر الجبل بالظفر أيسر على ابن آدم من مخالفة النفس والهوى»].

(٤) النص من **مَشْرَب الأرواح**، الشيرازي، ص١٣٧.

(٥) النص من **عوارف المعارف**، السّهرورديّ، ص٣١٩.

(٦) النص من **عوارف المعارف**، السَّهرورديّ، ص٣٠٣، كما ورد في **مَشْرَبِ الأرواح**، الشيرازي، ص١٣٦.

وصايا

(٥٩٩) يقول الجنيد في بعض وصاياه: يا أخي، فاعمل، ثم اعجل قبل أن يعجل الموت بك. وبادر، ثم بَادرْ قبل أن يُبَادَرَ إليك، وقد وعظك اللّه تعالى في الماضين من إخوانك، والمنقولين من الدنيا من أقرانك وأخدانك، فذاك حظك الباقي عليك، والنافع لك، وكلّ ما سوى ذلك فعليك لا لك. وهذه موعظتي لك، ووصيتي إياك، فاقبلها تحمد الأمر بقبولها، وتفوز باستعمالها، والسلام [١].

(٦٠٠) قال الجنيد لبعض أصحابه: أوصيك بقلة الالتفات إلى الحال الماضية عند ورود الحال الكائنة [٢].

(٦٠١) قال الجنيد، وقد قال له رجل أوصني: أرض القيامة كلها نار، فانظر أين تكون رجلك [٣].

(٦٠٢) يقول الجنيد واعظاً: يا فتى إلزمْ العلم ولو وَرَدَ عليك من الأحوال ما ورد. ويكون العلم مصحوبك، فالأحوال تندرج فيك وتنفد. لأنَّ اللّه عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران٧] [٤].

(٦٠٣) قال السريّ للجنيد وهو يحتضر: إياك وصحبة الأشرار، ولا تنقطع عن اللّه بصحبة الأخيار [٥].

(٦٠٤) وقال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ: امتزجْ بالالتباس واختلطْ متلوناً في الإحساس، ومايتغير عنها في الالتباس يؤخذ عنه كأسرع مأخوذٍ ومُختلَسٍ [٦].

* * *

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٣٣٧.
(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٣٣٥.
(٣) النص من **تاريخ بغداد**، البغدادي، مج٧/ ص٢٤٥.
(٤) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٥٧.
(٥) النص من **نفحات الأنس**، للجامي، ورقة٤٧.
(٦) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤٤٩.

تواضع

(٦٠٥) سُئل الجنيد عن «التواضع»؛ فقال: خَفْضُ الجناح للخَلْق، ولين الجانب لهم[1].

* * *

وقت

(٦٠٦) حكي أنّ الجنيد - رضي اللّه عنه - حضر ليلة في جمع من الأصحاب في دار دعي إليها، فلما دخل الدار رأى شخصاً أجنبياً بين الجماعة، فدعاه وأعطاه بردته، وقال له: امض بها إلى السوق وارهنها على منوين من السكر للفقراء. فلما خرج الرجل من بينهم، أغلق الباب دونه وناداه: يا فلان، خُذ البردة ولا ترجع إلى ههنا. فقيل له في ذلك، فقال: اشتريت ببردتي لكم صفاء الوقت في هذه الليلة، بإخراج من ليس منكم من بينكم[2].

(٦٠٧) قال الجنيد - رحمه اللّه -: الوقت عزيز، إذا فات لا يُدرك[3].

* * *

توكل

(٦٠٨) سُئل الجنيد - رحمه اللّه - عن «التوكل» فقال: اعتماد القلب على اللّه تعالى[4].

---

(١) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٤٣، كما ورد في **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١١٥، [يردلفظ «كسر» بدل «لين»]، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٦٤، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٧٧، كما ورد في **عوارف المعارف**، السّهروردي، ص١٤٢ .

(٢) النص من **روض الرياحين**، اليافعي، ص١٨٢ .

(٣) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٤١٨، كما ورد في **الطبقات الصوفية**، السّلَمِيّ، ص١٦١ .

(٤) النص من **اللمع**، الطوسي، ص٧٩ .

(٦٠٩) قال الجنيد: حقيقة التوكل أن يكون [المتوكّل] للّه تعالى كما لم يكن، فيكون اللّه له كما لم يزل [١].

(٦١٠) سأل رجل الجنيد ـ رحمه اللّه ـ عن معنى قول النبيّ ﷺ: لو توكّلتم على اللّه حق توكّله لغذّاكم كما يغذو الطير «تغدو خماصاً وتروح بطاناً» وهو ذا ترى أنّ الطير يطير في طلب الرزق، من موضع إلى موضع، ويتحرك، ويطلب، وينبعث. فقال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ: قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف/ ٧]، وإنما طيران الطير، وحركته من موضع إلى موضع، ونقلته من مكان إلى مكان، من أجل الزينة التي ذكر اللّه تعالى، فقد جعل اللّه تعالى، طيرانهم للزينة، التي ذكر اللّه تعالى، لا لطلب الرزق [٢]..

(٦١١) دخل جماعة على الجنيد ـ رحمه اللّه ـ فقالوا: أين نطلب الرزق؟ فقال: إن علمتم في أي موضع هو، فاطلبوه منه. قالوا: فنسأل اللّه تعالى ذلك. فقال: إن علمتم أنه ينساكم فذكّروه. فقالوا: ندخل بيوتنا فنتوكل؟ فقال: التجربة مع اللّه تبارك وتعالى شك؟ قالوا: فما الحيلة؟ فقال: تركُ الحيلة [٣].

(٦١٢) كان أبو جعفر الحداد، شيخ الجنيد، أحد المتوكلين، وقال: أخفيت التوكل عشرين سنة، ولا فارقت السوق، أكتسب في كلّ يوم ديناراً وعشرة دراهم، [لا] أبيّت منه دانقاً، ولا أستريح فيه إلى قيراط أدخل به الحمام، بل أخرجه كلّه قبل الليل. وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرة أبي جعفر، يقول: أستحي من اللّه أن أتكلم في مقامه، وهو حاضر [٤].

---

(١) النص من **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٢٠، كما ورد في **عوارف المعارف**، السّهروردي، ص٢٩١.

(٢) النص من **اللمع**، الطوسي، ص ص١٦٢-١٦٣.

(٣) النص من **روض الرياحين**، اليافعي، ص٢١٣، كما ورد أيضاً في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٢٧٤، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨٢، كما ورد في **طبقات الشافعية**، الأسنوي، ص٢٦٤، كما ورد في **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٧٦.

(٤) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج٢/ ص٣٢، كما ورد في **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٤/ ص٢٦٨.

(٦١٣) قال الجنيد : كان التوكل حقيقة واليوم هو علم [١].

(٦١٤) وكان الجنيد يقول: أحب للمريد المبتدئ ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث، وإلا تغير حاله: التكسب، وطلب الحديث، والتزوج [٢].

(٦١٥) قال الجنيد: دخلت البادية بعقد التوكّل في وسط السنة، فمضت عليّ أيام فانتهيت إلى مجمع ماء وخضرة، فتوضأت، وملأت ركوتي، وقمت أركع، فإذا بشاب قد أقبل بزي التجار، كأنه قد غدا من بيته إلى سوقه، أو يرجع من سوقه إلى بيته، فسلّم عليّ فقلت: الشاب من أين؟ فقال: من بغداد. فقلت: متى خرجت من بغداد؟ قال: أمس. فتعجّبت منه، وكنت قد مضت عليّ أيام حتى بلغت إلى ذلك الموضع، فجلس يكلّمني وأكلّمه، فأخرج شيئاً من كمّه يأكله، فقلت له: أطعمني مما تأكل. فوضع في يدي حنظلة، فأكلته فوجدت طعمه كالرطب. ومضى، وتركني. فلما دخلت مكة بدأت بالطواف، فجُذب ثوبي من ورائي، فالتفت فإذا أنا بشاب كالشن البالي عليه قطعة عباء، وعلى عاتَقه بعضه، فقلت له: زدني في المعرفة. فقال: أنا الشاب الذي أطعمتك الحنظل. فقلت له: ما شأنك؟ فقال: يا أبا القاسم ذرءونا حتى إذا أوقعونا ، قالوا استمسك [٣].

(٦١٦) لما قدم صوفية أهل البصرة على أبي القاسم الجنيد، بعد وفاة سهل ـ رحمه اللّه تعالى ـ، قال لهم: كيف تعملون في الصوم؟ فقالوا: نصوم بالنهار، فإذا أمسينا قمنا إلى قفَافنا. فقال: آه، آه، لو كنتم تصومون بلا قفَاف كان أتمّ لحالكم [أي لاتسكنونَ إلى معلوم]. فقالوا: لا نقوى على هذا. [ويعلّق المكي في قوت القلوب بقوله: ولعمري إن طريق البغداديين بترك المعلوم من المطعوم أعلى، وهو طريق المتوكلين من الأقوياء. وطريقة البصريين بالمعلوم والتوقيت أسلم من آفات النفوس، وأقطع للتشرّف والتطلّع، وهو طريق المريدين والعاملين] [٤].

* * *

---

(١) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٧ .

(٢) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج١/ ص٥٤٢ .

(٣) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٧٥ .

(٤) النص من **قوت القلوب**، أبي طالب المكي، ج٢/ ص٣٤٣ .

وليّ

(٦[illegible]) يقول الجنيد : من نظر إلى وليّ من أولياء اللّه تعالى ، فَقَبِله وأكرمه ، أكرمه اللّه على رؤوس الأشهاد.[1].

(٦[illegible]) قال الجنيد، ـ رضي اللّه عنه ـ : من صفة الوليّ ألاّ يكون له خوف، لأنّ الخوف ترقّب مكروه يحلّ في المستقبل، أو انتظار محبوب يفوت في المستأنف، والولي ابن وقته، ليس له مستقبل فيخاف شيئاً. وكما لا خوف له، لا رجاء له، لأن الرجاء انتظار محبوب يحصل، أو مكروه يُكشف ، وذلك في الثاني من الوقت. كذلك لايحزن ، لأنّ الحزن من حزونة الوقت. فمن كان في ضياء الرضا وروضة الموافقة أنّي [الأصل: أين] يكون له حزن، كما قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [يونس/ ٦٢]. [2].

(٦[illegible]) كان بعض العلماء يؤثر فقراء الصوفية على غيرهم، فذُكر هذا الكلام لأبي القاسم الجنيد فاستحسنه وقال: هذا كلام وليّ من أولياء اللّه تعالى، ثم قال: ماسمعت منذ زمن كلاماً أحسن من هذا. وبلغني أنّ هذا الرجل اختلّ حاله في أمر الدنيا، حتى همّ بترك الحانوت، فوجّه إليه الجنيد بمال كان صرف إليه، فقال: اجعل هذا في بضاعتك، ولا تترك الحانوت، فإنّ التجارة لا تضرّ مثلك. [ويضيف المكي: ويقال إن هذا الرجل كان بقالاً، ولم يكن يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه] [3].

([illegible]) قال الجنيد: مَنْ حَسُنَت رعايته دامت ولايته [4].

([illegible]) يقول الهجويري: ثم إن الجنيد وأبا العباس السياري وأبا بكر الواسطي ومحمد ابن على الترمذي [. . .] ـ رضوان اللّه عليهم أجمعين ـ، اتفقوا على أن الكرامة

---

(١) النص من **طبقات الصوفية**، السُّلَميّ، ص١٦٢ .

(٢) النص من **كشف المحجوب**، للهجَويري، ص٤٥١ .

(٣) النص من **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، ج٢/ ص ص٢٢٦-٢٢٧ .

(٤) النص من **عوارف المعارف**، السُّهروردي، ص٢٧٨ .

تظهر في حال الصحو والتمكين دون السكر، لأن الله تعالى جعل أولياءه أولياء للعالم، وناط بهم الحل والعقد، وصيّر أحكام العالم موصولة بهمتهم، فوجب أن تكون آراؤهم أصحّ كلّ الآراء، وقلوبهم أشفق كلّ القلوب، وبخاصة على خلق الله، لأنهم واصلون. والتلوين والسكر يكونان في حال الابتداء، فإذا حصل البلوغ تبدّل التلوين بالتمكين، ومن ثمّ يكون الولي ولياً حقاً، وتكون كراماته صحيحة[١].

* * *

يــــاء

يأس

(٦٢٢) قال الجنيد: لا تيأس من نفسك، وأنت تُشفق من ذنبك، وتندم عليه بعد فعلك[٢].

* * *

يقين

(٦٢٣) قال الجنيد ـ رحمه الله ـ اليقين ارتفاع الريب في مشهد الغيب[٣].

(٦٢٤) قال الجنيد ـ رحمه الله ـ اليقين: هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب[٤].

---

(١) النص من **كشف المحجوب**، للهجويري، ص٤٦٢

(٢) النص من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ج١٠/ ص٢٦٧، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٧٩.

(٣) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٩٣، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج/ ٢ ص٢٦٤، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨٢

(٤) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٩٢، كما ورد في **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج/ ٢ص٢٦٤، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٨٠

٦٢٦) سُئل الجنيد عن اليقين فقال: اليقين ارتفاع الشك [١].

٦٢٧) قال الجنيد: سمعت السريّ يقول: اليقين سكونك عند جولان الموارد في صدرك، لتيقنك أن حركتك فيها لا تنفعك، ولا تردّ عنك مقضياً [٢].

٦٢٨) سُئل الجنيد عن اليقين ما هو؟ فقال: ترْك ما تَرى لما لا تَرى [٣].

٦٢٩) قال الجنيد: من لم يصل علمه باليقين، ويقينه بالخوف، وخوفه بالعمل، وعمله بالإخلاص، وإخلاَصه بالمجاهدة، فهو من الهالكين [٤].

٦٣٠) قال الجنيد: اليقين ألاّ تهتمَّ لرزقك الذي كُفيتَهُ، وتُقبل على عملك الذي كُلفته، فإنَّ اليقين يسوقُ إليك الرِّزق سوقاً حثيثاً [٥].

٦٣١) قال الجنيد: حقّ اليقين ما يتحقق العبد بذلك، وهو أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان. ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق، كما أخبر الصدّيق حين قال لما قال له رسول اللّه ﷺ: ماذا أبقيت لعيالك؟ قال: اللّه ورسوله [٦].

٦٣٢) يقول إبراهيم بن فاتك، سمعت الجنيد يقول: متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير؟! هيهات، هذا ظنّ عجيب إلا بما لطف اللطيف، من حيث لادرك، ولا وَهْم، ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان [٧].

٦٣٣) سُئل الجنيد ـ رحمه اللّه ـ أيضاً عن معنى قول النبي ﷺ: رحم اللّه أخي عيسى ـ عليه السلام ـ، لو ازداد يقيناً لمشي في الهواء. فقال: معناه، واللّه أعلم، أن

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص١٠٣، كما ورد في **التعرّف لمذهب أهل التصوف**، الكلاباذي، ص١٢٢.

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٩٤.

(٣) النص من **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ج٢/ ص٢٧٠.

(٤) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨١.

(٥) النص من **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ج١/ ص٥٨١.

(٦) النص من **عوارف المعارف**، السّهروردي، ص٣١٠.

(٧) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٨.

عيسى - عليه السلام - مشى على الماء بيقينه، والنبي ﷺ مشى في الهواء ليلة المعراج، بزيادة يقينه على يقين - عيسى عليه السلام - فقال ﷺ: لو ازداد يقيناً، يعني لو أعطي من زيادة اليقين مثل ما أعطيتُ لمشي في الهواء، يخبر رسول اللّه ﷺ عن حالته.[1].

(٦٣٣) قال الجنيد: قد مشي رجال باليقين على الماء، ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً[2].

---

(١) النص من **اللمع**، الطوسي، ص١٦١

(٢) النص من **الرسالة القشيرية**، القشيري، ج١/ ص٣٩٤، كما ورد في **طبقات الصوفية**، السَّلَمْيّ، ص١٦٣، كما ورد في **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ج٢/ ص٤١٩، كما ورد في **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، للمناوي، ص٥٨٠.

كتب الجُنيد



كتب ومقطوعات

١- كتاب الميثاق .

٢- كتاب دواء الأرواح .

٣- كتاب دواء التفريط .

٤- كتاب أدب المفتقر إلى الله .

٥- كتاب الفناء .

٦- كلام في الألوهية .

٧- في الفرق بين الإخلاص والصدق .

٨- المقطوعة الأولى : في التوحيد .

٩- المقطوعة الثانية : صفة الموحد .

١٠- المقطوعة الثالثة : توحيد الخواص .

١١- المقطوعة الرابعة : عبادة أهل المعرفة .

١٢- المقطوعة الخامسة : العلم والعمل .

١٣- المقطوعة السادسة : الحق والحقيقة .

١٤- المقطوعة السابعة : مقام الاصطناع .

١٥- المقطوعة الثامنة : كنت بلا أنت .

١٦- المقطوعة التاسعة : المعرفة .

١٧- المقطوعة العاشرة : الوصول .

١٨- المقطوعة الحادية عشرة : العباد .

الكتاب الأول (*)

كتاب الميثاق(**)

الحمد للّه الّذي جعل ما أنعم على عباده من إبزاغ نعمته دليلاً هاديًا لهم إلى معرفته، بما أفادهم به من الأفهام والأوهام الّتي يفهمون بها رَجْع الخطاب؛ أحمده دائمًا ديموميًا، وأشكره شكرًا قائمًا قيّوميًا(1). وأشهد أنّ لا إله إلا اللّه الفرد الفريد الأحد الوحيد الصّمد القدّوس، وأشهد أن محمّدًا ﷺ الكامل بالنّبوّة والتّام للرّسالة، ـ صلى اللّه عليه وعلى آله أجمعين ـ.

ثمّ إنّ للّه عزّ وجلّ صفوة من عباده وخلصاء من خلقه، انتخبهم للولاية، واستخلصهم للكرامة، وأفردهم به له. جعل أجسادهم دنيويّة(2) وأرواحهم نورانيّة، وأوهامهم روحانيّة، وأفهامهم عرشيّة، وعقولهم حجبيّة. جعل أوطان أرواحهم غيبيّة في مغيب الغيب. جعل لهم تسرّحًا في غوامض غيوب الملكوت. ليس لهم مأوى(3) إلاّ إليه، ولامستقر إلا عنده.

أولئك الّذين أوجدهم لديه في كون الأزل عنده ومراكب الأحديّة لديه؛ حين دعاهم فأجابوا سراعًا، كرمًا منه عليهم وتفضّلاً؛ أجاب به عنهم حين أوجدهم، فَهْم الدعوة منه؛ وعرّفهم نفسه حين لم يكونوا إلا مشيئة أقامها بين يديه؛ نقلهم بإرادته، ثم جعلهم كذَرّ، أخرجهم بمشيئته خلقًا، فأودعهم صلب آدم ـ عليه

(*) الكتاب الأول: نشر عبد القادر ص ص٤٠-٤٣؛ والمخطوط ٢٢٦ ق ق ٥٨أ-٦٠أ، والمخطوط ٢٢٧ ق ق ٥٨أ-٦٠أ.

(**) ورد كتاب الجنيد هذا في المخطوط بعد هذه العبارة: «ومن كلام الجنيد ـ رحمه اللّه ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ [الأعراف/ ١٧٢] » ولكن قال كاتبه: «يليق بهذا الكتاب أن يسمى (كتاب الميثاق)»، ولسهل رحمه اللّه كلام في ذلك سمي بكتاب الميثاق.

(1) خ: قيموميًا. (2) خ: دنيابية. (3) خ: مأوا.

السلام ـ، فقال جلّ وعزّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف/ ١٧٢]، فقد أخبر جلّ ذكره أنه خاطبهم وهم غير موجودين إلا بوجوده لهم، إذ كانوا واجدين للحقّ من غير وجودهم لأنفسهم، فكان[١] الحقّ بالحقّ في ذلك موجوداً بالمعنى الذي لا يعلمه غيره، ولايجده سواه. فقد كان واجداً[٢] محيطًا شاهداً عليهم، برأهم في حال فنائهم، الذين كانوا في الأزل للأزل، أولئك هم الموجودون الفانون في حال فنائهم الباقون في بقائهم؛ أحاطت بهم صفات الربانيّة وآثار الأزليّة، وأعلام الديموميّة. أظهر[٣] هذه عليهم لمّا أراد فناءَهم[٤]، ليديم بقاءهم[٥] هناك، وليفسّحهم في علم الغيب غيبه، وليريهم غوامض مكنونات علمه ويجمعهم به.

ثمّ فرّقهم، ثمّ غيّبهم في جمعهم، وأحضرهم في تفريقهم، فكان غيبهم سبب حضورهم، وحضورهم سبب غيبهم. اختطفهم بالشّواهد البادية[٦] منه عليهم حين أحضرهم، واستلبهم عنها حين غيّبهم. أكمل فناءهم[٧] في حال بقائهم، وبقاءهم[٨] في حال فنائهم.

أحاطت الأمور بهم حين أجرى عليهم مراده من حيث يشاء، بصفته المتعالية التي لا يُشارك فيها. فكان[٩] ذلك الوجود أتمّ الوجود، وهو أولى وأعلى وأحقّ بالقهر والغلبة وصحة الاستيلاء على ما بدا منه عليهم، حتّى يمحي أثرهم ويمتحي رسومهم ويذهب وجودهم؛ إذ لا صفة بشريّة، ولا وجود معلومية، ولا أثر مفهومية؛ إنّما هي تلبيسات[١٠] على الأرواح ما لها من الأزليّة؛ ذوق وجود نعيم لا كالنّعيم؛ مستحيلة في المعاني، متّفقة الأسامي، متصادقة في ذوق نعيمها، متلوّنة في رسوم شواهدها. تبدو[١١] بنعيمها في طوالع شواهدها، وتتلوّن في ذوق مرارات طعمها. لَهِجُ أفكارهم في محبوبهم، وتذمّت أذكارهم في أسرارهم. هاجت عليهم عند ذلك بحار الغيرة تتلاطم أمواجها، عَظُم البلاء عند تصفّحهم لواردها، واضمحلّت نفوسهم عند توقعهم إيّاها، وقام عليهم كلّ معلوم نكرا،

---

(١) خ: كان. (٢) خ: وافراً. (٣) خ: ظهر. (٤) خ: فناهم. (٥) خ: بقاهم.
(٦) خ: البادي. (٧) خ: فناهم. (٨) خ: بقاؤهم. (٩) خ: كان. (١٠) خ: ملبوسات.
(١١) تبدوا.

وثبت كلّ نكر معلومًا. برزوا بعلم الحقيقة لدي[1] الحقّ؛ حين أوجدهم حقيقة الحقّ نسبة منه لا إلى الواجد لها[2]؛ كان ذلك كمال الجهد لديه. ثمّ لم يجعل لبلائهم أسامي فيستريحون، ولا لجهدهم معلومًا فيتنعّمون. شغل بعضهم عن بعض، وأفرد بعضهم عن بعض، فهم في حضورهم فَقْد، وفي متعهم بالمشاهدة كمال الجهد، لأنّه قد محي عنهم كلّ رسم ومعنى يجدونه[3] بهم، ويشهدونه[4] من حيث هم، لما استولى عليهم فمحاهم وعن صفاتهم أفناهم. وإنما معنى ذلك أن تؤدّي الحقيقة من الحقّ ما يشاء، كيف أثبت بهم وعليهم، وقام عنهم بما لهم، وثبّت دواعي[5] ذلك عليهم وفيهم من جنس كماله وتمامه، فوجد النّعيم من غير جنس النّعيم، ووجد البلاء في معلوم النّعيم، ووجد الوجود في غير سبيل الوجود، باستتار الحقّ واستيلاء القهر. فلما فقدت الأرواح النعيم الغيبيّ الّذي لا تحاسّه النفوس ولا تقارفه المحسوس، ألقت فناها عنها، وطرحتهم في مفاوز مهلكات بلواها، ثم ألفت بعد إلفهم للفناء فناء، لأن لا يجدوا طعما معلوما، ولايستريحوا إلى موجود، امتلأبهم بلاإشارة إلى صفاتهم، ولارسوم من رسوم المواصفات، ولاالبواعث منه إليها، وامّتحت شواهده في الآثار حين لايوجد السّبيل إلى درك الشّفاء على خالص الوجود المستولي عليه من الحقّ تعالى، كذلك من في صفته العليا وقوّة شاهده بوارد سلطانه؛ وإنما جرت سنّة البلاء على أهل البلاء حين جاذبوا وأقاموا[6]، وثبتوا ولم ينخدعوا.

أقيم عليهم ما محقهم في نفس القوّة وعلوّ المرتبة وشرف المنزلة وسناء النّسبة، ثم أحضرهم الفناء في فنائهم، وأشهدهم الوجود في وجودهم، فكان ما أحضرهم منهم وأشهدهم الوجود في وجودهم[سترًا خفيًا وحجابًالطيفًا]، أدركوا به عظيم الفقد وشدّة الاستينار ما لايليق به العلم ولا[تليق]الآثار بصفته، فطالبوه فيما كان مطالبهم، ومانعوه ما كان مانعهم، وتعرّفوا منه ما عرفوه إليهم لا بهم، حلّوا بمحلّ القوّة، ونالوا حقائق الحظوة، وتعالوا إلى حقيقة الحضرة، فأقام عليهم شاهداً منه فيهم، وأدركوا منه به ما أدركوا، وأوقف كلّ واحد منهم عند إدراكه، وأفرد كل ماانفرد منه تعالى اللّه عن صفة الخلائق، وعزّ أن تشتبه به الخلائق علواً كبيراً.

---

(١) لداد. (٢)خ: واجدة إليه، نشر عبد القادر: الواحد لها.
(٣) يجدوه. (٤) يشهدوه. (٥) دواع. (٦)خ: وقالوا.

الكتاب الثاني

كتاب دواء الأرواح (*)

الحمد لله الذي أبان بواضح البرهان، لأهل المعرفة والبيان، ما خصّهم به في قديم القدم، قبل كون القَبْل، حين لا حين، ولا حيث، ولا كيف، ولا أين، ولا لا حين، ولا لا حيث، ولا لا كيف، ولا لا أين. إذ جعلهم أهلاً لتوحيده، وإفراد تجريده، والذّابّين عن ادّعاء إدراك تحديده، مُصطَنَعين لنفسه، مصنوعين على عينه، ألقي عليهم محبّةً منه له، ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه/ ٤١]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه/ ٣٩]، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه/ ٣٩]. فَمَا جدُ[1] أوصاف من صنعه لنفسه، والمصنوع على عينه، والمُلْقي عليه محبّة منه له، أَن لا تستقر له قدم علم على مكان، ولا موافقة عقل على استقرار فهم، ولا مناظرة عزم على تنفيذ همّ.

هم الذين جرت بهم المعرفة حيث جرى بهم العلم، إلى لا نهاية، غاية غاية. خنست العقول، وبارت الأذهان، وانحسرت المعارف، وانقرضت الدّهور، وتاهت الحيرة في الحيرة، عند نعت أوّل قدم نُقلت لموافقة وصف محل لمحة مما جرت عليهم به العلوم، التي جعلها لهم به له، هيهات ذاك له ما له به عنده، فأين يذهبون.

(*) هذا الكتاب نشره آربري مع ترجمة بالانكليزية، لم أطلع عليه[را. دلادريير ص٣٢] .لذلك أنشره بالرجوع إلى نسخة مخطوط اسطنبول التي اعتمدها د. على حسن عبد القادر وهي ضمن مصورات معهد المخطوطات– القاهرة –، رقم ٢٢٦–٢٢٧ . الورقات من٥٢أ– إلى ٥٤أ. علما بأن هذا الكتاب لم ينشره على حسن عبد القادر ضمن كتابه: «**رسائل الجنيد**».

(١) فماجد: فمن أمجد أوصاف، فأفضل.

أما سمعت علم طيّه لما أبداه، وكشفه لما واراه، واختصاصه لسرِّ الوحي لمن اصطفاه. ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم/ ١٠]. ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم/ ١١]، ﴿بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ﴾ [النجم/ ٧].

شهد له أنه عبده وحده، لم يَجْرِ عليه استعباداً لغيره، بخفيّ ميل همّة، ولا إلمام شهوة، ولا محادثة نظرة، ولا معارَضة خطرة، ولا سبق حقّ بلفظة، ولا سبق أهل بنطقة، ولا روية حظ بلمحة. أوحي إليه حينئذ ما أوحي، هيّأه لفهم ما أولاه بما به تولاه، واجتباه لأمر فحمل ما حُمِّل، فحملَ. ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم/ ١٠]، ﴿... بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ﴾ [النجم/ ٧]، ضاقت الأماكن، وخنست المصنوعات عن أن تجري فيها، أو غلبها وحيٌ ما أوتيَ إلاّ بالأفق الأعلى، ﴿إِذْ يَغْشَي السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم/ ١٦]، نظر من خلال نظره من غير منظوره إلى السّدرة، حيث غشّاها ما غشّى، فثبتت لمَا غشّاها.

وانظر إلى الجبل، حيث جعله لجلالهَ دكًّا، وخرَّ موسى صعقا، فلما أفاق قال: سبحانك تبت إليك أن أعود لمسألتك الرّؤية بعد هذا المقام، إلى إكباره ما فرّط من سؤاله، وإلى أن العلم لو صادف حقيقة(١) في وقت المسألة لم يكن القول سائغًا يليق به. وفي هذا المكان علم ليس حقه الرسم، ولا يليق بالكتب.

وانظر إلى إخباره عن حبيبه، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم/ ١٣-١٤]. والعند ههنا لا يقتضي مكانًا، إنما يقتضي وقت كشف علم الوقت.

فانظر إلى فضل الوقتين، ومختلف المكانين، وفَرْق ما بين المنزلتين في العلوّ والدّنوّ، ولذلك فضّلَت عقول المؤمنين من العارفين، فمنها ما يطيق خطاب المناجاة مع علم قرب من ناجاه وأدناه، فلا يستره في الدّنوّ علمُ الدنوّ، ولا في العلوّ علم العلوّ. ومنها ما لايطيق ذلك، فيجعل الأسباب هي المؤدية إليه الفهم، وبها يستدرك الخطاب، فيكون منه الجواب، ولا تقف عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى٥١/].

---

(١) في النص حقيقة وفي الحاشية حقيقته.

وهذه أماكن يضيق بسط العلم فيها، إلا عند المفاوضة لأهل المحاورة، وفي الاشتغال بعلم مسالك الطرقات المؤدّية إلى علوم أهل الخالصة، الذين خلوا من خلواتهم، وبرئوا من إراداتهم، وحيل بينهم وبين ما يشتهون، وعصفت بهم رياح الفطنة، فأوردتهم على بحار الحكمة، فاستنبطوا صفو ماء الحياة، لا يحذرون غائلة، ولا يتوقعون نازلة، ولا يشرهون إلى طلب بلوغ غاية، بل الغايات لهم بدايات.

هم الذين ظهروا في باطن الخلق، وبطنوا في ظاهرهم. أمناء على وحيه، حافظون لسره، نافذون لأمره، قابلون بحقه، عاملون بطاعته، يسارعون في الخيرات، وهم لهم سابقوه، جرت معاملتهم في مبادي أمورهم، بحسن الأدب فيما ألزمهم القيام به من حقوقه، لم تبق عندهم نصيحة إلا بذلوها، ولا قربة إلا وصلوها.

سمحت نفوسهم ببذل المهج عند أول حقّ من حقوقه في طلب الوسيلة إليه، فبادرت غير مبقية ولا مستبقية، بل نظرت إلى أن الّذي عليها في حين بذلها أكثر ممالها بما بذلت، لوائح الحقّ إليها مشيرة، وعلوم الحقّ لديها غزيرة، لا توقفهم لائمة عند نازلة، ولا تثبطهم رهبة عند فادحة، لا تبعثهم رغبة عند أخذ أهبة، حافظون لما استحفظوا من كتاب الله ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة/ ٤٤]، إذ عرَّج بهم اللجأ عند القيام بواجب إلى طلب الاستعانة لإتمام ما قُلِّدوه، لم ينجهم الإصغاء إلى المناصحة ما بقيت منهم بقية حياة موجودة، إشفاقًا من دخول الوهم مع وجود العلم. بواجب الحقوق إلى حقوقها، نزل التّوقف عن استقبال المبادرة في حين الأمر بالسّعي، ليكون الفعل عقيبًا للأمر، بلا فصل محدود يعلم في غير صفة الأمرية.

وهذه صفات أهل الموالاة[1] من أهل المصافاة، الدائم نظرتهم إلى ما يجري بهم القول، مما ألزم حقّ العبوديّة في الرهبانيّة، الّذي وقع الذّم لمن التزمها، ولم يقم

---

(١) في الأصل: الموالات.

بواجب حقّها بترك رعايتها، فسبقت نفوس العاملين إلى ما لهم بعملهم[1]، فاحتجبوا برؤية ما لهم بعملهم[2]، عمّا لهم بعلم عملهم[3]، عما لهم بالإنعام عليهم بكشف علم عملهم[4]. فتكاثفت الحجب بالحجب عن كشف علوم الحجب، فأقاموا تحت التغطية. وبعد الخروج من هذه الأماكن تبدو[5] علوم كشف التغطية، لقد كنت في غفلة من هذا ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ [ق/ ٢٢]، ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق/ ٢٢].

وَقْف على حدود الأشياء بكشف باريها لها، وما ألبسها من نور الصّنعة، وزهرة الإرادة بنفاد القدرة على جمعها، وتفريقها، ومجازها، وتحقيقها، قال تعالى: ﴿... وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة/ ٢٥٦].

وصلّى اللّه على محمّد النبيّ المكرّم المطهّر، المفضّل، المرحوم وعلى آله وصحبه، وعترته الأطهرين الطيّبين، الأخيار النجباء، الأبرار، والحمد للّه ربّ العالمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) صححت في الحاشية: بعلمهم.
(٢)في الحاشية: بعلمهم.
(٣)في الحاشية: علمهم.
(٤) [الحاشية: علمهم]..
(٥) في الأصل: تبدوا.

الكتاب الثالث

كتاب دواء التفريط(*)

قال الشّيخ أبو القاسم الجنيد بن محمد ـ رحمه اللّه ـ:

خصّك اللّه لطاعته، وهيّأك لموافقته، وجعلك من أهل ولايته، وانتخبك لمحبته، وأسرع بك إليه، وأوقفك على علم مراده، واستعملك بعلم ما أرادك له، وعوّدك الإصغاء إلى استنباط الفهم عنه، وحال بينك وبين العوارض القاطعة والعلائق المانعة، وجعل أقوالك لديه مرضيّة وعنده زاكية، وكفاك مؤونة كل شاغل عنه، وهيّأك لخدمته، وروّحك بتفويض الأمر إليه، وحال بينك وبين كل ممتنع عليك في الطريق المسلوك إليه، وجعل لك على كل همّ لا يسعدك في طلب مايرضيه من لدنه سلطانًا نصيرًا، إنه ولي الإنعام وكافي المهمات(١).

وينبغي(٢) للعاقل ألا ينفقد(٣) من إحدى ثلاثة مواطن: موطن يعرف فيه حاله أمتزايد(٤) أم منتقص، وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه من إلزامها مايلزمها، ويتقصّى فيه على معرفتها(٥)، وموطن يستحضر عقله برؤيته التّدبير، وكيف تختلف به(٦) الأحكام، في آناء الليل وأطراف النهار. ولن

(*) نشر هذه الرسالة وحققها على حسن عبد القادر عن مخطوطة برمنجهام بانكلترا.

Mi-gnona Arabic collection (sêlly oak library) No.905 Folios 109-119.

والجزء الأول منها موجود في كتاب **حلية الأولياء** لأبي نعيم الأصبهاني ٧/ ٢٧١-٢٧٣ . وقد تمت المقارنة بينهما في الحاشية ويرمز بالحرف (ح) إلى كتاب الحلية.

(١) زيادة ليست موجودة في **حلية الأولياء**. (٢)ح: ينبغي. (٣)ح: يفقد.

(٤)ح: أمزاد. (٥) زيادة في (ح). (٦)ح: تقلب فيه.

يصفو عقل لا يصدر إلى فهم هذا الحال الآخر[1] إلا بإحكام ما يجب عليه من إصلاح الحالين الأوّلين.

فأما الموطن الّذي ينبغي له[2] أن يعرف فيه حاله أمتزايد[3] هو أم منتقص، فعليه أن يطلب مواضع الخلوة لكي لا يعارضه شاغل[4]، فيفسد عليه ما يريد إصلاحه، ثم يتوجه إلى موافقة ما ألزم من تأدية الفرض[5]، الذي لا يزكو حال قربه إلا بإتمام الواجب من الفرائض. ثم ينتصب انتصاب عبد بين يدي ربه[6]، يريد أن يؤدّي إليه ما أمر بتأديته، فحينئذ ينكشف[7] له من[8] خفايا النفوس المتوارية، فيعلم أهو ممن أدّي ما وجب عليه أم لم يؤدّ. ثم[9] لا يبرح[10] من مقامه ذلك حتى يوقع له العلم برهان[11] ما استكشفه بالعلم، فإن رأى خللاً أقام على إصلاحه ولم يجاوزه[12] إلى عمل سواه. وهذه أحوال أهل الصدق في هذا المحل ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران/ ١٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج/ ٤٠].

وأما الموطن الذي يخلو فيه بتأديب نفسه ويتقصّى فيه حال معرفتها، فإنه ينبغي لمن عزم على ذلك وأراد المناصحة في المعاملة، فإن النفوس ربما خبت فيها منها أشياء، لا يقف على حد ذلك إلا من بصر[13] ما هنالك، في حين حركة الهوى في محبّة فعل الخير المألوف. فإنّ النّفوس[14] إذا ألفت فعل الخير صار خُلُقًا من أخلاقها، وسكنت إلى أنّه[15] موضع لما أهّلَت له[16]، وارتدت به. وترى أن الذي جرى عليه من فعل ذلك فيها هي له أهل، ويرصدها العدو المقيم بفنائها والمجعول له السبيل على مجاري الدّمّ فيها، فيرى هو بقوّة كيده[17] خفية غفلتها، فيختلس بمايلة الهوى[18] ما لا يمكنه الوصول إلى اختلاسه في غير تلك الحال،

(١)ح: الأخير. (٢) زيادة في(ح). (٣)ح: أمزاد. (٤)ح: مشغل.
(٥)ح: الفرص. (٦)ح: سيده. (٧)ح: تكشف. (٨) من ليست في(ح).
(٩) «ثم ليست في الأصل. (١٠) الأصل: يتجاوز. (١١)ح: ببرهان.
(١٢) الأصل: يتجاوز. (١٣)ح: تصفح. (١٤)ح: النفس.
(١٥)ح: أنها. (١٦) الأصل: لها. (١٧)ح: هو بكيده. (١٨)ح: فيحتلس منها بمساءلة.

فإن تألم لوكزته منه وعرف نفسه[١] أسرع بالإنابة[٢] إلى من لا تقع الكفاية منه إلا به، فاستقصى من نفسه علم الحالة[٣] التي منها وصل عدوه إليه،

فحرسها بلياذة اللجأ، وإلقاء الكنف، وشدة الافتقار، وطلب الاعتصام. كما قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إبراهيم عليهم السلام[٤] ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف/ ٣٣].

وعلم يوسف أن كيد الأعداء مع قوّة الهوى لا ينصرف بقوّة[٥] النفس ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف/ ٣٤].

وأمّا الموطن الّذي يستحضر فيه عقله لرؤية مجاري الأحكام وكيف يقلّبه التدبير، فهو أفضل[٦] الأماكن، وأعلى المواطن، فإن اللّه أمر جميع خلقه أن يواصلوا عبادته، ولا يسأموا خدمته، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات/ ٥٦]، فألزمهم دوام العبادة[٧]، وضمن لهم عليها في العاجل الكفاية، وفي الآجل[٨] جزيل الثّواب، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج/ ٧٧]. وهذه كلّها عبادة تلزم كلّ الخلق. ووقف ليري كيف تصرف الأحكام، فقد[٩] عرض لرفيع العلم والمعرفة، ألا تعلم[١٠] أنه قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن/ ٢٩]، يعني شأن الخلق.

وأنت أيّها[١١] الواقف لترى[١٢] أنّك[١٣] من الخلق الّذي هو في شأنهم، أفترى[١٤] شأنك[١٥] مرضيًّا عنده؟ ولن يقدر أحد على استحضار عقله إلاّ بانصراف الدّنيا وما فيها عنه[١٦]، وخروجها من قلبه.

---

(١) في الأصل فإن المرء لو عرف. (٢) ح: بالأمانة. (٣) ح: الحال.

(٤) ح: كما قال النبي ابن النبي، الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، كذا قال النبي ﷺ: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن ـ عليهم السلام ـ».

(٥) الأصل: بقوى. (٦) الأصل: أعز. (٧) ح: عبادته. (٨) ح: الأخرى.

(٩) ح: وقد. (١٠) ح: يعلم. (١١) زيادة من (ح). (١٢) ح: أترى.

(١٣) زيادة من (ح). (١٤) ح: أو ترى. (١٥) الأصل: سائلاً. (١٦) زيادة من (ح).

فإذا انقضت الدنيا، وبادت وباد أهلها، وانصرفت عن القلب، خلا بمسامرة رؤية التّصرف واختلاف الأحكام وتفصيل الأقسام. ولن يرجع قلبُ مَنْ هذا وصفه إلى شيء من الانتفاع بما[١٧] في هذه الدار[١٨] التي عنها خرج، ولها ترك، ومنها هرب؛ ألا ترى إلى حارثة حين يقول: عزفت نفسي عن الدنيا، ثم يقول: وكأنّي أنظر إلى عرش ربي بارزًا، وكأنّي بأهل الجنة يتزاورون وكأنّي . . . وكأني[١٩] . . .

وهذه بعض أحوال القوم[٢٠]، فاحرص يا أخي على العمل في نجاة نفسك، وخلاصها، وعتقها من رقّ مذلّة الهوى، والانقياد إلى مسامرة أهل الدّنيا، فقلّ نفس ذاقت من سهو الغفلة قطرة إلا أورثها ذلك قسوة أسكرت العقل، وأذهلت المعرفة، وجعلت للفتنة مدخلاً خفيفًا. فمن رفع ستر الآفات انكشف له ستر الانطواء، ولم يتروّح نسيم لذّة المعاملة.

ولقد فاز قوم نظر إليهم وليّهم فدلّهم على مختصر الطّريق، وأوقفهم على محجّة النّجاة، وألاح لهم خفيّ فهم الدّعوة إلى المسارعة، بالمناقشة عند فهم الخطاب، إذ يقول عزّوجلّ: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران/ ١٣٣]، فنهضت العقول مستحثّة للجوارح، بحسن التّوجه لإقامة ما به يحظون عند من استجابوا لدعوته، وقرّت العيون بما أورد على قلوبهم من السّرور بالخلوة، به خلا بين أناس أكياس، لا يرهبون في الطريق إليه غيره، ولا يتوسّلون إليه إلا به، ولا يسألونه شيئًا غير إدامة التّمتع بخدمته، وحسن المعونة على موافقته.

قد أيست منهم الأعداء، وأماتت عنهم الخشية الهوى، وأقرّت بهم عيون الأحباء، لا يرون نائلاً هو أعظم مما نالوا، ولايبتغون بما أنعم عليهم بدلاً، ولايريدون عنه حولاً، صفّاهم العلم، وأدّبتهم المعاملة، وأعزّهم الانقطاع إلى اللّه تعالى، وأغناهم عمن سواه.

---

(١٧) الأصل: ممّا. (١٨) زيادة في الأصل. (١٩) زيادة في (ح).
(٢٠) هذا آخر ما جاء من الرسالة في **حلية الأولياء**.

هم طلبة اللّه وطلاّبه، ومحبّو اللّه وأحبّاؤه، هاموا شوقًا إلى رؤيتهم، وحسرة على مفارقتهم، وسرّوا بمحادثتهم، أرادهم اللّه فأرادوه، وطلبوا اللّه فوجدوه.

فمن أراد النجاة فليتعجّل روح الحياة، بطلب الوصول إلى مناه، فإنّ اللّه منية الأولياء، وبغية العقلاء، وطلبة الأصفياء؛ ولولاه مااهتدوا إليه، ومن ذكرهم دلّهم عليه، لم يتعسّفهم فيما ألزمهم، ولم يحمّلهم ما لا يطيقونه، وخلاصهم من العذاب الوبيل، ودلّهم على سبيل الشّكر المرضيّ عنده، وألّف بينهم وبين النظراء من الأشباه والأشكال، وصان قلبهم وأبصارهم وأسماعهم عن الدنوّ إلى الخناء، واتّقوا من محادثة شيء منها، مما يفنى، ولم يخلّهم ونفوسهم، ولم يؤاخذهم بتقصيرهم، بل أنعم عليهم بجميل قبول العذر في حين القبول، وتجاوز لهم عمّا عجزت عنه أبدانهم، وأوقفهم على جميل الصّحبة، وكثرة الأيادي بالحفظ بالأمم السابقة بحسن التثقيل، وهانت عليهم مصائب الدنيا، وألفوا ما اختار لهم وليّهم، قربانهم التّقديس والتّسبيح والتّحميد والتّهليل، وراحتهم وقرّة عيونهم في مناجاتهم، فما يصدّون عند لقائه في معادهم. وإنما قطع الخلق عن اللّه ـ عز وجلّ ـ اتّباعهم الأهواء، وطاعتهم الأعداء، ومحادثتهم لزهرة الحياة الدنيا، وإيثارهم ما يفنى على ما يبقى.

فبادر يا أخي إلى إصلاح ما مضى من العمر، وما ضاع منه بالسهو والغفلة والتفريط والتواني، لحفظ ما أبقى عليك منه بالانزعاج والخوف والجدّ والحذر، قبل فوات أوان الوقت، ونزول الموت. فإنه لا يرضى عمّن بقي إلا بمثل العمل الذي به رضي عمّن سلف، فاسع في فكاك الرقّ بترك ملابسة العلائق الشاغلة. فإنّ للّه يومًا يُبرز فيه الخبايا، وتبدو فيه الأعمال، يوم لا يثق فيه شهيد ولا صدّيق بعمله، ولا يرجو فيه أحد إلا التّجاوز والعفو من ربّه، يوم تكثر فيه النّدامة، وتقوي فيه الملامة. فالآن ما دام العذر مقبولاً، والوقت مبسوطًا، والعمل ممدودًا، والتّوبة مقبولة، والذّنب تمحوه الإنابة، والنّدم والقول فيه مسموعًا، والخير فيه متبوعًا، والحقّ بيّنًا، والطّريق واضحًا، والحجّة لازمة، فلله الحجّة البالغة، ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النحل/ ٩]

وآثار مشيئة الهداية بيّنة عند أهل الهدى، فمن علامة من نعته، سهولة الطاعة، ومحبّة الموافقة، ورؤية النّفس بعين العجز، والانقطاع عن القيام بالواجب، أو الموالاة والمؤاخاة والمصافاة والمحبة والمواساة، والإيثار على النفوس لأهل القرب، والمواصلة في ذات اللّه عزّ وجلّ؛ والمعاونة لأهل الولاية، والذّبّ عن حَريم الحقّ، والتّراضي بالصّبر على ما تقدّم من الأمر، والاستخفاف وخفّة المؤن، والتّعلل والتّجرّي والتّحرّي، ومدافعة الأوقات، والوقوف على حدّ الأمر في إدخال السرور عليهم ومخالطتهم ومجالستهم، وترك التّرفّع عليهم، فيهم أوصي اللّه تعالى لنبيه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ، فقال: ﴿ **وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [الكهف/ ٢٨].

جعلنا اللّه وإياكم ممن عرف حقّ اللّه فاستعمله، واشتغل به ولم يشتغل عنه، وحفظ علينا وعليك ما استرعانا، وأحسن معونتنا وإيّاك على أداء الشّكر ودوام الذّكر، إنه وليّ الإحسان، وموعد العبيد الجنان، وواعدهم بالنيران.

تمّ الكتاب بحمد للّه ومنّة، وصلّى اللّه على سيدنا محمّد وآله وسلّم.

الكتاب الرابع

أدب المفتقر إلى الله

ويليه: خاطر الخير(*)

سئل الشّيخ أبو القاسم ـ رحمه اللّه ـ عن أدب المفتقر إلى اللّه عزّ وجلّ. فقال: «أن ترضى عن اللّه عزّ وجلّ في جميع الحالات، ولا تسأل أحدًا سوى اللّه تعالى».

* * *

وسئل عن خاطر الخير، هل هو شيء واحد أو أكثر. فقال:

قد يقع الخاطر الداعي للطاعة على ثلاثة أوجه: خاطر شيطانيّ باعثه وسوسة الشّيطان(1). وخاطر نفسانيّ باعثه الشّهوة وطلب الراحة. وخاطر ربّانيّ وباعثه التّوفيق.

وتشتبه هذه الخواطر في الدّعاء إلى الطّاعة، ولا بدّ من تمييزها لإعمال الصواب منها، لقوله عليه الصلاة والسّلام: «من فُتح له باب من الخير فلينتهزه». ولا بدّ من ردّ الآخرين(2)، أما الشّيطانيّ فبقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف/ ٢٠١]،

(*) الكتاب الرابع. نشر عبد القادر ص ص٥٨-٦٢؛ والمخطوطان ٢٢٦ و٢٢٧ ق ق٦٦ب-٦٩ب. وفي هذا النص يخصص الجنيد سطرين للكلام على أدب المفتقر إلى اللّه، ثم يفرد لخاطر الخير الصفحات الباقية.. لذلك ارتأيت أن أجعل عنوان الكتاب مطابقًا لمضمونه فأضفت العنوان الثاني إلى الأول الوارد في المخطوط.

(1) خ: للشيطان.

(2) أي نقبل الخاطر الرباني الذي هو الصواب ونرد الآخرين، أي الشيطاني والشهواني.

والشّهواني الذي هو خاطر النفس بقوله ﷺ : «حُفَّت النار بالشهوات» . ولكلّ واحد من هذه الخواطر علامة يتميّز بها عن صاحبه .

الخاطر النفساني:

أما الخاطر النّفساني فباعثه الشّهوة، وطلب الراحة. والشّهوة تنقسم إلى نفسانيّة كمحبّة العلوّ والجاه والتّشفّي عند الغيظ وإصغار المعاند وأمثال ذلك، وإلى جسمانيّة كالطعام والشّراب والنكاح واللّباس والنّزه وأمثال ذلك.

وللنّفس احتياج إلى هذه الملاذ بحسب بعدها عن كلّ واحد منها، وشدّة توقانها إلى كلّ جنس جنس منها.

فلخاطر النفس منها علامتان قائمتان مقام شاهد عَدْل على تمييز الخاطر المختصّ بها:

أحدهما حضور هذا الخاطر عند احتياجها إلى بعض هذه الأشياء المشتبهات: مثل حضور التّزويج عند شدّة حاجتها إلى النكاح، وتلبيسها ذلك عليه بأنّ قصدها إعمال قوله ﷺ : «تناكحوا تناسلوا فإنّي مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»، وتجنّب قوله ﷺ : «لا رهبانية في الإسلام». ومثله في الطعام عند شدّة حاجتها إليه، فربّما لبّست عليك هذا بدعائك إلى ترك الصيام أو تناول بعض المشتهيات، بأن تقول إنّ في سرد الصيام إضعاف النفس عن الأمر المحتاج إليه في الطاعات، [و إنّ] في ترك تناول هذا الطعام المشتهى ما كسر قلب المسلم إذا دعي إليه الصّديق، [أو] قلب العيال إذا كان مما جلبته أنت لعيالك. وربما خدعتك بلون آخر، بأن تقول لك إكسر هذه الشهوة بتناولها هذه الكرّة لئلا يلجّ عليك هذا الخاطر فيشوّش عليك عبادتك، وأمثال ذلك في سائر الشبهات[٣].

كلّ هذا من تلبيسها وتدليسها. ومثله عندما تكدّها بالعبادة، وتُلزمها على

---

(٣) خ: المشهيات..

الكراهية الطاعة، فتختار لك نَهْي النبيّ ﷺ عن التّبتّل، وعن إتعاب النَّفس، مثل قوله عليه الصلاة والسّلام: «اكلفوا من العمل ما تطيقون»، ومثل قوله عليه الصلاة والسّلام: «إنّ المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقي». بل ربّما دعتك عند إكثارك إتعابها ومنعها شهواتها، إلى ما فيه إهلاكها رأسًا أو منعها من تصرفاتها، فتحمّلك إلى ما يؤدّي إلى القتل أو السجن وأمثال ذلك، لما يتخيّل في هاتين الحالتين من الرّاحة وزوال التعب عنها.

فأحد الشاهدين في هذا الباب: أن يكون قد تقدّم لها الكدّ والإتعاب عند طلبها الراحة، وتقدّم لها الحاجة إلى الشيء المشتهى عند باعث الشهوة. فيعتبرها بهذين الحالين، فإن كان قد تقدّم أحد هاتين الحالتين، علمتَ أنّ الخاطر من النفس، وحاجتها إلى ذلك هو الّذي حرّكها إلى الدّعاء إليه، ومجموع ذلك أن يكون الخاطر شهوانيًا، أو لطلب الراحة، فالغالب على هذا الخاطر أنه من النفس.

والشّاهد الثّاني: إلحاح بهذا الخاطر وعدم انقطاعه، حتّى يأتي مواليًا، كلّما جاهدتَ في دفعه عن نفسك ألحَّ عليك ولجّ، ولا ينفع فيه الاستعاذة ولا التّخويف ولا التّحذير ولا التّرغيب، بل هو ملحّ دائم الإلحاح، فهذا من أكبر الدّلائل على أنّه من النّفس، إذ هي كالصّبي متى مُنع من الشّيء ازداد لجاجًا في طلبه.

فهاتان الحالتان شاهدا عَدْل متى اجتمعا لا تشكّ في أنّ الخاطر من النّفس. ومداواتها عند هذه القضية بالمخالفة المحضة، والإتعاب الشديد. فتمنعها الرّاحة عندما يكون الباعث للخاطر كثرة الكد والإتعاب بالعبادة، أو بوصف وَضْعه أثقل، ليكون ذلك أقمع لها من التّحريك لمثل هذا الخاطر. وإن كان [الباعث للخاطر] شهوانيًا جُعل دواؤه الحرمان للشيء الذي طلبتْه، أو تُمنع من مشتهى آخر لها، ليكون ذلك أمنع لها.

الخاطر الشيطاني:

وأما الخاطر الشّيطاني فله أيضًا علامتان:

أحدهما: تنبيهه ببعض ما تحتاج النّفس إليه بداعي الشّهوة أو داعي الرّاحة في

الأوقات المألوف[٤] تحصيل النّفس مطلوباتها فيها[٥]، والفرق بينه وبين النّفساني في هذا الباب أنّ النّفساني يلحّ ولا يذهب، وهذا يذهب تارة ويكرّ. فكلّ ما لهي الإنسان عنه بسبب فتور النّفس ألحّ عليها بالتّذكير للشّهوة، وتكون حركة النّفس عند هذا التّذكير أكثر من الخاطر النّفساني، إذ الخاطر النّفساني إنّما خطر لشدّة الحاجة.

والثاني: أنّ هذا الخاطر الشّيطاني يبتدئ ويطرأ على عقله، والخاطر النّفساني متّصل، محرّك للطّبع نحو الشّهوة أو الرّاحة، وذلك أنّ وسوسة الشّيطان إنما هي تجري مجري مخاطبة الإنسان للإنسان، غير أنّ الفرق بين هذا وذاك ألا يراه، والإنسان يحرّك قلبك من جهة حاسة الأذن عند الخطاب أو التّصويت، والبصر عند الإشارة، والحسّ عند الغمز، والشّيطان يحرّك ذلك من الوسوسة وغمز القلب والخطورة فيه، وهو لا يعلم المغيب، وإنّما يأتي إلى النّفس من جهة الأخلاق الّتي ألف انفعالها له؛ فهذا الفرق بين النّفساني والشّيطاني.

الخاطر الرباني:

أما الخاطر الربّاني فإنّه يُستدلّ عليه بشاهدين أيضًا:

أحدهما: وهو المقدّم، موافقة الشرع للخاطر وشهادته بصحته. والثّاني: فتور النفس عن قبوله ابتداء، حتّي يحصل لها نوع الترغيب، وهو الهجوم على النّفس من غير مقدّمات له كالشّيطاني. إلا أنّ سرعة النّفس لموافقة الخاطر الشّيطاني أكثر، وهي له أبدر، وهي عن هذا [= الخاطر الربّاني] أكسل، إذ الشّيطان إنّما يجيؤها[٦] من شهواتها وراحاتها، وهذا يأتي من جهة التّكليف، وتنفر نفرة من التّكليف عند وروده عليها. فهذا الفرق بين هذا [وبين][٧] الخاطر الشّيطاني والخاطر النّفساني.

---

(٤) خ: المؤلوفات. (٥) خ: فيه.
(٦) خ: يجيها. (٧) [وبين]: إضافة في المطبوع.

فإذا خطر لك [خاطر الخير] فزنه بهذه الموازين الثّلاث، واستشهد في كلّ فصل منه بالشواهد التي أشرنا لك، فتميّز لك الخواطر، فاصنع في الشّيطاني والنّفساني ماكنا ذكرناه لك في المدافعة(٨) الحاسمة لهما، وبادر لهذا الخاطر الربّاني، ودع التّشاغل والتّضييع، فإنّ الوقت ضيّق والحال يتحول(٩).

وإيّاك وتسويل النَّفس ووسواس الشّيطان، فإنّ هذا الباب من أبواب الخير قد انفتح لك فارحبه حتّى تستأنفه(١٠) من أوّله. ومثاله: أن يكون قد خطر الخاطر في صيام بعض شهر قد حثّ الشّرع على صيامه، أو قيام بعض ليله، فتقول دع هذا حتى استكمل الليل بأوّله أو الشّهر بتمامه. وإنما ذلك مخادعة، ليسدّ باب التوفيق المجزي. فإنّ هذه الخواطر لا تدوم، وإنما هي سريعة الاستحالة، و المبادرة لإمساك الخاطر الربّاني مأمور الشرع، وفيه فائدتان: **إحداهما**: أن يكون وقت أكمل من وقت، كنحو الأوقات التي ورد الخبر عن مسامحة اللّه عزَّ وجلَّ، وتنزّل الرحمة والغفران، ونظرات الحقّ سبحانه وتعالى إلى الخلق لا تُحصى. **والأخرى**: إيلاف النفس للمبادرة لامتثال الأوامر والطّاعات عندما ترجّى بركة العمل، وفيه إزالة حال التّكاسل عنها، وذلك للتّعرّض لنفحات رحمة اللّه تعالى. وهذا في رياضة النّفس على المبادرة إلى امتثال الأوامر مفيد أيضًا، واللّه أعلم وأحكم.

---

(٨) خ: المداومة.

(٩) خ: تحول.

(١٠) خ: له فارتجه حتى أسابقه.

الكتاب الخامس

كتاب الفناء[*]

كلام الإمام أبي القاسم، الجنيد بن محمد، قدس الله روحه:

الحمد لله الذي قطع العلائق على المنقطعين إليه، ووهب الحقائق للمتّصلين به المعتمدين عليه، حين أوجدهم ووهب لهم حبّه، فأثبت العارفين في حزبه، وجعلهم درجات في مواهبه، وأراهم قوّة أبداها عنه، ووهبهم[1] منّة من فضله، فلم تعترض عليهم الخطرات بمُلْكها، ولم تلتق بهم الصفات المسبّبة للنّقائص في نسبتها، لانتسابهم إلى حقائق التوحيد، بنفاذ التجريد، فيما كانت به الدّعوة، ووُجدت به أسباب الحظوة[2]، من بوادي الغيوب وقرب المحبوب.

ثم سمعتُه يقول: وَهَبْنيه ثم استترَ بي عني، فأنا أضرّ الأشياء عليَّ، الويل لي مني، أكادَني وعنه بي خدعني، كان حضوري سبب فقدي، وكانت متعتي بمشاهدتي كمال جهدي، فالآن عدمت[3] قواي لعناء[4] سرّي. لا أجدُ[5] ذَوْق الوجود، ولاأخلو[6] من تمكين الشّهود، ولا أجد نعيمًا من جنس النعيم، ولا [أجد] التّعذيب من جنس التّعذيب، فطارت المذاقات عني، وتفانت اللغات من وصفي[7] فلا صفة تُبدي ولا داعية تُحْدي. كان الأمر في إبدائه، كما لم يزل في ابتدائه.

(*) كتاب الفناء نشر عبد القادر من ص٣١ إلى ص٣٩. والمخطوط رقم ٢٢٧ ق ق٥٤ب-٥٧ب.

(١) خ: ووهبه. (٢) خ: الحظره. (٣) خ: عزمت. (٤) خ: لفناء.

(٥) خ: لأجد. (٦) خ: أخلوا. (٧) خ: وضعي.

قلت [للجنيد] :فما أبان منك هذا النطق «ولا صفة تبدو[8] ولا داعية تحدو[9]» ؟ قال: نطقتُ بغيبتي عن حالي[10]، ثم أبدي[11] عليَّ من شاهد قاهر وظاهر شاهر. أفناني بإنشائي كما أنشاني بديًا في حال فنائي، فلم أؤثر(12) عليه لبراءته من الآثار، ولم[13] أخبرعنه إذا كان متوليًا للإخبار. أليس[14] قد محي رسمي بصفته، وبامتحائي فات علمي في قربه، فهو المبدئ كما هو المعيد.

قلت: فما قولك «أفناني بإنشائي كما أنشأني بدنيًا في حال فنائي» ؟ قال: أليس تعلم أنّه عزَّ وجلَّ قال ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ ﴾ [الأعراف/ ١٧٢] إلى قوله ﴿ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف/ ١٧٢] فقد أخبرك عزَّ وجلَّ أنه خاطبهم وهم غير موجودين إلا بوجوده لهم، إذ كان واجداً للخليقة بغير معنى وجودها لأنفسها، بالمعنى الذي لا يعلمه غيره، ولا يجده سواه، فقد كان واجداً محيطًا شاهداً عليهم بديًا في حال فنائهم عن بقائهم، الذين كانوا[في الأزل]للأزل، فذلك هو الوجود(15) الرباني والإدراك الإلهي الذي لا ينبغي إلا له جلَّ وعزَّ؛ ولذلك قلنا إنه إذا كان واجداً للعبد يجري عليه مراده من حيث يشاء بصفته المتعالية التي لا يشارك فيها، كان ذلك الوجود أتم الوجود وأمضاه لا محالة، وهو أولى وأغلب وأحق بالغلبة والقهر وصحة الاستيلاء على ما يبدو[16] عليه، حتى يمحي[17] رسمه عامة ويذهب وجوده، إذ لا صفة بشرية ووجود ليس يقوم به لما ذكرنا، تعاليًا من الحق وقهره، إنما هذا تلبس[18] على الأرواح [ما لها من الأزلية]. [19]

نعيم ليس[من] جنس النعيم المعقول، وسخاء بالحق لا من جنس السخاء المعلوم، إذ كان عزَّ وجلَّ لا يحس ولا يُحس ولا يبدل ذاتيته، ولا يعلم أحدٌ كيفية لطائفه في خلقه، وإنما معنى ذلك ربّاني لا يعلمه[20] غيره ولا يقدر عليه إلا هو، ولهذَا قلنا إن الحق أفنى[21] ما بدا عليه، وإذا استولى كان أولى[22] بالاستيلاء وأحق بالغلبة والقهر.

---

(٨)خ: تبدوا. (٩)خ: تحدوا. (١٠)خ: مالي. (١١)خ: أبدا.
(١٢)خ: أوشر. [أؤثر: أظهر عنه أثرًا]. (١٣) نشرة عبد القادر تكرر «ولم».
(١٤)خ: ليس. (١٥)خ: الموجود. (١٦)خ: يبدوا. (١٧)خ: تمحا.
(١٨)خ: فإذا كان هذا تلبيسًا. (١٩)انظر. كتاب الميثاق، ص،٥٨ .
(٢٠)خ: يعلم. (٢١)خ: أفنا. (٢٢)خ: أولاً.

قلت: فما يحد أهل هذه الصفة، وقد محوت اسم وجودهم وعلومهم؟ قال: وجودهم بالحق بهم و ما بدا عليهم بقول وسلطان غالب، لا ما طالبوه فأذكروه وتوهموه بعد الغلبة، فيمحقها ويفنيها، فإنه غير متشبث بهم ولا منسوب إليهم، وكيف يصفون أو يجدون ما لم يقوموا فيحملوه، أو يقاربوه فيعلموه، وإنّ الدليل على ذلك من الخبر الموجود، أليس قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: قال اللّه عزَّ وجلَّ «لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به». وفي الحديث زيادة في الكلام غير أني قصدت الحجة منه في هذا الموضع؛ فإذا كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به فكيف تكيّفُ ذلك بكيفيته أو تحده بحد تعلمه؟ ولو ادعى ذلك مدع[٢٣] لأبطل في دعواه، لأنّا لا نعلم ذلك كائنًا بجهة من الجهات تعلم أو تعرف، وإنما معنى ذلك أنه يؤيده ويوفقه ويهديه ويشهده ما شاء كيف شاء بإصابة الصواب وموافقة الحق، وذلك فعل اللّه عزَّ وجلَّ فيه ومواهبه له[٢٤]، منسوبة إليه لا إلى الواجد لها، لأنها لم تكن عنه ولا منه ولا به، وإنما كانت واقعة عليه[٢٥] من غيره، وهي لغيرها أولى وبه أحرى، وكذلك[٢٦] جاز أن تكون بهذه الصفة الخفية، وهي غير منتسبة به على النحو الذي ذكرناه.

قلت: كيف يكون الحضور سبب الفقد والمتعة بالمشاهدة كمال الجهد، وإنما علم الناس ههنا أنهم يتمتعون ويجدون بالحضور، لا يَجْهَدُون في ذلك ولا يُفْقَدُون؟ قال: ذلك علم العامة المعروف، وسبيل وجودهم الموصوف، فأما أهل الخاصة والخاصة والمختصة، الذين غُربوا لغربة أحوالهم، فإنّ حضورهم فقد، ومتعتهم بالمشاهدة جهر. لأنهم قد محوا عن كل رسم ومعنى يجدونه[٢٧] بهم أو يشهدونه[٢٨] من حيث هم، بما استولى عليهم فمحاهم، وعن صفاتهم[٢٩] أفناهم، حتى قام بهم وقام عنهم بما لهم، وثبت دواعي[٣٠] ذلك عليهم وفيهم من جنس كماله وتمامه، فوجدوا النعيم به غيبًا بأمتع الوجود على غير سبيل الوجود،

---

(٢٣)خ: مدعي. (٢٤)خ: وما وهبه. (٢٥)خ: واقفة به. (٢٦)خ: وكما.
(٢٧)خ: يجدوه. (٢٨)خ: يشهدوه. (٢٩)خ: صفاته. (٣٠)خ: رواع.

لاستئثار[٣١] الحق واستيلاء القهر، فلما فَقَدَت الأرواح النعيم الغيبي الذي لاتحابيه[٣٢] النفوس، ولا تقاومه الجسوس[٣٣]، ألفَتْ فَنَاها عنها ووجدتْ بَقَاها يمنعه فناها. فإذا أحضرها أنيتها[٣٤] وأوجدها جنسَها[٣٥]، استترت بذلك عما كانت به وكان بها، فَعَصَتْ[٣٦] بنفسها وألفت بجنسها، إذ أفقدها التمام الأول والإكرام الأكمل، وردت إلى تعلم وتعقل، فالحسرة فيها مستكنة وغصة الفقد بها متصلة في حال حضورها وكائن وجودها، ولذلك تاقت إلى الشهوة ورجعت إلى الحاجة. وكيف لا يكْلمها إخراجها[٣٧] بعد غيابها وتوقانها بعد امتلائها. فمن ههنا عرجت نفوس العارفينَ إلى الأماكن النضرة والمناظر الأنيقة[٣٨] والرياض الخضرة، وكان ما سوى ذلك عذابًا عليها[٣٩] مما تحن إليه من أمرها الأول الذي تشمله الغيوب ويستأثر به المحبوب. ويحك إن إشارته إلى الصفة إشارة لا يشارك فيها، ومراده فيها ومنها هو ما استأثر به عليها. فمن كان مستترًا أو ذاكرًا لها أو مختصًا بها، كان لا ينبغي للمراد بذلك حضور البوادي عليه ولا البواعث منه إليه، فتأمن[٤٠] صفته عن الفناء بحقيقته[٤١]، ذاهبًا[٤٢] عن الحضور ما هو به، اقتدارًا من الغالب له القائم به المستولي عليه. حتى إذا أحضر وأشهد ضمن حضوره الاستتار[٤٣] وأمحت في شهوده الآثار[٤٤]، حتى لا يجد السبيل إلى درك الشفاء على خالص الوجود المستولي عليه من الحق تعالى[٤٥]، كذلك يرى[٤٦] في صفته العليا وأسمائه الحسني[٤٧]. وإنما جرت سنة[٤٨] البلاء على أهل البلاء من ههنا، حتى جاذبوا وأقاموا ولم ينخدعوا، أقيم عليهم ما محقهم في نفس القوة وعلو المرتبة وشرف النسبة.

---

(٣١)خ: لاستينار.

(٣٢)نشر عبد القادر: «تحاسه والمخطوط يُقرأ» تحابيه وهي الأصح.

(٣٣) نشر عبد القادر: «ولا تقاربه الحسوس»، وقد أبدل عبد القادر النص ربما بسبب عدم تمكنه من فك المخطوط، والأصح أن يقرأ: «ولا تقاومه الجسوس».

(٣٤)خ: أثبتها. (٣٥)خ: جبسها. (٣٦)عبد القادر: «فغصت». (٣٧)خ: ما أخرجها.

(٣٨)خ: الأنقة. (٣٩)خ: عليهم. (٤٠)خ: فيأمن. (٤١)خ: بحقيقته.

(٤٢)خ: وذاهبًا. (٤٣)خ: الاستشار. (٤٤)خ: في الآثار. (٤٥)خ: تعالى من الحق.

(٤٦)خ: ير. (٤٧)خ: الحسنا. (٤٨)خ: سنت.

قلت: فما أعجب ما أخبرتني به وإن أهل هذه النسبة العالية ليجري عليهم البلاء؟ فكيف ذلك حتى أعلمه؟ قال: إنهم[٤٩] لما طلبوه في مراده ومانعوه عن أنفسهم، فطلبوا له في استيلائه[٥٠] عليهم بساط البلاء على صفاتهم، لأنّ لذة الأشياء فيهم، ستَرَهم به ليقضوا[٥١] بأنيتهم ويحترقوا[٥٢] بحسوسهم ويلذوا[٥٣] برؤية[٥٤] أنفسهم، في مواطن الفخر ونتائج الذكر وغلبات القهر. وأنّي لك بعلم ذلك، وليس يعلمه إلا أهله ولا يجده سواهم ولا يطيقه غيرهم. أو تدري لما[٥٥] طالبوه ومانعوه فتوسلوا بما منه بدا إليه واستعانوا في التوسل بالحقائق عليه؟ لأنه أوجدهم وجوده لهم وثبت فيهم وعليهم غيب سرائره الواصلة إليه، فامتحت[٥٦] الآثار، وانقطعت[٥٧] الأوطار، حتى توالت النسب، وتعالت الرتب، بفقدان الحس وفناء النفس.

ثم أحضرهم[٥٨] الفناء في فنائهم، وأشهدهم الوجود في وجودهم؛ فكان ماأحضرهم منهم وأشهدهم[٥٩] من أنفسهم سترًا خفيًا وحجابًا لطيفًا، أدركوا به غصّة الفقد وشدّة الجهد، لاستتار ما لا تلحق به العلل، إحضار ما يلحق العلل به وتليق الآثار بصفته فطالبوه فيما كان مطالبهم، وما يعرفه[٦٠] من نفوسهم، لأنهم حلوا بمحلّ القوة، ونالوا حقائق الحظوة، فأقيم عليهم مشغلاً لهم، فنشأ منه فيهم تمام كان و لا كان على الصفة، و إن كانت غصة[٦١] البلاء تزيد. قلت: فصف لي تلوين البلاء عليهم في موطنهم العجيب ومنزلهم القريب. قال: إنهم استغنوا بما كان بدًا، فخرجوا عن الفاقة، وتاركوا المطالعة، وألبسوا الظفر بجهد الاقتدار وصولة الافتخار، وكانوا بذلك ناظرين إلى الأشياء بما لهم، دون التعريج على ما له، بإقامة الفرق والفصل، لما رأوا ووجدوا[٦٢] بالعينين، فاستولى بالأمرين[٦٣]، فإذا بدت عليهم بوادي

---

(٤٩) المخطوط ونشرة عبد القادر: «افهم»؛ ولكن النص يستقيم إذا أبدلنا لفظ «افهم بلفظ «إنهم».

(٥٠)خ: استيلاه. (٥١)خ: ليقضون. (٥٢)خ: ويحترقون، نشر عبد القادر: «ويحترفوا».

(٥٣)خ: ويلذون. (٥٤)خ: برية. (٥٥)خ: لمن. (٥٦)خ: فامتحا.

(٥٧)خ: وانقطع. (٥٨)خ: أحضرها. (٥٩)خ: وأشهد. (٦٠)خ: يعرفها.

(٦١)خ: عنده. (٦٢)خ: يوجد. (٦٣)خ: الأمرين.

الحق، أنجأ منه لهم مما لهم، على التجريد اقتداراً وافتخاراً. خرجوا عن ذلك غير مشاكيين له، مؤثرين لما انفردت به متعتهم، دالة عليه ويقيناً بالسماحة، لايرون رجوعاً عليهم ولا مطالبة تجري عليهم. فإذا كان ذلك أحاط بهم المكر من حيث لا يعلمون.

قلت: قد أغربتَ على عقلي، وزدتَ في خبالي[٦٤] فادن من فهمي. قال: إنّ أهل البلاء[٦٥] لما اتصلوا بحادث الحق فيهم[٦٦]، وجاري حكمه عليهم، تغربت أسرارهم، وتاهت أرواحهم عمر الأبد، لا تأويها المواطن ولا تجنّها الأماكن، تحنّ إلى مبتليها حنيناً، وتئن[٦٧] بفناء النائي عنها أنيناً، قد شجاها فقدانها وذلها[٦٨] وجدانها، أسوفة عليه، موجعة لديه، متشوقة في الوجد إليه، أعقبها بها ظمأ، ويزيد الظمأ في أحشائها نماء، فهي الكلفة بمعرفتها، السخية بفقدها. أقام لها عطشها إليه مع كلّ مأتم مأتماً، ورفع لها في كلّ كسوة علماً، يذيقها طعم الفقر، ويجدد عليها رؤية احتمال الجهد، ممالة مع آثار المؤن، تواقة إلى مثلات الشجى[٦٩]، طلابة لشفائها، متعلقة بآثار المحبوب فيما يبدو[٧٠]، وكلّ إبعاد تراه بعين الدنو. خفيت[٧١] خفاء لفقد سترها فيما استترت وابتلاها فما نكلت. وكيف تستتر، وهي مأسورة لديه، محتسبة له بين يديه. سمحت له بهلاكها فيما أبدى عليها من ابتلائها، و لم تعزم على الاهتمام بأنفسها استغناء بحبه و تعلقاً به في محل قربه. ترى مقادير الألحاظ منه في سرعة يقظتها، يستغرق هلاكها بالجاري عليها في دوام البقاء وتشديد البلاء[٧٢]، حتى أمتعها بلاؤها، وآنسها به بقاؤها، لمارأته قريباً لمنعها واتياً بلسعتها، فلم تلو عن حمله كلا لا ولا برمت به ملالاً. هم الأبطال فيما جرى عليهم لما أسرّ إليهم. أقاموا في قهره، انتظار أمره، ليقضي اللّه أمراً كان مفعولاً.

---

(٦٤)خ: حبالي. (٦٥)خ: البلى. (٦٦)خ: فيها.
(٦٧)خ: تان. (٦٨)خ: وذللها. (٦٩)خ: ممثلات الشجا.
(٧٠)خ: يبدوا. (٧١)خ: خلعت. (٧٢)خ: البلى.

وأهل البلاء[٧٣] يقسمون[٧٤] على قسمين: فمنهم من أوى[٧٥] إلى بلائه، فساكن مراده، وما بلي هواه في الأشياء إيثاراً لمتعة نفسه، وتمتعه بوجود حسه حتى أنكى[٧٦] به ومكر به وأزال بالمكر عنه مزايلة حاله، واعتد ببلائه شرفًا، ورأى[٧٧] أنّ سبب الخروج عنه سبب النقصان والضعف.

---

(٧٣)خ: البلى. (٧٤)خ: يقسموا. (٧٥) أوا.
(٧٦)خ: الجأ. (٧٧)خ: وروي

الكتاب السادس

كلام في الألوهية(*)

قال أبو القاسم الجنيد ـ رحمه اللّه تعالى ـ:

اعتزل الحقّ بهم، وجرِّدت الألوهيّة لهم، فكان أوّل وارد الحقّ بتأدية شواهد إبرازه لهم وإنزاله إيّاهم في أوّل الألوهيّة، أنزل الأزليّة على سرمد الأبد، في ديمومية البقاء إلى ما ليس له غاية ولا منتهى، ثم أتبع مع ذلك بشاهد منيع العزّ وطول الفخر وظهور القهر وشامخ العلوّ وقاهر السطوة وشدّة الصّولة وعظيم الكبرياء وجليل الجبرياء، فاعتزل منفرداً بذلك وتكبّر وتعالى بالعظمة، فكان الحقّ بالحقّ للحقّ قائمًا، وكان الحقّ بالحقّ للحكم حاكمًا، وتوحّد في تفرّد جبروته أحدًا فردًا صمدًا، وهذا أوّل شاهد إنزاله من أنزل في غلبة هذا الاسم عليه وأحلَّه به لديه، وتابع مع ذلك ما أمكن في إجنان صونه به له من أسمائه الحسنى ما وقعت إليه الإشارة وما لم يقع من أسماء الجمع والتفرقة على ما شاء من الإبداء والإخفاء، فمنها ما بدت في شواهدها، وظهرت في مطالبها، وعلت في مذاهبها، وسرحت في مساكنها، وترددت في مراكبها، ثم تفانت[1] النعوت بجواز الاحتواء على ماتكيفته الحقيقة فسترته، وكمنت فيه فغيبته، وطوت عليه فكتمته، وتمكنت منه فأتلفته، وغلبت عليه فقهرته، ثم تذهب بواديها[2] على الانفصال من غير انفصام، وعلا بالإلف من غير جنس النظام، فعالى بظاهره وبظافر أبداه بتمكين أحكامه، فتصاول عند ذلك الصّول، وتفاخر الفخر، وتقاهر القهر، فأين الأين عند ذلك

(*) الكتاب السادس نشر عبد القادر من ص٤٤ إلى ص٤٦ ، والمخطوطان ٢٢٦ و٢٢٧ من الورقة ٥٩ب إلى الورقة ٦٠ب

(١) خ: تفاقت. (٢) خ: بوادها.

وليس يحين أينه، وأين ذهاب الأين على دوام أزليّته، وأين ما لا أين له ولا أين فيه على تفرّد الألوهية، وهو بعض ما لوّح الحق به في اسم الجمع، ثم تجري فيهم ماتوقّع منهم به النظر، في شواهد ما لاقى[٣] الحقّ به من هذا نعته على اسمه المنفرد وعلمه المجرّد، فهذه إشارة ما لا يقع به الشّرح أكثر، ثم لا ينال فهم ذلك من جنس الإشارة إلا بتقدّم الكون فيما تقدّم به النّعت، وقد طويت[٤] ما فيها ولم أفصح به فخذها من حيث لا تنال به إلا به إن أدرك الحقّ بإدراكك في إدراكك، ومن بعض ماأوجد الحقّ في اسم التّفرقة أن حبس به إظهار ما ألبسهم وألبسهم إظهار ما به حبسهم، فكانوا في إبدائه[٥] شواهد مكنون إخفائه، فكلّما طالعهم بما لاحظهم أرمس مستدرك المكان بكون خفي الكتمان، وهم في شواهد ما يطالعهم به على ترادف ما أطلعهم به عليه، ثم يطالعهم فيما به يطالعهم، مطالعات سرّ المحترز المرتجف عليهم به في إظهار ما كمنه، وذلك قبل أن يشرف بهم[٦] على حجاب غريب هذه الصفة، ثم يبدي[٧] لهم شواهد البذل ومستعطفات سوابق الأمر، ويظهر لهم به عند إقباله به عليهم، وإجلاله[٨] منزلة لديهم بأنباء كون دوارك الوفاء، والاحتواء على كلّ محبوب ومطلوب ومرغوب، باستتمام كمال المصافاة واتحاد منح الموالاة، ثم يعطف عليهم في قرار أمن ما أحلّهم فيه بإشهاده إياهم الغيبيّة عنهم، والأخذ بما أقبل به عليهم، وانتزاع لكل ما آنسهم من منحه وعطف عليهم به من بذله، وأوقف عليهم لما يريد أن يبلّغهم إليه، ويطلبهم به، أضداد الشواهد المتقدمة، فلو رأيتهم بعين إشهاده إياهم، وكون فيما فيه أحلّهم، لرأيت رهائن أشباح أسرى واجتناح جوائب[٩] أرواح سري، قد رهقوا بالمحو.[١٠] في ملكوت عزّه، وأرهقوا بفرط ابتلاء الحقّ لهم بفقده، مما هم به منه يصرخون، وبه إليه في غمرات الكرب يضجّون، قد جمع أنفاسهم في أنفاسهم، وحبس أرواحهم في أرواحهم، فهم به عليه يتردّدون، ومنه به إليه يتوحّدون، وهذا بعض علم التوحيد مما لوّح[١١] إليه به صفوته. تمّ بحمد اللّه ومنّه وصلى اللّه على محمد وآله وسلم.

---

(٣)خ: لاقا. (٤)خ: طوى. (٥)خ: ابتدائه. (٦)خ: به.
(٧)خ: يبدا. (٨)خ: إجلاله. (٩) خ: واجتياح جواقب.
(١٠)خ: بالحو. (١١)خ: لوج.

الكتاب السابع

في الفرق بين الإخلاص والصدق[*]

بسم اللّه الرحمن الرحيم، الحمدللّه وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

قال الشيخ الإمام أبو القاسم الجنيد قدّس اللّه روحه ونوّر ضريحه:

آنسك اللّه بقربه، وجدّد لك في كلّ وقت من الزيادة في برّه، وسترك في ظلال جناح رحمته، وجعل مأواك في جواره[1] الذي أسكن فيه[2] أرواح[3] أهل خاصته، الذين تولاهم بحياطته، فلم يلحقهم لاحق، ولم يقطعهم قاطع، ولم يشغلهم شاغل؛ وصلّى اللّه على نبيه وعلى أهل بيته وأصحابه وسلم.

أمّا بعد، فإنك سألتَ عن الفرق بين الإخلاص والصدق، فمعنى الصدق القيام على النّفس بالحراسة والرعاية لها، بعد الوفاء منك بما عليك ممّا دلّك العلم عليه، في إقامة حدود الأحوال في الظّاهر، مع حسن القصد إلى اللّه عزَّ و جلَّ في أوّل الفعل؛ فالصّدق موجود في حقيقة صفات الإرادة، عند بداية الإرادة، بالقيام بمادُعيت إليه في حقيقة إرادتك، ممّا طرق الحقّ لك إليه، والمبادرة فيه بالخروج عن موافقة النفس لطلب الراحة، مع انتصاب العلم لك، وموافقتك له، بخروجك من التأويل. فالصّدق موجود قبل وجود حقيقة الإخلاص، وقد قال اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأحزاب/ ٨]، ثم سألهم بعد ما أتوا[4] بالصدق: ما أرادوا بصدقهم. وقد سمّى اللّه تعالى الصادقين في موضع آخر على غير هذا المعنى، فقال

(*) الكتاب السابع: نشر عبد القادر من ص٤٧ إلى ص٥١. المخطوطان ٢٢٦ و٢٢٧ من الورقة٦١أ إلى الورقة٦٣أ.

(١) خ: جوازه. (٢) خ: فيها. (٣) خ: أزواج.

(٤) نشرة عبد القادر: «أوتوا»، والصواب «أتوا النبي ﷺ وكذا المخطوط.

عزّ وجلّ: ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة/ ١١٩]، فكان الصدق في الأوّل علمًا للخلق وفصلاً بينهم وبين الإخلاص، لأنّ الإخلاص موجود في صفة الخلق عند حالَيْن: حال الاعتقاد والنية، وحال الفعل والعمل. فالإخلاص في صفة الصّادق موجود في العقد غير منسوب إلى الصدق إلا بوجود [أوائل الإخلاص في باطنه]، وباق عليه علم موارد الأشياء عند ممارسة الفعل بالجوارح عن عوارض أضداد الإخلاص والتخلّص لفعله، حتى سمّي مخلصًا.

فأوّل الإخلاص أن يُفرد الله تعالى بالإرادة، والثاني أن يخلّص الفعل من الآفة. فالصّدق الذي هو عند الخلق صدق، فرق بينه وبين الإخلاص، والصّدق الذي عند الله تعالى هو الصّدق مع الإخلاص. وقد يُقال فلان صادق لما يُرى عليه من صفات العلم وبذل المجهود منه، ولا يُقال فلان مخلص لغيبة الخلق عن علم إخلاصه، فالصّدق مشهود في صفة الصّادق، والإخلاص معدوم من مشهده. فالصّادق موصوف بحسن صفات شاهده، منسوب إلى الصدق بدلائل ظاهره، مع وجود أوائل الإخلاص في باطنه، باق عليه علم موارد الأشياء عند وروده، يقبل[٥] ما وافق الأول من معنى قصده، ويردّ ما خالف علم ظاهره. فالإخلاص يعلو[٦] الصّدق لوجود زيادة العلم، مع وجود قوّة الرّدّ لما عارض من وسواس العدوّ، لوجود صفاء القلب، ولا يعلو الإخلاص شيء، لأنه لا غاية في العبوديّة من حيث العبد فوق الإخلاص، ولا يقال إخلاص المخلص، لأنه لا غاية بعد الإخلاص، وقد قال الله تعالى ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب/ ٨]، لم يقل ليسأل المخلصين عن إخلاصهم، لأنّ غايته من الخلق فيما استعبدهم به، فالإخلاص[٧] يعلو الصدق والصدق دونه.

والصّدق على ثلاثة أشياء: صادق بلسانه، وهو القائل بالحقّ له كان أم عليه بخروجه عن التّأويل. والتّدليس. وصادق في فعله، وهو الباذل للمجهود من نفسه بإخراج وجود راحته. وصادق بقلبه وهو القصد إليه في فعله. فعند وجود هذه الخصال يكون صادقًا، مع أن الصدق موجود من الصادق في كلّ حال لا يستغني عنه في حال من الأحوال.

---

(٥)خ: يقول. (٦)خ: يعلم. (٧) خ: الإخلاص.

وقد فسّرت جملة في أوّل الكتاب، فالصدق في التورّع والتزهّد والزهد والتوكل والرضا والمحبّة والشوق والتوحيد لأهل الصلاة، في صفات المريد والمراد، والذاكر والمذكور، وكلّ ذلك لا بدّ من أن يتولد له شاهد ظاهر يشهد له بالصدق. ومعنى الإخلاص إفراد النيّة للّه عزَّ وجلَّ وحسن القصد إليه، بحضور العقل عند موارد الأشياء، وبيان تلوين الأمور عليه، بما وافق الأوّل في معنى صحّة قصده، وردّ ما خالف ذلك من موارد النفس والعدو، مع ذهاب رؤية النفس بوجود رؤية المنّة، مع وجود حسن العزاء عند المذمّة من الخلق، لوجود حسن المعرفة بالفضل، ووجود الكراهة عند المحمدة، لخوف فساد المعرفة بذهاب رؤية الخلق عند مصادفة الأحوال، فهذا علم مشهود عند شاهد المخلص معدوم عند شاهد الخلق. فالصدق والإخلاص يتفقان في حال المخلص، وينفرد الصدق بالصادق، مع أوّل وجود الإخلاص، فغاية وصف الموصوفين بالعبودية في الاستعباد هو الإخلاص، والصادق في حقيقة صدقه يُتَولّى بالإخلاص، والمخلص في حقيقة إخلاصه يُتَولّى بالكفاية، لوجود نفاذ البصيرة، وذو البصيرة في حقيقة نفاذ بصيرته يُتَولّى بالحياطة من جميع ما يخشى فساده، ثم وقع الاستيلاء بالتولّي بعد ذلك، فقهر العقل فأفناه عن مقاومة الواجد. فعند وجود حقيقة التولّي بالخصوصية، خرج عن عبادته للّه بالنفوسية، ودخل في عبادته عزَّ وجلَّ بالوحدانية، فكان ذلك أوّل وجوده حقيقة توحيد الخصوص، بذهاب رؤية الأشياء لقيام رؤية الحق. فجرت الأحوال عليه في مجاري صفاتها، (لمراد مليكه فيها، بسقوط صفاتها) منها، فعند وصول العبد إلى هذا، خرج عن صفة وجود ما يوصف بالعقل، فصارت عوارضُ العقل عند وجود حقيقة التوحيد، وساوسَ تحتاج إلى أن يردّها، لأنّ العقل كان قيّم العبد عند قيام العبد بالعبودية، من حيث العبد، فعند وقوع حقائق الملكية من اللّه عزَّ وجلَّ له، ذهب العبد في العبودية من غير المعدن[8] الأوّل، فكان موجوداً في الصفة معدوماً من المشرب، فصار عند ذلك موجوداً مفقوداً.

---

(٨) خ: معدن.

المقطوعة الأولى (*)

في التوحيد

اعلم أنّ أوّل عبادة اللّه ـ عزّ وجلّ ـ معرفته، وأصل معرفة اللّه توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه بالكيف والحيث والأين، فبه استدّل عليه، وكان سبب استدلاله به عليه توفيقه، فبتوفيقه وقع التوحيد له، ومن توحيده وقع التصديق به، ومن التصديق به وقع التحقيق عليه، ومن التحقيق جرت المعرفة به، ومن المعرفة به وقعت الاستجابة له فيما دعا إليه، ومن الاستجابة له وقع الترقّي إليه، ومن الترقي إليه وقع الاتصال به، ومن الاتصال وقع البيان له، ومن البيان له وقع عليه الحيرة، ومن الحيرة ذهب عن البيان، ومن ذهابه له انقطع عن الوصف له، وبذهابه عن الوصف وقع في حقيقة الوجود له، ومن حقيقة الوجود وقع في حقيقة الشهود بذهابه عن وجوده، وبتفقّد وجوده صفا وجوده، وبصفائه غيّب عن صفاته، ومن غيبته حضر بكليته، فكان موجوداً مفقوداً ومفقوداً موجوداً. فكان حيث لم يكن، ولم يكن حيث كان. ثم كان بعد ما لم يكن حيث كان كان، فهو هو بعد ما لم يكن هو، فهو موجود موجود بعد ما كان موجوداً مفقوداً، لأنه خرج من سكرة الغلبة إلى بيان الصحو، وتردّ عليه المشاهدة لإنزال الأشياء منازلها ووضعها مواضعها لاستدراك صفاته، ببقاء آثاره والاقتداء بفعله، بعد بلوغه غاية ما له منه.

المقطوعة الثانية

صفة الموحّد (**)

اعلم أنّ الناس ثلاثة: طالب قاصد، ووارد واقف، أو داخل قائم. أمّا الطالب للّه عزّ وجلّ فإنّه قاصد نحوه، باسترشاد دلائل علم الظاهر، معامل اللّه ـ عزّ وجلّ

(*) المقطوعة الأولى: نشر عبد القادر ص٥١-٥٢. المخطوطان٢٢٦ و٢٢٧ من ق ق٦٣أ-٦٣ب.

(**) المقطوعة الثانية نشرت بالاستناد إلى المخطوطين٢٢٦ و٢٢٧ الورقة٦٥أ. نقترح للمقطوعة الثانية عنوان: «صفة الموحِّد»، حيث يجعل الإمام الجنيد الناس ثلاثة: معامل اللّه بظاهره، ومعامل اللّه في باطنه، وموحِّد لا يرى سوى اللّه.

بجدٍّ ظاهره. أو واردٌ للباب واقفٌ عليه، متبيّن لمواضع تقريبه إياه، بدلائل تصفية باطنه، وإدرار الفوائد عليه، معامل للّه ـ عزَّ وجلَّ ـ في باطنه. أو داخلٌ بهمّه، قائمٌ بين يديه، مُنْتَفٍ عن رؤية ما سواه؛ ملاحظًا لإشارته إليه، مبادرًا فيما يأمره مولاه، فهذه صفة الموحِّد للّه ـ عزَّ وجلَّ ـ.

المقطوعة الثالثة(*)

توحيد الخواص

اعلم أنّ التوحيد في الخلق على أربعة أوجه: فوجه منها توحيد العوامّ. ووجه منها توحيد أهل الحقائق بعلم الظاهر. ووجهان منها توحيد الخوّاصّ من أهل المعرفة.

فأمّا توحيد العوامّ فالإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأرباب والأنداد والأضداد[1] والأشكال والأشباه، والسكون إلى معارضات الرغبة والرهبة ممن[2] سواه. فإنّ له حقيقة التحقيق في الأفعال[3] ببقاء الإقرار.

وأمّا توحيد حقائق علم الظاهر فالإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأرباب والأنداد والأشكال والأشباه، مع إقامة الأمر والانتهاء عن النهي في الظاهر، مستخرجة ذلك منهم من عيون الرغبة والرهبة والأمل والطمع، فإقامة حقيقة التحقيق في الأفعال لقيام حقيقة التصديق بالإقرار.

وأمّا الوجه الأوّل من توحيد الخاص فالإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية هذه الأشياء مع إقامة الأمر في الظاهر والباطن، بإزالة[4] معارضات الرغبة والرهبة ممن سواه، مستخرجة ذلك من عيون الموافقة بقيام شاهد الحق معه[5] مع قيام شاهد الدعوة والاستجابة.

(*) نشرة عبد القادر من ص ص٥٥-٥٦-٥٧. المخطوطان٢٢٦ و٢٢٧ من ق ق ٦٥أ- ٦٥ب.

(١)خ: وأضداد. (٢)خ: م. (٣)خ: والأفعال. (٤)خ: بإنزاله.

(٥) يرد في المخطوط: «القيام. الحق معه مع قيام الحق معه». بدلاً عن «بقيام شاهد الحق معه».

والوجه الثاني من توحيد الخاص، فشَبَحٌ قائم بين يديه ليس بينهما ثالث، تجري عليه تصاريف تدبيره، في مجاري أحكام قدرته، في لُجج بحار توحيده، بالفناء عن نفسه، وعن دعوة الحقّ له، وعن استجابته له، بحقائق وجود وحدانيته في حقيقة قربه، بذهاب حسّه وحركاته، لقيام الحق له فيما أراده منه، والعلم في ذلك أنّه رجع آخر العبد إلى أوّله، أن يكون كما كان إذ كان قبل أن يكون، والدليل في ذلك قول اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [الأعراف/ ١٧٢]، فمن كان قبل أن يكون، وهل أجابت إلا الأرواح الطاهرة العذبة المقدسة، بإقامة القدرة النافذة والمشيئة التامّة، الآن كان إذ كان قبل أن يكون؛ وهذا غاية حقيقة توحيد الموحِّد للواحد بذهاب هو.

المقطوعة الرابعة (**)

عبادة أهل المعرفة

سئل الجنيد ـ رحمه اللّه ـ إلى أين تنتهي عبادة أهل المعرفة باللّه ـ عزَّ وجلَّ ـ فقال: إلى الظفر بنفوسهم، نصب الحق لهم أعمال أدلّة العمّال، فوقفوا مع ماله دون التعريج على ما لهم، فشوّق إليهم الأنبياء، وانتسب[1] بهم للأولياء، وسبّحت لهم الملائكة، فتركوا ما لهم ووقفوا مع ما للّه ـ عزَّ وجلَّ ـ عليهم، وسائر الناس وقفوا مع ما لهم وتركوا ما للّه ـ عزَّ وجلَّ ـ عليهم فردّ اللّه ـ عزَّ وجلَّ ـ كُلاً إلى قيمته.

(*) المقطوعة الرابعة: نشر عبد القادر ص٥٧، نقترح للمقطوعة الرابعة عنوان «عبادة أهل المعرفة»، لأنها تبين الفارق الهائل بين عبادة العارف وعبادة سائر الناس.

(١) خ: والنسب.

المقطوعة الخامسة

العلم والعمل(*)

رجل انتصب له العلم بحقيقته، وانتصبت المطالبة عليه بحدّتها، وانتصب للعمل بكليته، فلم يقع الائتلاف بين الصفة والعلم في المطالبة، فاستدرك عند الاختلاف بينهما مع حضوره وجمعه وانتصابه، علم مراد الرجوع إلى الحق مع الانتصاب والحضور والجمع، فرجع إليه الصغار والذلّة والافتقار والقلّة بالسؤال، بحملان أثقال ما انتصب عليه من علم الحقيقة، فكان موجوداً عندما انتصب له من العلم الثاني، بخروج صفته للعمل فيه، وغير واجد لما انتصب عليه من حقيقة علم الأوّل، لأثقال ما انتصب عليه من شروط أحكامه، فاستدرك عند اجتماع العلمَيْن بوجود حقيقة الثاني وفقد حقيقة الأوّل- عَلِمَ وقوع البلاء بحقيقته؛ بتجرع كأس المراقبة لإيضاح بقايا صفاته وإيضاح خفايا طبعه، بالخروج إلى صفاء حقيقة التوحيد، بانحطاط وقوع البلاء، على حسب ما تقدّم من الموافقة للصفة، بوجود لذّة الطبع، فخرج عند ذلك بفناء الصفة من الهوى، إلى وقوع تجريد الحكم على صفاء الصفة، بذهاب الهوى، فانبسط بالإشارة بالحقيقة إلى الحق عند حوادث الأمور وتلوين الأشياء، بذهاب الوسائط، بوقوع صفاء الحكم على صفاء الصفة.

(*) المقطوعة الخامسة: نشر عبد القادر ص ص٥٢-٥٣، المخطوطان٢٢٦ و٢٢٧، من ق ق٦٣ب-٦٤أ. تصف هذه المقطوعة بلاء رجل انكشف له العلم بحقيقته فانتصب بكليته لحمل أثقال شروط أحكامه، وخرجت صفته للعمل به... وهنا ظهرت العوائق عن موافقة الصفة لأحكام العمل، لذا، لا بد من إذهاب الوسائط، بإفناء الطبع والهوى وعندها فقط يقع صفاء الحكم على صفاء الصفة.

المقطوعة السادسة

الحق والحقيقة (*)

الخوف يقبضني. والرجاء يبسطني. والحقيقة تجمعني. والحق يفرّقني. فإذا قبضني بالخوف أفناني عني بوجودي، فصانني عني. وإذا بسطني بالرجاء ردّني عليّ بفقدي، فأمرني بحفظي. وإذا جمعني بالحقيقة أحضرني فدعاني. وإذا فرّقني بالحق أشهدني غيري فغطّاني عنه. فهو في ذلك كلّه محرّكي غير ممسكي، وموحشي غير مؤنسي، بحضوري أذوق[1] طعم وجودي، فليته أفناني عني فمتّعني. أو غيّبني عني فروّحني وللفناء أشهدني. فنائي بقائي. ومن حقيقة فنائي أفناني عن بقائي وفنائي، فكنت عند حقيقة الفناء بغير بقاء ولا فناء، بفنائي وبقائي لوجود الفناء والبقاء، لوجود غيري بفنائي.

المقطوعة السابعة

مقام الاصطناع (**)

اعلم أنّ دليل الخلق برؤية الصدق وبذل المجهود، لإقامة حدود الأحوال بالتنقّل فيها، لتؤديه حال إلى حال، حتى يؤديه إلى حقيقة العبودية في الظاهر، بترك

(*) المقطوعة السادسة: نشر عبد القادر ص٥٣، المخطوطان٢٢٦ و٢٢٧ الورقة٦٤أ. نقترح للمقطوعة السادسة عنوان: «الحق والحقيقة»، كما أنها يمكن أن تعنون بأي عنوان من الثنائيات الآتية: الخوف والرجاء، القبض والبسط، الجمع والفرق، الوجود والفقد، الحضور والغيبة، الأنس والوحشة، الفناء والبقاء.

(١) خ: لذوق.

(**) المقطوعة السابعة: نشر عبد القادر ص ص٥٣-٥٤، المخطوطان٢٢٦ و٢٢٧، من ق ق٦٤أ-٦٤ب. نقترح للمقطوعة السابعة عنوان «مقام الاصطناع»، لأن الجنيد يشير هنا إلى هذا المقام وأسراره دون إلغاء طريق بذل المجهود لعموم الخلق.

الاختيار والرضا بفعله؛ وهذه مواضع قبول الخلق لدلائل صفات علم الظاهر[1] عليه، واجتماع صفته، ثم تؤديه حقيقته إلى مشاهدة الحق وإدراك إشارته إليه، بتلوين الأمور لاختيار اختياره له؛ وهذه مواضع ذهاب الخلق عنه، لتلوين صفاته فيهم، ومواضع تغييبه عنهم، وهذا مقام الاصطناع، قال اللّه ـ عزَّ وجلَّ ـ لموسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه / ٤١]، فمن أين وإلى أين، فمنه وإليه وله وبه فني، وفني فناؤه، لبقاء بقائه بحقيقة فنائه، فإنّ للحق فيه مرادًا، بردّه عليهم، أخرجه إليهم بتظاهر نعمائه عليه، فتلألأ سناء عطائه بردّ صفاته عليه لاستجلاب الخلق إليه وإحسانهم عليه.

المقطوعة الثامنة

كنتَ بلا أنتَ (*)

اعلم أنك محجوب عنك بك، وأنك لا تصل إليه بك، ولكنك تصل إليه به، لأنه لما أبدي إليك رؤية الاتّصال به، دعاك إلى طلب له فطلبته، فكنت في رؤية الطلب برؤية الطلب والاجتهاد لاستدراك ما تريده بطلبك، كنت محجوبًا، حتى يرجع الافتقار إليه في الطلب، فيكون ركنك وعمادك في الطلب بشدّة الطلب، وأداء حقوق ما انتخب[2] لك من علم الطلب، والقيام بشروط ما اشترط عليك فيه، ورعاية ما استرعاك فيه لنفسك، حماك عنك، فيوصلك بفنائك إلى بقائك لوصولك إلى بغيتك، فيبقى ببقائه، وذلك أنّ توحيد الموحد باقٍ ببقاء الواحد.

---

(١) خ: الظاهرة.

(*) المقطوعة الثامنة: نشر عبد القادر ص٥٤-٥٥، المخطوطان٢٢٦ و٢٢٧، من ق ق٦٤ب-٦٥أ. نقترح للمقطوعة الثامنة عنوان: «كنتَ بلا أنتَ»، وهو مستل من عبارة في هذا النص، ويعبّر بوضوح عن الوجود الإنساني التام في فكر الإمام الجنيد، هذا الوجود الشبحي، الموجود المعدوم، الفاني الباقي، الكائن قبل الكون، وجود الإنسان بوجود اللّه له وليس بوجوده لنفسه.

(٢) خ: انتحْت.

وإن فني الموحِّد فحينئذ أنت أنت، إذ كنت بلا أنت، فبقيت من حيث فنيت والفناء ثلاثة: فناء عن الصفات والأخلاق والطباع، بقيامك بدلائل عملك، ببذل المجهود ومخالفة النفس، وحبسها بالمكروه عن مرادها. والفناء الثاني، فناؤك عن مطالعة حظوظ، من ذوق الحلاوات واللذّات في الطاعات، لموافقة مطالبة الحق لك، لانقطاعك إليه، لتكون بلا واسطة بينك وبينه. والفناء الثالث، فناؤك عن رؤية الحقيقة من مواجيدك بغلبات شاهد الحق عليك، فأنت حينئذ فانٍ باقٍ، وموجود محقّق لفنائك، بوجود غيرك عند بقاء رسمك بذهاب اسمك.

المقطوعة التاسعة (*)

المعرفة

قال أبو القاسم الجنيد:

«سألت عن المعرفة وأسبابها، فالمعرفة من الخاصة والعامة هي معرفة واحدة، لأن المعروف بها واحد، ولكن لها أول وأعلى.

فالخاصة في أعلاها، وإن كان لا يُبْلَغ منها غاية ولا نهاية، إذ لا غاية للمعروف عند العارفين. وكيف تحيط المعرفة بمن لا تلحقه الفكرة، ولا تحيط به العقول، ولا تتوهمه الأذهان، ولا تكيّفه الرؤية؟! وأعْلَمُ خَلْقه به أشدّهم إقراراً بالعجز عن إدراك عظمته، أو تكشّف ذاته لمعرفتهم بعجزهم عن إدَراك من لا شيء مثله، إذ هو القديم وما سواه مُحْدَث، وإذ هو الأزليّ وغيره المبدأ، وإذ هو الإله وما سواه مألوه، وإذ هو القويّ من غير مقوّ، وكلّ قويّ فبقوته قَوي، وإذ هو العالم من غير معلّم، ولا فائدة استفادها من غيره، وكل عالم فبعلمهَ عَلمَ. سبحانه الأول بغير بداية، والباقي إلى غير نهاية، ولا يستحق هذا الوصف غَيره، ولا يليق بسواه. فأهل الخاصة من أوليائه في أعلى المعرفة، من غير أن يبلغوا منها غاية ولا نهاية.

والعامة من المؤمنين في أولها، ولها شواهد ودلائل من العارفين، على أعلاها، وعلى أدناها.

(*) المقطوعة التاسعة مستلة من كتاب **حلية الأولياء** ج١٠ ص ص٢٥٧-٢٥٩ .

فالشاهد على أدناها، الإقرار بتوحيد اللّه، وخَلْع الأنداد من دونه، والتصديق به، وبكتابه، وفرضه فيه ونهيه. والشاهد على أعلاها، القيام فيه بحقه، واتقاؤه في كلّ وقت، وإيثاره في جميع خلقه، واتّباع معالي الأخلاق، واجتناب ما لايقرّب منه.

فالمعرفة التي فضّلت الخاصة على العامة هي عظيم المعرفة في قلوبهم، بعظيم القدر والإجلال، والقدرة النافذة، والعلم المحيط، والجود والكرم والآلاء، فعظّم في قلوبهم قدره وقدر جلالته وهيبته، ونفاذ قدرته، وأليم عذابه، وشدة بطشه، وجزيل ثوابه وكرمه، وجوده بجنته وتحنّنه، وكثرة أياديه ونعمه وإحسانه، ورأفته ورحمته. فلما عظمت المعرفة بذلك، عظم القادر في قلوبهم، فأجلّوه وهابوه وأحبّوه، واستحيوا منه، وخافوه ورجوه، فقاموا بحقه، واجتنبوا كلّ ما نهى عنه، وأعطوه المجهود من قلوبهم وأبدانهم. أزعجهم على ذلك ما استقر في قلوبهم، من عظيم المعرفة، بعظيم قدره، وقدر ثوابه وعقابه، فهم أهل الخاصة من أوليائه. فلذلك قيل فلان باللّه عارف، وفلان باللّه عالم، لما رأوه مجلاً، هائبًا، راهبًا، راجيًا، طالبًا، مشتاقًا، ورعًا، متقيًا، باكيًا، حزينًا، خاضعًا، متذللاً، فلما ظهرت منهم هذه الأخلاق، عرف المسلمون أنّهم باللّه أعرف وأعلم من عوامّ المسلمين، وكذلك وصفهم اللّه، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر/ ٢٨] .وقال ـ داود عليه السلام ـ: «إلهي ما علم من لم يخشك».

فالمعرفة التي فضلت بها الخاصة العامة هي عظيم المعرفة، فإذا عظمت المعرفة بذلك، واستقرت، ولزمت القلوب، صارت يقينًا قويًا، فكملت حينئذ أخلاق العبد، وتطهر من الأدناس، فنال به عظيم المعرفة بعظيم القدر والجلال، والتذكّر والتفكّر في الخلق، كيف خلقهم، وأتقن صنعتهم، وفي المقادير كيف قدّرها، فاتسقت على الهيئات التي هيّأها، والأوقات التي وقّتها، وفي الأمور كيف دبّرها على إرادته ومشيئته، فلم يمتنع منها شيء عن المضي على إرادته، والاتساق على مشيئته.

المقطوعة العاشرة (*)

الوصـول

اعلم يا أخي أنّ الوصول إذا ما سألتَ عنه مفاوز مهلكة، ومناهل مُتْلفة، لاتُسلَك إلا بدليل، ولا تُقْطَع إلا بدوام ورحيل، وأنا واصف لك منها مفازة واحدة، فافهم ما أنعته لك منها، وقف عند ما أشير لك فيها، واستمع لما أقول، وافهم ما أصف: اعلم أن بين يديك مفازة إن كنتَ ممن أريد بشيء منها، واستودعك الله من ذلك، وأسأله أن يجعل عليك واقية باقية، فإن الخطر في سلوكها عظيم، والأمر المشاهد في الممر بها جسيم، فإن من أوائلها أن يُوْغَل بك في برزخ لا أمَدَ له إيغالاً، ويُدْخَل بك بالهجوم فيه إدخالاً، وتُرْسَل في جويهته إرسالاً، ثم تتخلى منك لك، ويتخلى منك له، فمن أنت حينئذ، وماذا يُراد بك، وماذا يُراد منك؟.

وأنت حينئذ في محل أمْنُهُ رَوْع، وأنسه وحشة، وضياؤه ظلمة، ورفاهيته شدة، وشهادته غيبة، وحياته ميتة، لا درك فيه لطالب، ولا مهمة فيه لسارب، ولا نجاة فيه لهارب، وأوائل ملاقاته اصطلام، وفواتح بدائعه احتكام، وعواطف ممره احترام. فإن غمرتك غوامره انتسفتك بوادره، وذهب بك في الارتماس، وأغرقتك بكثيف الانطماس، فذهبت سفالاً في الانغماس إلى غير درك نهاية ولا مستقر لغاية، فمن المستنقذ لك مما هنالك، ومن المستخرج لك من تلك المهالك؟ وأنت في فرط الأياس من كلّ فرج، مشوه بك في إغراق لجة اللجج؟ فاحذر، ثم احذر، فكم من متعرض اختُطف ومتكلّف انتُسف، وأتلف بالغرّة نفسه، وأوقع بالسرعة حتفه، جعلنا الله و إياك من الناجين، و لا حرمنا و إياك ما خصّ به العارفين.

واعلم يا أخي أنّ الذي وصفتُه لك من هذه المفاوز، وعرّضتُ ببعض نعته إشارةً إلى علم لم أصفه، وكشف العلم بها يبعد، والكائن بها يفقد، فخذ في نعت

(*) المقطوعة العاشرة مستلة من كتاب **حلية الأولياء** ج١٠ ص ص٢٥٩-٢٦٠.

ماتعرفه من الأحوال، وما يبلغه النعت والسؤال، ويوجد في المقاربين والأشكال، فإن ذلك أقرب بظفرك لظفرك، وأبعد من حظّك لحظّك، واحذر من مصادمات ملاقاة الأبطال، والهجوم على حين وقت النزال، والتعرض لأماكن أهل الكمال، قبل أن تُمَات من حياتك، ثم تحيي من وفاتك، وتخلق خلقًا جديدًا، وتكون فريدًا وحيدًا، وكل ما وصفته لك إشارةً إلى علم ما أريده.

المقطوعة الحادية عشرة (*)

العبـــاد

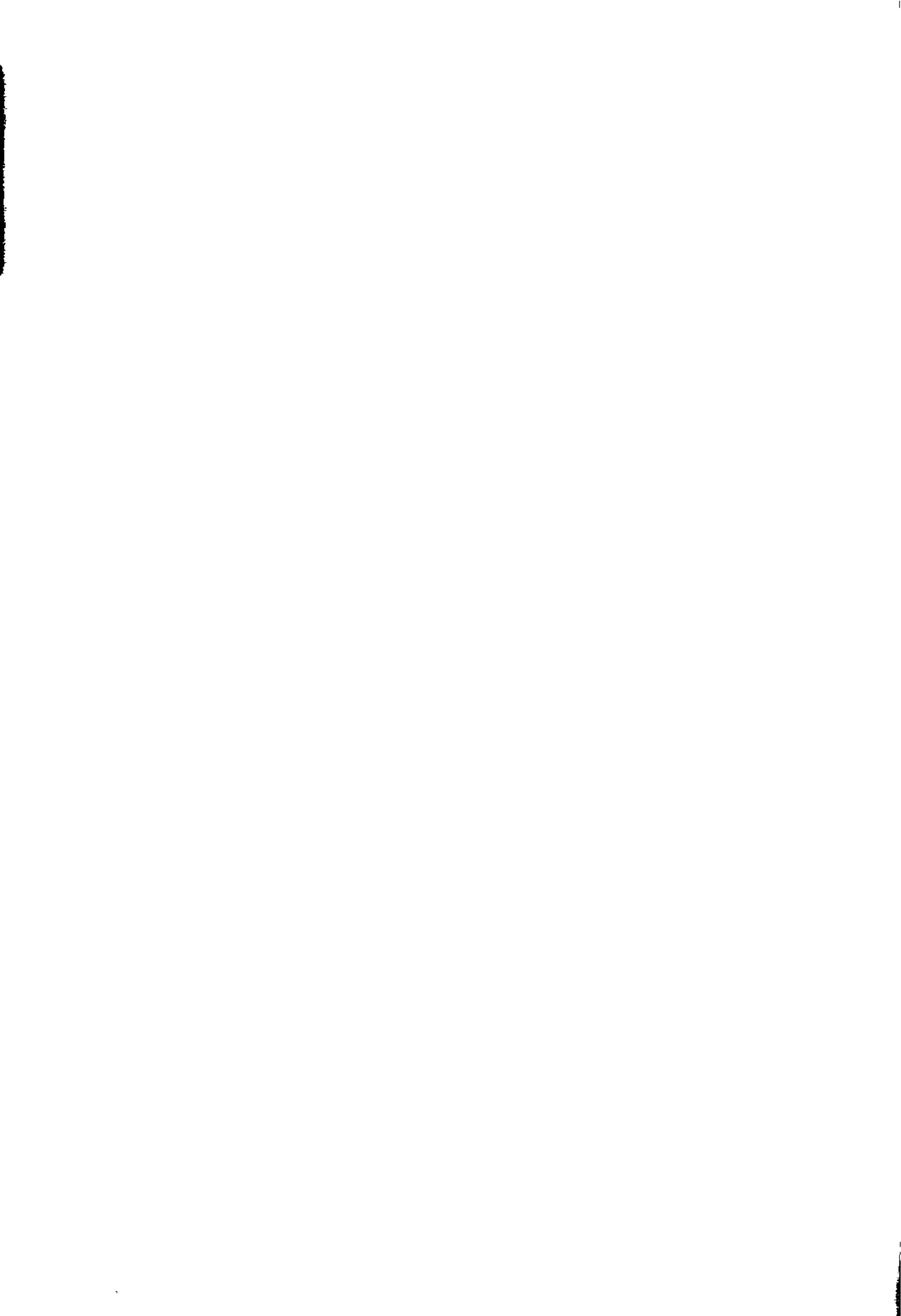
قال الجنيد:

«إن للّه عبادًا صحبوا الدنيا بأبدانهم، وفارقوها بعقود إيمانهم، أشرف بهم علم اليقين على ما هم إليه صائرون، وفيه مقيمون، وإليه راجعون، فهربوا من مطالبة نفوسهم الأمارة بالسوء، والداعية إلى المهالك، والمعينة للأعداء، والمتّبعة للهوى، والمغموسة في البلاء، والمتمكّنة بأكناف الأسْواء، إلى قبول داعي التنزيل المُحْكَم الذي لا يحتمل التأويل، إذ سمعوه يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ [الأنفال/ ٢٤]، فقرع أسماع فُهُومهم حلاوة الدعوة لتصفّح التمييز، وتنسموا بروح ما أدّته إليهم الفهوم الطاهرةَ من أدناس خفايا محبة البقاء في دار الغرور، فأسرعوا إلى حذف العلائق المشغلة قلوب المراقبين معها، وهجموا بالنفوس على معانقة الأعمال، وتجرّعوا مرارة المكابدة، وصدقوا اللّه في معاملته، وأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه، وهانت عليهم المصائب، وعرفوا قدر ما يطلبون، واغتنموا سلامة الأوقات وسلامة الجوارح، وأماتوا شهوات النفوس، وسجنوا همومهم عن التلفّت إلى مذكور سوى وليّهم، وحرسوا قلوبهم عن التطلع في مراقي الغفلة، وأقاموا عليها رقيبًا من عِلْم من

(*) المقطوعة الحادية عشرة مستلة من كتاب **حلية الأولياء** ج١٠ ص ص٢٦٢-٢٦٣

لايخفى عليه مثقال ذرة في بر ولا بحر، ومن أحاط بكلّ شيء علمًا وأحاط به خبراً، فانقادت تلك النفوس بعد اعتياصها، واستبقت منافسةً لأبناء جنسها، نفوسٌ ساسها وليّها وحفظها بارئها، وكلأها كافيها.

فتوهم يا أخي، إن كنت ذا بصيرة، ماذا يرد عليهم في وقت مناجاتهم، وماذا يلقونه من نوازل حاجاتهم، ترى أرواحًا تتردد في أجساد قد أذبلتها الخشية، وذلّلتها الخدمة، وتسربلها الحياء، وجمعها القرب، وأسكنها الوقار، وأنطقها الحذار. أنيسها الخلوة، وحديثها الفكرة، وشعارها الذكر. شغْلُها باللّه متّصل، وعن غيره منفصل. لا تتلقّى قادمًا، ولا تشيّع ظاعنًا. غذاؤها الجوع والظمأ، وراحتها التوكل، وكنزها الثقة باللّه، ومعولها الاعتماد، ودواؤها الصبر، وقرينها الرضا. نفوس قُدِّمت لتأدية الحقوق، ورُقّيت لنفيس العلم المخزون، وكُفيت ثقل المحن، ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء/ ١٠٣]، ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت/ ٣١-٣٢].



رسائل الجُنيد

رسائل الجنيد

١- رسالة الجنيد إلى عمرو بن عثمان المكي .

٢- رسالة الجنيد إلى أبي إسحاق المارستاني .

٣- رسالة إلى أبي يعقوب يوسف بن الحسين الرازي .

٤- رسالة الجنيد إلى يحيى بن معاذ الرازي .

٥- رسالة الجنيد إلى علي بن الأصبهاني .

٦- رسالة الجنيد إلى أبي بكر الكسائي .

٧- رسالة الجنيد إلى أبي العباس الدينوري .

٨- رسالة الجنيد إلى بعض إخوانه .

٩- رسالة الجنيد إلى بعض إخوانه .

١٠- رسالة الجنيد إلى بعض إخوانه .

١١- رسالة الجنيد إلى بعض إخوانه .

١٢- رسالة الجنيد إلى بعض إخوانه .

١٣- رسالة الجنيد إلى بعض إخوانه .

١٤- رسالة الشبلي إلى الجنيد .

١٥- المقدمة الأولى .

١٦- المقدمة الثانية .

١٧- المقدمة الثالثة .

١٨- المقدمة الرابعة .

١٩- المقدمة الخامسة .

الرسالة الأولى

إلى عمرو بن عثمان المكي(*)

أوتيتَ من العلم والحكمة أعلى منازله، وتناهيتَ من الرّسوخ في المعرفة إلى غاية أماكنها، وأدنيتَ في مجالس القرب إلى أزْلَف مواطنها؛ وتُبوّئ بك من كمال جوامع الأنباء إلى استيعاب معالمها، فجرى ذلك لك بالتّمكين وأنت مستبصر، وعَلَوتَ في سموّ انتهائه مشرفًا مستظهراً، قد تضمّنته بقوة الاشتمال عليه فأفضي[1] إليك، واستغنيت عن السعاية إليه بمنيع صولة التمكين، لأنّك[2] لذلك كلّه بواضح الحقّ مستبين، ولأنّك فيما اختُلف فيه من العلم على صحّة اليقين.

وجعلك اللّه مع ذلك ممّن سُعدَ به إخوانه، ونالوا البُغْيَة من العلم بوصفه وبيانه، وانكشفتْ لهم الحقائق المُشْفِيَة من تعبير لسانه، وأنِسَ منهم من غاب أوحضر بشرف مكانه.

بل جعلك اللّه نوراً يملأ بسنا ضيائه الخافقيْن، ويلوح مضيئًا طالعًا على سائر الثقلَيْن، فينال عند ذلك كلّ فريق منهم حظّه الكامل، ويصل إلى مراده الشّامل الفاضل، حتى تكون هذه الظواهر أموره التي ألْبسَها، وبَوادي أحواله الّتي أريدَ بها، وقد نظر فيها فوقفتْ به الضنَّة عن ظهوره، وتضمّنه الصّون والحَجْبَة والكَتْم عن حضوره. وذلك سرّ تَضِلّ العَقول عن الإشارة إليه، وتنقطع الفهوم عن شيء من الورود عليه.

هيهاتَ، هيهاتَ، طُمسَتْ عن ذلك أطواق كوامل العلماء، وضلّت عنه مقاليد أكابر الفهماء. فهو في تفَرّد توحُّده عَليّ، ويعزل قيومتَه تجرّدُه. فكم من مُومئ إليه بتوهّمه، ومن مُظْهر التّحقق[3] بهَ بالطيّب عنده، أن يعرض لينطق به وتلجلج لسانه، وتحيّر عند الإيماء به إلى بيانه.

(*) المخطوط رقم٢٢٧ ق ق٣٤ب-٤٣أ؛ نشر عبد القادر ص ص٧-٢٦

(١) خ: فأفضوا. (٢) خ: ولأنك. (٣) خ: ليحقق.

ويظن الجاهل إذا سمعه أنه قد أصاب، وهو في عمياء مظلمة عند الخطاب، يكون في دعواه وحقيقة الحقّ تدفعه، ويوهم بوصفه السامع في القصد إلى ما يقع الفهم به، في النفاذ فيما أمر به، والتّرك لما نهي عنه. وذلك بعض حقّ العلم على من حمله.

فمتى اقتضيتَ لنفسك يقع العلم له قبل إعطائك منها حقَّ ما للعلم واجب، احتجب عنك نفعُه ونورُه، وبقي عليك رسمُه وظهورُه. وذلك حجّة للعلم عليك، وإن كان رسمه ظاهراً[1] لديك.

فاحذر أيها الرجل، الذي قد لبس من العلم ظاهر حلْيَته، وأومأ المشيرون إليه بجميل لبْسَته، وقصّر عن العمل[2] بمحض حقيقته، مَا وَقعت به الإشارة إليك، وانبسطتَ به الألسن من الثنّاء عليك، فإنّ ذلك حتف لمن هذه الصفة صفته، وحجّة من اللّه تعالى عليه في عاقبته.

فلما سمع العالم من الحكيم ما نطق به، وقرع سَمْعَه بيان ما شرحه له، أطرق مفكّرًا، ثم انتحب بَعد الفكرة باكيًا، فطال بكاؤه، وعلا نحيبه، واشتدّ اضطرابه، فأقبل عليه عند ذلك الحكيم، فقال له: الآن حين بدت شمس الحكمة تطلع عليك، وواضح نورها يصل إليك، وعند ذلك تنجلي عنك ظُلمات ما أعرضْتَ عنه من علمك، وأغفلتَهُ من موانع العلل لفهمك، وإنّي أؤمّل بذلك صلاح ما أفسدتَه، والتّلافي لحفظ ما ضيّعته.

فلما سمع العالم إقبال الحكيم عليه بذلك، سكّنَ من اضطرابه، وهدأً من شدّة بكائه، ثم أقبل علَى الحكيم، فقال: زدني من دوائك هذا فقد لاوَم جراحي، وقويتْ الأطماع في الوقوع لحجّتي، فتخلّصني بلطيف حيلتك ورفق حكمتك من وبال ما أنت أعلم بما كَمُن منه في سرّي، واستتر عني من خفيٍّ هوى الشّرّ، فقد انطَوى عنّي في سالف الأوقات الماضية خفيٍّ مستبطنات كانت في السّرائر كامنة، وكشفتَ لي عنها بجميل نعتك، وأوقفتني على ما بطن منها بلطيف رفقك

---

(١) خ: ظاهر.   (٢) نشر عبد القادر: العلم، والأصح «العمل» كما ورد في المخطوط.

قال له الحكيم: تحمد اللّه أبدًا فيما أنعم به عليك، من إطلاعه إيّاك على ذلك، وإيقافه لك على مواضع خَلَلك، فكن بالذّل بين يديه خاضعًا، وافتقر إليه بالاستكانة والخضوع ضارعًا، فإنّك تلقاه لخفي[1] مناجاتك له سامعًا، وإنّك إذا كنت كذلك كان لك إليه شافعًا. واعلم مع ذلك، أن ألسنة الحكمة لا تنطق إلا من بعد أن يُؤذن لها، وإذا نطقتْ وقع النفع لمن أسْمعَ بها. وإنما مثل ذلك من فضل اللّه على خلقه، مَثَلُ غيث سمائه الذي إذا أنزله أحيا[2] به ميّت أرضه، أما سمعتَ اللّه تعالى يقول: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم/ ٥٠]، وكذلك يحيى اللّه تعالى بألسنة الحكمة ما أمات الإعراض عنه من قلوب أهل الغفلة.

قال العالم للحكيم: أجلْ، إنّ الذي وصفته كما وصفته، وإنّي أؤمّل من الذي انتدبني بلسان حكمتك، وجاد عليَّ تعطّف رحمتك، أن تستنقذني من وبال التقصير بدلالتك، وتخرجني من ذلّة التّخلّف بمصادفة رؤيتك. وقد علمت الآن أنّ أربي إلى التكشّف لي عما لزمني من وبال تركي للعمل بعلمي، وتخلّفي عما أوجبه حقّ العلم عليَّ، وعما استتر في نفسي، وانطوي بالاستخفاء في سرّي، ما لم أكن له مدركًا، ولا بما معي من العلم عليه واقفًا. وقد أشرقتُ الآن بقدر ما أيّدني اللّه تعالى به منك، ومنَّ به[3] عليَّ، وكشفه لي بأسبابك على بعض ذلك، فبعلمي بالقليل من ذلك علمت، أنّ عليَّ منه كثيرًا لم أدركه، وخَفيٍّ مُستَبْطَنًا[4] لم أره ولم أعرفه. فاكشف لي أيها الحكيم من أمري، عما أنت أعلم به مني، فإنّ الطّبيب أعلم بداء السقيم من نفسه، وأحقُّ أن يصف له من الدواء ما يكون سببًا لبرئه[5].

قال له الحكيم: قد بدتْ مطالعاتُ الفَهْم تُلْحقُكَ بمعرفة ما عليك من ذلك ولك، وبدت أوائل معاني الصحو تلوح لعقلكَ، وبدت أوائل الإفاقة تسعى[6] بحركاتها لبعض ما في سرّك.

---

(١) نشر عبد القادر: يورد «لاتخفي» بدلاً من «تلقاه لخفي».
(٢) المطبوع: وأحيا.
(٣) عبد القادر: «بي» والمخطوطان يوردان «به» وهي الأصح.
(٤) عبد القادر: «مستبطنات».
(٥) خ: لبرؤه.
(٦) خ: لسع.

واعلم، أنّ ضرر الأديان أشرّ من ضرر الأبدان، وسقم الجوارح والأجسام أسهل من سقم القلوب والأفهام. لأنّ علل الدّين والآفات المعترضة على اليقين سبب للبوار، ومورِدةٌ لأهلها على النار، مؤدّية إلى سخط الجبّار. وما عدا ذلك إلى غيره، وكان واقفًا فيما سواه من الأمراض والأسقام الكائنة في الجوارح والأجسام، فذلك ضرر يُؤمَل برؤُهُ، ويزول مكروهه وشرّه، ويُرجى من اللّه تعالى ثوابه وأجره.

واعلم، أنّ الطّبيب العالم المجرّب، والحكيم النّاصح المؤدّب، أعْلَم بدنف الأبدان والعلل المخامرة بآفاتها للأديان. لأنّ المعبِّر عنهما يعبّر عما يجد من ذاته، والواصف لما حلّ به من بلائه، مقصّر عن بلوغ نعته لذلك، مختلف عن الوصف لماهنالك. ووصف المتطبّب الخبير، المجرِّب البصير، يكشف لأهل الأمراض عما وجدوه، وينبئهم عن زوال ما فقدوه، حتى كأنّ الموصوفَ بعبارة اللسان، منظورٌ إليه بحقيقة العيان. . . وإني أصف لك على أثر ذلك أموراً تقوّي لكَ حالك، وتُبلّغك غاية البغية من سؤالك، والقوة باللّه العظيم.

علم أيها المنسوب إلى العلم، بوقوع الصحو لك تتبين حيرة السّكرة، وبكون الإفاقة تقف على وقت الغمرة. هو بصحة الذّكر ينكشف لك وبال الغفلة، وبالسلامة والعافية يتميز لك وقت العلة.

فاعلم، أنّ ذلك كلّه، مُشْغلٌ في حين كونه عن حقيقة معرفته، ضارّ لأهله بما لبسهم منه عن وجود حيرته إلاَ بحَمْله علمٌ مزاجه اللّبس والظّلمة، ليثبت اللّه تعالى بذلك عليهم الحجّة، فخلّ عن نفَسك، أيها المعنيّ بها والحريص على تعجيل استنقاذها، وبال السّكْرة والغَمْرة والغَفْلة والحَيْرة باستعمال ما أصفه لك، والإسراع إلى ما أحثّك عليه، والمبادرة إلى ما أشير به إليك. فإنّ صحّة الصّدق، وجودة القصد، يؤدّيانك إلى المحلّ الذي هو باب المدخل فيما تحبّه، والمخرج ممّا تكرهه، ولن يحجبك عن بلوغ ما تريد–والقوّة باللّه– إلا بتقصيرك عن المجاهدة في واجب حقّ السعي عليك. فاحذرْ، ثمّ احذرْ، أن تكون على شيء من ذلك مقصرّاً، أو ألفاك وقتًا وأنت عنه فاترٌ راجع، فإنّ مطيّتك الموصلة لك إلى بغيتك، صدقك في إقامة المناصحة في محلّ مجاهدتك. قد أوقفتُك على وجه المنهج والمدرجة، وقرّبتك من المسير على أوضح المحجّة.

واعلم أيها الرّجل الحاذر، المحثوث المبادر، أنّ الإقامة المانعة لك ولنظرائك، بعد الحمل للعلم، وطول السّعاية فيه، ودوام العناية بجمعه، والاستكثار من الحمل له، الميلُ إلى التّأويل، والدّخول به فيما خفي من النّفس من الميل إلى الدنيا والرّكون إليها.

وهم [أي المتأولون] في ذلك على معان مختلفة: فمتأوّل مُتبيّن الأغماض والأغراض[1] فيما استكن في خفايا نفسهً، فمضى فيه على ما عليه منه والعلم بنكته، ولا يتركه في كثير من الأوقات، ويستتر ذلك عليه في بعض أوقاته. ومتأوّلٌ قَصَدَ الصّحّة والتّحقيق فيما تأوّله، ولحقه في ذلك الميل من حيث لم يستدركه، وانطوى عليه ما عليه فيما قصد له، وكان عنده أنّ[2] الذي عَمَدَ له وتأوّله أولى به من غيره فمضى على ذلك، وهذا نعت حاله. فكان مما قصد له في التّأويل على معنى الصفة الأولى، التي تُبين لصاحبها خفيّ أغماضه وطَويَّ ما في نفسه، إذ جعل العلم ذريعة وسببًا إلى ذلك، فلبس حليته وتجمّل[3] بلبوسه، وأظهر بالتأويل أثر العلم، ودعا إليه، ونصب نفسه للشهرة به، ليعلم الناس ما علم منه، فلما عُرف موضعه ومكانه، وسُمع منه وأقبل الناس عليه نحوه، استحسن اجتماع العوام عليه وثناء الجاهلين بما ليس فيه، فقوي عليه بذلك سلطان التأويل، وأوهم نفسه حظّ اجتماعهم، وانبساط ثنائهم، وكثرة تعظيمهم، وحُسْن قبولهم له، بماظهر من نفسه وتحسّن به، مما يعلم اللّه تعالى منه خلاف ما أسرّه وأضمره. فلمّا استوى له ذلك عند العوام والجَهَلَة، وكثرة حمد الحامدين بالغلط والغفلة، مال إلى ما في نفسه من أخذ العَوَض على ما نشر من علمه، ورضي بما تعجّله من ذلك ثوابًا لعلمه، وصار بائعًا للعلم بالثّمن اليسير والخطر القليل، ورضي بالدّنيا عوضًا من الآخرة، ومن ثواب اللّه تعالى على الأعمال الصّالحة، [فأصبح] في جملة من ذمّه اللّه تعالى في كتابه وقصّ علينا من بيانه على لسان نبيّهﷺ، قال اللّه ـ عزّ وجلّ ـ: **﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾** [آل عمران/ ١٨٧]،

(١) نشرة عبد القادر «والأعراض»، واقترح أن نقرأها «والأغراض» بزيادة نقطة على حرف العين.

(٢) سقط من نشرة عبد القادر: «أن».

(٣) نشرة عبد القادر «وتحمّل» واقترح أن نقرأها «وتجمّل» بزيادة نقطة تحت الحاء.

وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ [الأعراف/ ١٦٩]. فذمّهم الله تعالى وقصّ علينا في كتابه، وصرّح بذلك إلى العقلاء من عباده، وبينه بيانًا محكمًا قويًا، لئلاّ يكون لمحتجّ في ذلك حجّة، ولا لقائل فيه مساغ ولا مدافعة.

ثم إن الله تعالى قصّ علينا قصص الأنبياء - عليهم السّلام -، وأخبرنا بما نعتهم به، وبما أخذ عليهم من ترك الدنيا، والتّشمير إلى الآخرة، وألاّ يأخذوا على شيء من ذلك ثمنًا، ولا يريدون عليه أجرًا. ولأنّ حقّ العلم وحقّ تأديته إلى الخلق، ألاّ يكون لشيء منه جزاء إلا ثواب الله - عزّ وجلّ - عليه، والجنة التي جعلها دار من اتّقاه وأطاعه، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص/ ٨٦]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى٢٣/].

وكذلك قصّ علينا في قصص الأنبياء - عليهم السّلام -، قول نوح: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان/ ٥٧]، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود/ ٨٨]، وقال: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [هود/ ٥١] ومثل هذا كثيرٌ في كتاب الله تعالى.

وهذه سيرة الأنبياء - عليهم السّلام - في الأمم، وسيرة العلماء في النّاس، ألايأخذوا[١] على شيء من العلم ثمنًا، ولا يطلبوا[٢] على شيء مما[٣] يعلّمون أجرًا، وسيّما [ما] أخذه العلماء على العلم سحتًا، وسيّما ما أخذه الرّبّانيون والأحبار مع نهيهم عن ذلك، فقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة/ ٦٣]، والأخبار في النّهي عن ذلك كثيرة، والاستقصاء في ذلك من الحجّة يطول وصفه، وقد تبين لك بعض مافيه كفاية وبلاغ، والله الموفق.

---

(١) خ: «يأخذوا»، المطبوع «يأخذون».

(٢) المخطوط ونشرة عبد القادر المطبوعة: «يطلبون».

(٣) المطبوع: «بما».

وأما الطّوائف الّتي تأوّلت، ورأتْ أنّ الذي تأوّلَتْه هو الحقّ، فإنهم قومٌ لحقهم الزلل من حيث غاب[1] عنهم علم الحقيقة؛ ونالهم من المشكلات التي لا تَبين لأهلها إلا بعد التّورط فيها والانغماس في مكروهها. جعل القوم أئمتهم فيما تأوّلوه رجالاً[2] قلّت مناصحتهم لأنفسهم، ولم يصادفوا صواب الحقيقة فيما عَمَدُوه. قالوا [هؤلاء الرجال] :للخلق[3] إلينا فيما عَلمناه أشدّ الحاجة، وعلمُنا إقامة الحقّ في سائر الخلق. فمن ذلك تقديم الأئمة، وَالمشورة عنهم، والتقوِّي بهم[4]، وكذلك الأمراء والرؤساء وعظماء أبناء الدنيا. فجعلوا السعي إلى الخلفاء والأمراء والحكماء وعظماء أبناء الدّنيا عملاً لهم يحتسبون به، ويؤملون ثوابه، وجعلوه من أجلّ الأعمال، وأعظمها قدرًا، وأوفرها عندهم ثوابًا. [فحملوا العلم إليهم إلى الخلفاء والأمراء وعظماء أبناء الدنيا]، وطرقوا به أبوابهم، وسَعَوْا بماحملوه منه إلى من لم يطلبهم له، ولم يدعهم إليه، ولم يعرفهم به. فلحقهم في أول الأمر ذلّ السّعاية، والتّوسّل إلى الحُجّاب، ومهانة الوقوف على أبوابهم. فمن بين مأذون له ومن بين مردود، قد لحقتهم المذلّة، وَعَلَتْهم العقوبة، ولبستهم الذّلّة، ورجعوا بخضوع المذلّة. فلم يزالوا كذلك في نَصَب الغدو والرواح، وذلك سبب الهلكة والاجتياح، حتّى وصلوا إلى الّذي قصدوا، ونسوا الإله الّذي عبدوا. وأوردتْهم الغفلةُ والنسيان مواردَ الأموات، وغمرتْهم كثرة العلل والآفات، واتّصلتْ بأبصارهم وقلوبهم فتنة ما أعدّ أبناء الدنيا لأنفسهم، وآثروه على أمور آخرتهم، من بهجة رونقها، ونضرة زينتها، ولوعة زهرتها.

واعلم أيها الباحث عن واجب العلم وشرفه، والطّالب للمصافاة بخالص الأعمال لسيّده، أنّ أقدام القوم [الطوائف التي تأولت] عن مناهج الحقيقة انحرفت، وأنّ قلوبهم على صحيح الإرادات ما استوت، وأنّهم مالوا بخفيّ ما في النفوس على جميل ما أظهروه، وإلى محبّة علم الخلق به وتعظيمهم عليه، وإجلالهم من أجله. وأحبّوا اجتماع الخلق عليهم، وإشارتهم إليهم[5]، حتى تصوب آراؤهم، وتصدق أقوالهم، وتكبر غايتهم، ويتّصل الثّناء لهم. وإن قصّر [الخلق] عن شيء من ذلك عنهم كرهوا، وإن لم يقع لهم ما يحبّون[6] غضبوا،

---

(١)خ: غابت. (٢)خ: رجال. (٣) خ: المطبوع: «بالخلق».
(٤)خ: منهم. (٥)خ: إليه. (٦)خ: يحبوا.

ولا تسل عن فرط الغضب منهم، والرّضا والتّعتّب منهم على من خالف مواقع الهوى. ووَصْفُهم[1] بكلّ ما هم فيه يطول به الشرح، ويطول به الكلام، وقد شرحت لك من وَصْفِهم ما انبسط به لساني، وأجرى لك من نعتي وبياني، وفي ذلك كفاية.

فالبسْ الآن أنت جلابيب الحذر، وتدرّع بأدرع الخوف، وخذ على نفسك جنّة التّقوى، وقم للّه تعالى على نفسك بدوام الرعاية، ودوام التّفتيش، وشدّة المحاسبة، وجودة التّحصيل، وصدق البحث، وصلْ سرّك مع ذلك بدوام الذكر وقَوِّي الفكر. فكن ممن جاهد في اللّه ـ عزّ وجلّ ـ حقّ جهاده، وممن أثنى اللّه تعالى عليه من صالحي عباده، مع ما يقع لك من الوعد الجميل والثّواب الجزيل. قال اللّه ـ عزّ وجلّ ـ :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال اللّه تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦]. فهاتان آيتان مُوجبتان لمنالات الخير، ووقوع الهداية والرّشد، فخذ بحظّك الأوفر من العمل بهما، و اللّزوم لما أمر الله تعالى فيهما. وكن على حذر من موافقة شيء مما تقدّم به النّعت، من ذلك التّأويل وخطأ الرأي، فإنّ ذلك مؤدٍ[2] إلى إحباط العمل وشدّة النّدامة في المُنْقَلب.

قال له العالم: أيّها الحكيم قد أتيتَ على الّذي في نفسي، وبلغتَ مدى ما كان يجول في صدري، وزدْتَ على ذلك من الوصف أشياء عرفتُ فضلها، وانكشف لي صواب العلم بها. وأرجو أن يكون ذلك من فضل اللّه تعالى عليّ[3] ورحمته لي، وقد جعلك اللّه تعالى سببًا لتنبّهي[4] على أمور، لولا منّة اللّه تعالى عليّ بك فيها، لذهب بي التّقصير عن العلم بها حيث ذهب بمن تقدّم وصفك له، فأوقَفَني حقيقةُ علمك بها على زَلَله[5] وخطأ رأيه. وقد أنعم اللّه عليَّ بما أيّدني به منك،

---

(١) نشرة عبد القادر: وصفهم. (٢) نشرة عبد القادر: «مؤدى».
(٣) عبد القادر: أسقط «عليّ». (٤) عبد القادر: «التنبيهي». (٥) نشرة عبد القادر: ذلله.

وعظّم عندي قدر ما جعلك اللّه له أهلاً، وموضعًا من شرحك لما تقدّم من نعته ووصفه، من أحوال الطبقات الثّلاثة المتأوّلين، وما وقع لهم من الخطأ في القصد، والميل بالعمل إلى غير منهجه، وإلى الانحراف فيه عن سواء السبيل. وقد احتجت أن تصف لي مقام[1] العاملين للّه تعالى بحقيقة العلم، القائمين بحقّه، الصّادقين فيما حملوا منه، وفيما قلّدوه من تأديته، الممدوحين بنشره، وبما نقلوا إلى من دونهم منه، والمحتسبين في تعليمهم النّاس على صحّة الإرادة، وإصلاح[2] النّية، وجميل السّيرة، الّذين لم تَمُلْ بهم الأطماع ولم يفتنهم الاختداع، ولم تعرج بهم الأهواء، ولم تسترقْهُم إراداتُ النفوس، ولم تُعْطفْ بهم الدنيا، ولم يجرِ عليهم الزلل والخطأ، وكانَوا في ذلك كله على صحّة المعنى.

قال الحكيم: أبشْر بما فتح اللّه تعالى لك من باب السؤال، ويسّرك له من صحّة المقال، فإنّ ذلك - إن شاء اللّه تعالى - سبب إلى ركوب الأعمال، ومباشرة جميل الأفعال، ومؤدّيًا لما أؤمّله لك إلى تمهيد صدقك. فأخلص[3] لإرادة للّه تعالى في حقيقة قصدك، واجعلْ توسّلك إلى الحكمة، واستدعائك لما تحب منها، تحصين سرّك من العلل المانعة عنها، وأصلحْ الضمير بإجمَامه لما يجب لها. فإنّ الحكمة لمن اشتملت عليه فيها الرغبة، واستولت على خالص سَرّه المحبّة، أشدّ عطفًا وحنينًا وميلاً منا لأم الشفيقة[4] والأب الرفيق.

وكأنّي مع ذلك أرى سحابًا من العلم غدقةً منبسطةً عليك، مونقةً قد أظلّك غمامها، وقويت لك الآمال باستتمامها. فاستمطر[5] الغيث الكائن فيها، بدوام الوقوف بحضرة فنائها، وأدم الاستغاثة بمُنْزل الغيث، ومُنشر السحاب، وكاشف الضّر، ومُعْتق الرقاب. واعلم أنّه جلّ ثناؤهَ يحيي بقطرة من غيث رحمته، مواتَ ما أنزلها عليه بَريّته. فتحرَّى[6] طلب الحياة تكون السقيا، فإنّ أوائل تلك الغمام توجدك الشّفا، وإن غدق ما بها يغسل عن سرّك الميل إلى الدنيا، ومباشرته

---

(١) نشرة عبد القادر: اسقط «مقام». (٢) نشرة عبد القادر: «وصلاح». (٣)خ: وأخلص.
(٤)خ، المطبوع: الشفيقة، إلا أن عبد القادر قرأ اللفظ في المخطوط على أنه: الشفقة.
(٥)خ: واستمطر. (٦)خ: فتحرا.

بجسمك يغسل عنك سائر الأدواء، وذوقك لسائغ طعمه يميت من نفسك الهوى.

واعلم أنّ اللّه تعالى إذا أراد عبداً سهّل له السّبيل، ووطّأ له التّثقيل[1]، وأسرَع به في التّرحيل، وبلّغه المنزل الفضيل، ومنحه الحظّ الجزيل. وإنّي أؤمّلك من الذي عرّضك لنجاح السّؤال، وصحيح القصد في المقال، أن يبلّغك بفضله عليك ورحمته إيّاك، منازل المنتجين من أوليائه، والأصفياء المستخلصين من عباده.

[نعت أهل الحقائق من أهل العلم]:

وأنا واصف لك-إن شاء اللّه تعالى- ما سألتَ عنه، من نعت أهل الحقائق من أهل العلم، العاملين به، الصّادقين في القصد إليه، المجتهدين في إقامة حقّه، المريدين للعلم لما وجب عليهم منه، الّذين لم تفتنهم فيما قصدوه أطماع الدنيا، ولم تَملْ بهم عن الأخذ بحقيق، ولم يستفزّهم الغواة من الأعداء، ﴿**أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [المجادلة ٢٢].

إعلم أنّ أوّل ما أوتي[2] المحقّقين من أهل العلم من العمل في أول الطلب، إصلاحُ النيّة، وصحّة المراد، والموافقة فيه للنّفوس فيما بدا من إرادة الطّلب، فلم يبيحوا أقدامهم السّعي، ولم يتحرّكوا في ذلك بالجوارح، إلا من بعد ما أحكم جميل النظر لهم بالانبساط فيه؛ فسعوا فيه على أصل ما أدّبهم العلم به في أول الأمر، ومضوا على صحّة الحال وشهادة العلم بذلك.

وألزَمَ صحّةُ ما يبدو[3] به الحقُّ قلوبَهم [المحققين من أهل العلم]، الإشفاقَ والحذرَ والتّقيّة. فضمّهم وجود ذلك، وألزمهم حصر الجوارح وضبط السرائر ودوام الصّمت، وخافوا مع ذلك أن يكونوا قد قصّروا عن واجب حقّ السّعي في طلب العلم، واشتدّ تحصيلهم على النفوس، وصحبهم جميل الذّكر، ودوام الفكر في مواطن السعي، فحماهم ذلك عن الانبساط عن معاشرة الطالبين له، والسّاعين معهم فيه، فكانوا بحال والحاضرين معهم بحال، كلّما بَدَا من غيرهم لَغْوٌ أعرضوا، وكلّما بدا من سوّاهم غفلة أو لعب خافوا وحذروا، وكلّما ظهر لهم من

---

(١)خ: بالتثقيل. (٢)خ: أتُوا. (٣)خ: يبدوا.

غيرهم مزعج يجري إلى تأكيد حالهم، وتشديد ضبطهم لما عليهم، يدعون لمن حضرهم بالسّلامة، ويحبّون لهم الصّلاح والاستقامة.

لا يؤذون الناس، ولا يحقّرونهم، ولا يغتابونهم، ولا يذمّونهم، بل يشفقون عليهم إذا رأوا منهم الزلل، ويدعون لهم إذا بَدَا منهم الخلَلَ، يعرفون المنكر وينكرونه ويتجنّبونه، ويعرفون المعروف ويحبّونه ويستعملونه، لا يزدرون المقصّرين لكثرة وجوده، ولا يغمصُون مَنْ دونهم لما به من حالهم حمدوه[1]، بل يعرفون ذلك [الحال] بدلالة العلم عليه، ولا يخفي عليهم من القوم ما نسبهم الحق إليه. فصواب ذلك وخطؤه لهم بالعلم مميّز[2]، والسّلامة من رؤية مكروه ذلك لهم صاحب[3]، وفيما ألزمهم الإشفاق والتّقوى شاغل[4]، ولهم على طلب العلم مَقْبَل[5].

ألسنتهم بحمد ربّهم عند سماع العلم ناطقة، وقولهم إلى اعتقاد العمل به مبادرة، وآذانهم بحسن الإصغاء إليه سامعة وأبدانهم بالخدمة للّه تعالى ساعية. أحسنوا على جميل السيرة جَمْعَه [العلم]، وبالوفاء بفضل اللّه تعالى عليهم فَهْمَه ولم يزالوا بدوام السعي إليه، وشدّة الإقبال عليه، وبكثرة اللّزوم لمن العلم حاضر لديه، حتّى أخذوا منه بالحظّ الأوفر والنّصيب الأكبر. فلمّا بلغوا منه إلى ما به يستعينون، وغاية ما إليه يحتاجون، وبحقائقه في سائر الأوقات يعملون، رجعوا إلى تفتيش ما كتبوا، وإلى البحث عمّا منه طلبوا، فكان ذلك[6] مانعًا لهم من السّعاية[7]، جامعًا لهم إلى الخلوة بالعبادة.

ووقفَتْ بالناس إليهم الحاجة، وعرف موضعهم بجميل الإرادة، وعرف أماكنهم من العلم، وشرفت أحوالهم من الفضل، وانبسط ذلك ونشأ، وظهر ذلك وبدا.

---

(١) أي إن وجدوا حالاً محموداً فيمن هم دونهم لا يقللون من شأنه.

(٢)خ: مميزًا. (٣)خ: صاحبًا. (٤)خ: شاغلاً.

(٥)خ: مقبلاً. (٦) عبد القادر: اسقط «ذلك». (٧)خ: السقاية.

فمن بين خال بعلمه، متشاغلٌ عن الخليقة بعبادته، مؤثرٌ[1] للعمل فيما فتح اللّه تعالى عليه منه، ولا يريد بإدامة الخدمة للّه تعالى بدلاً، ولا بالخلوة بما فتح اللّه تعالى له من ذلك حولاً.

ومن بين من حَضَرَتْه في نَشْره العلم النّيّة، وقويت له على تعليمه العزيمة، وسنحت له في ذلك رؤية الفضيلَةَ، فانبسط في نشر العلم محتسبًا، وكان في العمل للّه تعالى بذلك مخلصًا، يرغب إلى اللّه ـ عزّ وجلّ ـ في جميل الثّواب، ويؤمّل من اللّه تعالى جميل العائدة في المآب، مصحوبًا[2] في ذلك بمصادفة الصواب. إذا قال، نطق بقوة العلم. وإذا سكتَ، سكتَ بوقار الحلم. وإذا قصد إلى البيان، قرَّب منال الفهم. إذا كثروا عليه أحبّ نَفْعَهُم، وإذا تفرّقوا عنه نَصَحَهُم. يؤدّي إليهم ما حمل من العلم بلسان فصيح وبيان صحيح، بقلب نصوح وقول صادق، ولا يعجّل على من جهل، ولا يكافئ من زلّ وأخطأ، ولا يوافق[3] بالمراءاة[4] أحدًا.

يعفو عمّن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويحسن إلى من أساء إليه، ويتجاوز عمّن يتعدّى عليه، ولا يريد على شيء من أعماله من الخلق أجرًا، ولا يميل إلى مدْحَة ولا ثناء. يجتهد للّه تعالى في إخلاص أعماله، ويريد وجهه بجميل أفعاله.

لا يقبل الدنيا ممّن يبذلها له، ولا يعرّج على من انبسط بها إليه. يضع الدنيا حيث وضعها خَالقُهُ[5]، ويغنيه منها ما قَسَمَه له رازقُه. لا يُشْغَل منها بما يزول، ولا يعمل فيها بما لا يدَوم. منصرف بقلبه عن زينتها، منحرف عن كلّ ما دعي إليها من بهجة رونقها. يكفيه ما قلّ وصفا، ويجزيه ما سلم واستوى. يقف منها عند الشبهات، وينصرف عن الأمور المشكلات. بل هو للحلال البيّن تارك، وفي الأخذ لما لا بد له منه مقتصد. قد آثر فيها وفي كلّ ما دعي إليها الزهادة، ولزوم الكدّ والعبادة. يرحم من مال برغبته إليها، ويَرْثَى لمن أقبل بطلبه عليها. لا يراها حظًا لمن طلبها، ولا ثمنًا لسعي من اشتغل بها. ينظر إليها بعين زوالها، وبقرب انتقالها. فهذا محلّ الدنيا عنده، ومكانها في العلم بها لديه.

---

(١) خ: مؤثرًا. (٢) خ: مصحوب. (٣) نشرة عبد القادر: «يواقف».
(٤) خ: بالمرأة. (٥) نشرة عبد القادر: «خالقها».

وهو مع ما وصفته لك دائم العزلة، كثير الخلوة، متّصل الجدّ والخدمة. يجد راحة قلبه، وقرّة عينه[1]، وسرور فؤاده، فيما خلص من صالح العمل إلى سيده، وأمل عائدة ثوابه في معاده. فإذا ظهر للنّاس في وقت اجتماعهم عليه، وطلبهم للعلم العتيد لديه، ظهر بجميل النّيّة وصحيح الإرادة. فكان ذلك عنده بعض الأعمال المقرّبة الصّالحة، فهو لا يخلو من حال هو بها في الخلوة متعبّدًا، وإلى اللّه تعالى فيما يقرّب إليه مجتهداً، ومن حاله أن تكون قد حضرته النية. ويبرز للخلق فيكون لعلمه ناشراً، ولهم مما علّمه اللّه تعالى معلّمًا. والوجل والخوف من اللّه ـ عزّ وجلّ ـ في أحواله، والحذر والإشفاق دائمًا لا يفارقه. يقوم بشرائط علمه، ويعدل في قوله وحكمه.

هو من أقوم الناس بالأحكام، وأعلمهم بالحلال والحرام، وأبصرهم بشرائع الإسلام. يقع على آثار المرسلين، ويتّبع سنن الأنبياء[2] والصّالحين. لا يميل إلى بدْعَة، ولا يقصّر عن الأخذ بالسّنّة، بعلم بارع مُحْكَم قويّ، وحال واضح بيّن مَستو[3]. متوسط بجميع المذاهب[4]، متحر[5] لأقوم الآراء. لايميل إلى الكلام[6]، ولا يخطر به منه اهتمام. لايطعن على الأئمَّة ولا يذمّها، ويحب لها من الصّلاح ما يعمّها.

يرى السمع والطاعة، ولا يَنْزَع يَدًا من جماعة. يرى أن الخروج على الأئمة من فعل الجهلة الفاسقين، والغواة المارقين، الّذين يريدون الفتن، ويبتغون الفساد في الأرض. أولئك [الخارجون على الأئمة] العداة والفسّاق، والظَلَمَة المرّاق، الذين سلكوا غير سبيل الهدى، واستصحبوا الغواية والرّدى، ومالوا بالفتنة إلى الدنيا. وقد رفع اللّه ـ عزّ وجلّ ـ عن ذلك أقدار العلماء، وجعلهم أئمّةً هُداةً نُصَحَاء، أخياراً أبراراً أتقياء، خلصاء سعداء نجباء، سادةً أجلّةً عظماء، حلماء كرماء أولياء. جعلهم اللّه أعلامًا من الحقّ منشورة، ومناراً للهدى منصوبة، ومناهج للبريّة مضروبة.

---

(١) نشرة عبد القادر: «عينيه».
(٢) نشرة عبد القادر: «الأولياء».
(٣) خ: مستوى.
(٤) أي المذاهب الفقهية.
(٥) نشرة عبد القادر: «متحري».
(٦) الإشارة إلى علم الكلام والجدل في العقيدة.

أولئك علماء المسلمين، وأمناء المؤمنين، وأجلّة المتّقين. فبهم في نوائب الدّين يُقتدى، وبنورهم في ظلمات الجهل يُهتدى، وبضياء علمهم في الظّلماء يستضيء. جعلهم اللّه - عزّ وجلّ - رحمة لعباده، وبركةً على من شاء من بريّته يُعَلّم بهم الجاهل، ويُذَكّر بهم الغافل، ويُرشدبهم السّائل، ويُعطي بهم النائل، ويزيد بهم العامل، ويُبَلِّغ بهم إلى المحلّ الفاضل، ويَحُثّ بهم الرّاحل، ويُمكّن بهم القويّ الكامل.

أولئك الذين عمّروا بالذكر للّه تعالى أعمارهم، وقطعوا بالعمل الفاضل الزّكيّ آجالهم، وبَقَوْا بذلك للخليقة محمودَ آثارهم، ووضحت للبرية ضياء أنوارهم، فمن اقتبس من سنا نورهم استضاء، ومن قفّا على آثارهم اهتدى، ومن اتّبع سير ماهم عليه سَعِدَ، ولم يَشْقَ.

أحياهم اللّه تعالى حياة دائمة، ويتوفّاهم وفاةً سالمةً. وأنسوا بما قَدموا به إلى الآخرة، جعل اللّه خواتم أمورهم أفضلها، وأحوالهم التي قُبضَوا عليها أجملها.

وبعد، أيّها السّائل عن نعت المحقّقين، من العلماء العاملين بالعلم في مدّة البقاء، فقد وصفتُ لك بعض أحوالهم، و نَعَتُّ لك كثيراً من جميل أفعالهم، ولو أردتُ بلوغ الاستقصاء لوصفهم، وذكر ما يستحقّونه من نعتهم، لطال بذلك كتابي، واتّسع به جوابي. وفيما أجرى اللّه تعالى ذكره من ذلك كفاية لمن اهتدى، وبلاغ لمن عمل بما هو أولى.

قال العالم للحكيم: أيّها الأستاذ العطوف[1] الرّحيم، والمعلّم الناصح الحكيم، لقد أزعجتَ بوصفك للقوم قلبي، وملأتَ بالخيفة صدري، وعرفتُ بذلك موضعي وقَدْري، وخفتُ أن يعجز عن حمل ما عرفتُه صبري، لما بيّنتَه من شدّة تقصيري، ودوام تخلّفي، فاحتقرتُ عند المعرفة نفسي، وأيقنتُ بليّتي ونقصي. فكيف لي بما أكون به من ذلّ التخلّف خارجًا، وعن مذموم أخلاق نَفسي راحلاً، وفي أوائل طريق القوم داخلاً، فإني أرى الوقوف عن ذلك مأثمًا، والبقاء مع الحال الّتي أنا عليها مَغْرَمًا.

---

(١)خ: العطيف.

قال له الحكيم: لقد سألتَ عن شأن عظيم، وأمر عال جسيم، يسهل على العالمين[1] بفضله، ركوب الأهوال فيّ طلبه، وحمل الأثقال، والتّغرّب من الأوطان، والخروج عن الأموال. وقلّ من قويت فيما عند اللّه تعالى رغبته، إلا سَهُل عليه بَذْل بدنه ومهجته، ولم يعظم عليه شيء في بلوغ بغيته. فكن أيّها السّائل عن منازل النّجباء، ودرجات العلماء، وأحوال الأئمّة العظماء، المقفّين على آثار الأنبياء، على ترك لكل سبب عن منهاج القوم يعطفك عن سبيل الهداية والرّشد ويمنعك. فكن إلى اللّه تعالى راغبًا فيما إليه يرفعك، واعلم أنّ ملاحظتك بالرغبة إلى ما قلّ من الدنيا أو كثر، حجابٌ لك عن الآخرة، وعلّة على مُلامَحتَك[2] في حين نفاذ البصيرة. فنحِّ عن ملاحظة الضّمير ما يورثك رؤيته النّقص والتّقصير، وصَفّ[3] الضّمائر، وطهّر السّرائر، بتجريد الاعتزام، وإجمام الاهتمام، تفرّدًا منك بما له قَصَدْتَ، وفي إدراكه رغبت. فإنّ في إصلاحك لما بَطُن من سرّك، إحكام لما عَلُن[4] وظَهَر من جَهْرك. فإيّاك أن تميل إلى شَيء وإن قلّ خطره، فيميل بك عن محمود وَضُح لك أمره. فإن أغبن الغبناء من باع كثير ما يبقي، بقليل مايفني[5] ومن شَغل نفسه عن أمور الآخرة بأمور الدنيا.

واجعل، أيها الرجل الطالب لفضل الأحوال والمذاهب، أوّل ما تبدأ من عملك، وتقرب بفعله إلى ربك، الزّهدَ في الدّنيا، والإعراض عن كلّ ما مالت إليه النّفس من قليل أو كثير. فإنّ قليل ما ملت به إليها، يأخذ من سرّك، ويشغل من قلبك، ويعترض على ذكرك. وعلى قدر قوّة ما معك من مواد القليل منها وضعفه، كذلك تكون قوّة المعترض منه وضعفه، وعلى حسب الواقع من ذلك يحتجب عنك فهم ما قصدت الهمّة. وإنما تُؤثر الأعمال وتُحْصن القلوب، إذا انقطعت عوارض الدّنيا عنها، فإذا اعترض منها شيء وإن قلّ، فهو المراد والعمل معًا، وكان ذلك يبعد المَحاضِر والأفهام، ويوقف الحال عن لحوق الاستتمام.

---

(١) نشرة عبد القادر: «العاملين» والمخطوط «العالمين».

(٢) نشرة عبد القادر: «ملاحظتك»؛ المخطوطان يوردان «ملامحتك».

(٣) نشرة عبد القادر: وصفّي.

(٤) المخطوطان يوردان: «علن»، وعبد القادر يورد «أعلن».

(٥) نشرة عبد القادر: يغني.

فاحذرْ ما عاطفك منها، ومال بك وإن قلّ قدره إليها، تخلص[١] بتخلّصك من ذلك إلى سويّ الحال وصحّة الفعل والمقال.

فقال له العالم: وضعتُ لنصحك خدّي، وجمعت له همّي، وفرّغت له قلبي، وتبيّنت فيه رشدي. وقد أملْتُ برشد هدايتك، وحقيقة دعايتك، وصدق مناصحتك، أن يبلّغني اللّه تعالَى إلى كلّ ما أؤمّله وغاية ما أطلبه. وقد رأيتُ ينابيع الحكمة الجارية من مكنون سرّك على لسانك، واصلةً إليَّ ببعض ما تقصدني به. وقد ذقتُ سائغًا من مائه، فأوجدني انتعاشٌ تبيّنه محبّة نفعك لي به، فزدني منه ماتقوّي به الحياة الباعثة لي، من موت ما مضى من الحال، إلى مستقبل ما وقع من الانتقال، فإنّي لم أجد شيئًا أرجع به فيك إلى اللّه تعالى، إلا مناجاتي له بجميل مجازاتك عني، ومكافأته لك بما هو له أهل وولي. وبعد إيقاظك لي أيّها الحكيم من رقدة الغفلة، وإنباهك لي من وسن السهو والسنَة فقد وجدت[٢] استقلالاً إلى استدراك الفهم عنك، يحملني ما وجدت منه إِلَى العمل ببعضه، ووجدت مطالعات ما بقي عليَّ من التقصير، يزجرني عن الوقوف عنها لمحكم بيان وعلم إيقان. فأمّا ما بين ما سنح من تيسيراللّه تعالى للعلم، وبين ما نبّه العلم عليه من النهوض إلى ما بقي... [يقف النص هنا]؟.

(١) خ: يخلص.
(٢) خ: وجب.

الرسالة الثانية

إلى أبي إسحاق المارستاني(*)

يا أبا إسحاق لا ضيّع الله ميلي إليك، ولا إقبالي عليك، أنا عليك عاتبٌ واجد، ولما تقدّم من فعلك غير حامد. أرضيتَ أن تكون لبعض عبيد الدنيا عبدًا؟ أو يكون بطاعتك له عليك مهيمنًا وربًا؟ يتخوّلك(1) ببعض ما يعطيك، ويمتهنك بيسير ما يزريك، مبتذلاً لك. ثم يدنّسك بأوساخ وَضَره، ويجتذبك بمأثور ضَرَره؟

فسبحان من بَسَطَ إليك به رحمته ورأفته، فاستنقذك بذلك من وبال ما اخترته لنفسك وملتَ إليه. لقد كدتَ أن تغرق في خلجان بحرها، أو تهلك في بعض مفاوزها. ولقد أوجب عليّ من الشكر لما جدّد من النعمة عليك، ووهب لي من السلامة فيك، ما لا أقوم به عجزًا عن واجب حقّه إلا أن يقوم به لي عني.

وأنا أسأل المنّان المتطول بفضله، المبتدي بكرمه وامتنانه، أن يقوم لي عني بماقصّر له به شكري، بادئًا في ذلك بالحمد والجود كما هو أهله، بل ما لا أحصيه من نعمه.

فليت شعري أبا إسحاق، كيف معرفتك بما جدّد لك من نعمه وآلائه، وزوى عنك من عطب فرط بلائك، وكيف علمك بعد معرفتك، فيما ألزمك المنعم عليك، والمنّان بفضله وإحسانه فيما أسدي إليك؟ ألك ليل ترقده، أم نهار تمهده، أم مستراح عن الجدّ تجده، أم طعام تعهده، أم سبب من الأسباب دون ذلك تقصده؟ على أن ذلك غير نائب عنك في وجوب حقّ النعمة عليك، فيما جدّد به من عتيد

(*) غير موجودة في نشرة عبد القادر؛ الجزء الثاني من الرسالة موجود في **حلية الأولياء**، ج١٠/ ص ٢٧٦ [يبدأ من قوله: يا أخي كيف أنت في ترك مواصلة . .].

(1) يتخولك: يتعهدك، يستعبدك.

البر لديك، لكنه الغاية الممكنة من فعلك، والاجتهاد في بلوغ الأجر من عملك.

فكن له بأفضل ما هيّأ لك عاملاً، وعليه به في سائر أوقاتك مقبلاً. ثم كن له بعد ذلك خاضعًا مذعنًا ضارعًا معترفًا، فإن ذلك يسير من كثير وجب له عليك.

وبعد يا أخي، فاحذر ميل التأويل عن الحقائق، وخذ لنفسك بأحكم الوثائق. فإن التأويل كالصَّفاة[1] الزلال، الذي لا تثبت عليه الأقدام. وإنما هلك من هلك، من المنسوبين إلى العلم، والمشار إليهم بالفضل، بالميل إلى خطأ التأويل، واستيلاء ذلك على عقولهم، وهم في ذلك على وجوه شتى. وإني أعيذك بالله وأستعينه لك، وأعيذك به من ذلك كله، وأسأله أن يجعل عليك جنّة من جنته، وواقيةً من واقيته وإحسانه.

يا أخي، كيف أنت في ترك مواصلة من عرّضك للتّقصير، ودعاك إلى النّقص والفتور، وكيف ينبغي أن تكون مباينتك له وهجرانك، وكيف إعراض سرّك ونبوّ قلبك وعزوف ضميرك عنه.

حقيق عليك على ما وهبه الله لك، وخصّك به، من العلم الجليل والمنزل الشّريف، أن تكون عن المقبلين على الدّنيا معرضًا، وأن تكون لهم بسرّك وجهرك قاليًا، وأن تكون لهم في بلائهم إلى الله شافعًا، فذلك بعض حقّك لك.

وحري بك أن تكون للمذنبين ذائدًا، وأن تكون لهم بفهم الخطاب إلى الله رائدًا، وفي استنقاذهم وافدًا، فتلك حقائق العلماء، وأماكن الحكماء، وأحبّ الخلق إلى الله أنفعهم لعياله[2]، أعمّهم نفعًا لجملة خلقه.

جعلنا الله وإيّاك من أخصّ من أخلصه بالإخلاص إليه، وأقربهم في محل الزّلفى لديه. أيحسن بالعاقل الّلبيب، والفهم الأديب، الطّالب المطلوب، المحبّ المحبوب، المكلأ المعلّم، المزلّف المقرّب، المجالس المؤانس، أن يعير الدنيا طرفة، أو

---

(١) في النص «كالصفاء» والأرجح إنه خطأ في النسخ. والمقصود «كالصَّفاة». والصَّفاةُ هي الحجر الصَّلد الضخم لا يُنبت.

(٢) حديث شريف. راجع السيوطي، الجامع، رقم٢١٧ .

يوافقها بلحظة؟! وقد سمع سيّده ومولاه وهو يقول لأجلّ أصفيائه وسيّد رسله وأنبيائه ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه/ ١٣١] . أفشاهد أنت لفهم الخطاب، وإمكان رد الجواب، فترك حظّه من اللّه مما فاته، ومصافاته ومكافأته، ومكانه منه و موالاته، أن يوادّ من لا يوادّه أو يألف من لا يوافقه.

غضّ يا أخي بصر سرّك، وبصيرة قلبك، عن الإيماء إلى النّظر إليهم، دون المواصلة لهم، وصن بالمضمون من ضميرك عن أن تكون لك بالقوم مؤالف. فواللّه، لا والي اللّه من يحادّه[1]، ولا أقبل على من يبغضه، ولا عظّم من يعظّم ماصغّره وقلّله إلا أن ينزع عن ذلك. فكن من ذلك على يقين، وكن لأماكن من أعرض عن الحقّ مستهينًا.

وبعد، يا أخي، فتفضّل باحتمالي إن غلظ عليك مقالي، وتجشّم الصّبر على أن يوافق قلبك ما في كتابي، فإنّ المناصحة والمفاصحة خير من الإغضاء عن المتاركة، وإني أختم كتابي وأستدعي جوابي بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف/ ٤٣] ، وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد المصطفى وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرا.

---

(١) في تأكيد الجنيد على أن اللّه لا يوالي من يحادّه؛ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة/ ٥].

الرسالة الثالثة

إلى أبي يعقوب يوسف بن الحسين الرازي(*)

كشف الحقّ لك عن حقيقة أنبائه[1]، وتولاّك بعظيم مننه وآلائه، وتضمّنك[2] في ضمّه إيّاك إلى سوابغ نعمائه، وجرت [النعم] عليك برفعه لك إليه وإعلائه [لك]، فكنت بحيث لا تكون الأغيار لك إليه سببًا[3]، بل تكون بما يوجد به منك منتسبًا.

قد أخْلَصَك بما اصطفاك له من خلصاء صفوته، وأوحَدَك بالانتحال[4] ممن خَصَّه بولايته[5]، وتخيّرك بالاجتباء من كبراء أهل مودته، الذين آثرهم بالاصطفاء لعظيم خلَّته.

فكانت أوائل أقدامهم [كبرا أهل المودة المصطفين للخلّة] المجرّدة لديه، الموضوعة على مناهج الورود عليه، النزوع عمّا دونه إليه. فسبقتْ إليه به كلّ سابق، وسَمَتْ إليه وحده عن سنّيات المطالب، على أنوار فواتح البَذْل، تخرّ [الأنوار] عليهم خريراً، وتدرّ بمنائح الأفضال عليهم دروراً، بسكب غيث هاطل منهمل، ومدرار غلف بغرائب البرّ متصل، يُذهل ببوادي وروده عقول من لاحظهُ به، ويبْهر بأوائلِ شهودهِ من أراده له.

فإلى أين، وبماذا يتخطّى[6] ذلك قلوب المكرّمين به. وكيف، وأنّى تتحاماه

(*) مخطوط رقم ٢٢٧ ق ق ٤٣أ-٤٤ب؛ نشرة عبد القادر ص ص٢٧-٣٠

(١) أي الأنباء الواردة من الحق، سواء كانت وحيًا لنبي أو إلهاماً لولي.

(٢) إشارة إلى الضمان الإلهي للإنسان.

(٣) أي ارتفعت الأسباب بينك وبين الله.

(٤) خ: وأوجدك كما بالانتحال.

(٥) أي وأفردك من بين جميع من خصّهم بولايته بالانتحال إليه.

(٦) خ: يتخطا.

عقول المصادفين له؟! وذلك لا يكون بفعل مكوَّن[1] وإن كان مكرمًا، ولا ينفذ عنه بتخطّيه سرّ وليّ وإن كان ممكنًا، ولن يحمل ذلك عن أهل مجالسه وأنسه إلا الحامل بقوّته وقدرته حَمَلَة عرشه، فهو [تعالى] وليّ المحاماة عمّن اصطنعه لنفسه. فعند ذلك إذا أراد [تعالى] ذلك دعا [الخلق] إلى إخلاص ذكره، وأقبل بمن تفرّد به عليه، وآوى[2] بمن استأثر بمكنون سرّه إليه[3]، فكان ما جَمَعَه لأهل الزلفى لديه والمقرّبين عنده لهم تبعًا، وسائر أوليائه فيما عاطفوا من ذلك شيعًا. لهم منه ما بذله من عظيم عطائه، وجاد به من جليل مننه وآلائه، فذلك حظّهم المبذول، وعطاؤهم الدائم الموصول.

وذلك كلّه، على عظيم قدره وجليل ما خصّهم اللّه تعالى به من نفيس برّه، حجابٌ عما أخلص به المنفردين بخالص ذكره، مع حقيقة وجود ذلك، والكون بالنزول فيما هنالك يبدو[4] أوائل علم من تفرّد به، وأراده بالاختصاص لمايوجد له.

ولن يَصْلُح لمعاينة ذلك عين بقيت عليها منها بقيّة، ولن يُلامحَ ذلك[5] طرف مواقعُ لرزيّة. جعلنا اللّه وإيّاك يا أخي ممّن اصطنعه لنفسه، واستأثر به عمّن دونه.

كتابي إليك يا أخي، وسبل الحقّ مسهّلة المناهج، وطرق الرّشد زاهرة قد وطئت بالتّمهيد لأقدام السالكين، وفسّحت بالتوسعة لسير الطّالبين، وزيّنت ببهجات الأنوار لقلوب الرّاغبين، وهي مع ذلك لقلّة القاصدين إليها، ولقلّة السائرين بالصّدق عليها، كالعشار المتعطّلة[6]، والمواطن القفار الخَرِبَة، ليس لها على ماعظّم اللّه من قَدْرها، ووعد من جزيل الثّواب على سلوكها، من أكثر الناس عامر، ولا في عظيم خطرها من الخلق راغب.

---

(١) أي مخلوق. (٢)خ: وأوا.
(٣) أي آوى إليه تعالى الإنسان الذي كان مكنون سره ملكه سبحانه.
(٤)خ: يبدوا. (٥)نشرة عبد القادر: سقط «ذلك».
(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ [التكوير/ ٤].

وإني أرى العلم، مع كثرة منتحليه وانتشار طالبيه بقلّة صدقهم في قصده، وتركهم العمل بواجب حقّه، كالعازب المتغرّب البعيد المنفرد. وأرى الجهل والدعاوى على كثير من الناس غالبًا، وقلّة العلم للمنتحلين للعمل بيّنة[1] . وأرى همـوم أكثر الخليقـة علـى الدّنيا عاكفة، ولما تعجّل من حطامها طالبة، ولقليل ما تعجّل منها مؤثرة، وقد انكفّت[2] العقول والقلوب بالانكباب على طلبها، وانصرفت إلى الرّغبة في القليل منها. وأراهم بسوء[3] المراد، وكثرة الفساد، وقلّة العمل للمعاد، في غمرة سكرتها، وحيرة هوالك ما استولى عليهم منها، ليس فيهم لغلبة ذلك عليهم مُفيق، ولا راجع إليك إن وعظته بتحقيق، قد اشتملتْ عليهم الفتنة بالعاجلة، فتحيرت عقولهم عن أمور الآجلة.

والخلق، يا أخي، إذا كانوا كذلك أشدّ الحاجة إلى عالم رفيق، ومؤدِّب مناصح شفيق، وواعظ يدلّهم على الطّريق، وأنت يا أخي، رَضي اللّه عنك، بقيّةٌ ممن مضى، وأحَدُ مَنْ يُشار إليه من العلماء، وجليل من أكابر الحكماء.

وقد علمتَ ـ رضي اللّه عنك ـ، أن اللّه ـ عزَّ وجلَّ ـ قد أخذ الميثاق على أهل معرفته، وأولى العلم به الّذين آثرهم بكتابه، وفتح لهم في الفهم عنه، وخصّهم بمااستخلصهم به من تبيان، وقلّدهم من عظيم أماناته، أن يبيّنوه للنّاس ولايكتموه[4]، وقال جلّ ثناؤه[5]: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ** ﴾، وقال جلّ ثناؤه: ﴿ **الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ [المائدة/ ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ **لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ [المائدة/ ٦٣].

وأنت، يا أخي، أحد من بقي ممن قلّد من ذلك ما قلّدوه، وعرف من أنباء الحكم بعض ما عرفوه. وعليك، عندي، تبيان ما وهبه اللّه جلَّ ثناؤه لك، والقول بعظيم ما أنعم به عليك. فأعدل ـ رضي اللّه عنك ـ إلى المريدين بهمّك، واقبل عليهم

(١) خ: بين. (٢) أي عُميَتْ. (٣) نشرة عبد القادر: «بشرّ».
(٤) نشرة عبد القادر: «أن يبينونه للنّاس ولا يكتمونه».
(٥) سقط سطر سهواً من نشرة عبد القادر: من «وإذ أخذ اللّه» إلى «جلّ ثناؤه».

بوجهك، وانصرف إليهم بحجّتك، واعطف عليهم بفضلك، وأثّر على غيرهم بدلالتك، وجميل دعايتك، وابذل لهم منافعهم من علمك ومكين معرفتك، وكن معهم في ليلك ونهارك، وخصّهم بما عاد به عليك ولك، فذلك حق القوم منك، وحظّهم مما وجب لهم عليك. أما سمعت اللّه، جلّ ثناؤه وذكره، وهو يقول لأعظم خلقه عنده قدرًا، وأعلاهم لديه منزلاً: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف ٢٨ ـ ٢٩] .فهذه وصيّة اللّه، جلّ ثناؤ، لنبيّه المجتبي محمّدﷺ المصطفي.

يا أخي، رضي اللّه عنك، لم أنبّهكم على حظّ كنت عنه غافلاً، ولا على أمر رأيتك عنه مقصّرًا، وأعيذك باللّه من كلّ هفوة وتقصير، وعن كل نقص وفتور، لكن اللّه ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات/ ٥٥] .

وقد بدأتك بكتابي هذا متوسّلاً به إلى مواصلتك، ومستزيداً به من إقبالك عليّ ومؤانستك، ومتسبّبًا به إلى مكاتبتك، فكن حيث أحببتُه منك، وزدني فيما رغبتُ فيه إليك. جعلك اللّه سببًا لنفع إخوانك.

ومع ذلك يا أخي، هُديتَ لرشدك، فقد سنح لي شيء أريد أن أقوله، بدأت بنفسي فيه قبلك، وأحب أن أكون فيه تبعًا لك بعدك، وأقدّم مع ذلك الاعتذار إليك، إن لم يقع مقبولاً لديك، فخذه إن كان له في الحقّ موضعًا، وكن له على المناصحة مستمعًا، فهو لك مني على المناصحة مبذول، وإن رددته عليَّ فهو لديّ مقبول.

يا أخي، رضي اللّه عنك، كن على علم بأهل دهرك، ومعرفتك بأهل وقتك وعصرك، وابدأ في ذلك أولاً بنفسك، وكن عاطفًا بعد إحكامك فيه بحالك. . . [الرسالة تنتهي هنا] .

الرسالة الرابعة

رسالة إلى يحيى بن معاذ الرازي(*)

١ - لا غبتَ بك عن شاهدك، ولا غاب شاهدك بك عنك. ولا حلْتَ بتحويلك عن حالك، ولا حال حالك بتحويله عنك. ولا بنْتَ عن حقَيقة أنبائك، ولابانت أنباؤك بغيبة الأنباء منك. ولا زلت فَي الأزل شاهد الأزل في أزليّتك، ولا زال الأزل يكون لك مؤيّدًا لما زال منك. فكنتَ بحيث كنت، كما لم تكن ثم كنتَ، بفردانيّتك متوحّدًا وبوحدانيّتك مؤيّدًا، بلا شاهد من الشّواهد يشهدك. ولا غبتَ لدي[1] الغيب من الغيب بغيبتك، فأين ما لا أين لأينه، إذ مؤيّن الأيّنات مبيد[2] لما أيّنه[3]، وإذ الإبادة مبادة في تأبيد مبيد الإبادات، وإذ[4] الاجتماع فيما تفرّق، والتّفريق فيما جَمَع، فَرْق في جَمْع جَمْعه، وإذ الجَمْع بالجَمْع للجَمْع جَمْع فيما جَمَعه.

٢ - ثم أدْمَسَ شاهده في دمس الاندماس، وأرمس مَرْمسَهُ في غيب غافر الارتماس، وأخفي في إخفائه عن إخفائه، ثم قطع النسبة عن الإشارة إليه وعن الإيماء بما تفرّد له منه به.

(*) نص الرسالة ورد في المخطوط رقم ٢٢٦، ورقة ٣ب؛ كما نشره عبد القادر ص٢؛ والمقطع الثاني من الرسالة الرابعة وردت في **اللمع**، ص٤٣٤.

(١) خ: لدا. (٢) خ: مبيدا. (٣) خ: أينته. (٤) خ: وإذا.

الرسالة الخامسة

إلى علي بن الأصبهاني(*)

اعلم يا أخي، أن الحقائق اللازمة، والقصود القوية المحكمة، والعزائم الصحيحة المؤكّدة، لم تُبق على أهلها سببًا إلا قطعته، ولا معترضًا إلا منعته، ولا أثرًا في خفيّ السرائر إلا أخرجته، ولا تأويلاً مُوهمًا لصحة المراد إلا كشفته. فالحقُّ عندهم [أهل الحقائق] بصحّة الحال مجرّدًا، والجدّ في دوام السَّيْر محدَّدًا، على براهين من العلم واضحة ودلائل من الحق بيّنة.

(*) هذه الرسالة مستلة من **اللمع**، الطوسي ص٣١٠.

الرسالة السادسة

إلى أبي بكر الكسائي(*)

أخي أين محلّك عند تعطيل العشَار(1)؟ وأين دارك وقد خرجت الديار؟ وأين مَنزلك والمنازل قاعٌ صفصفٌ قفارٌ؟ وأين مكانك والأماكن عواف دوارسُ الآثار؟ وماذا خبرُك عند ذهاب جوامعَ الأخبار؟ فيم نظرك عند اصطلام مَحاضر النظّار؟ فيم فكْرُك وليس بحين نظر ولا افتكار؟ وكيف هدوؤك على ممر الليل والنهار؟ وكيف حذَرُك عند وقوع فَواجع الأقدار؟ وكيف صبرك ولا سبيل إلى عزاءٍ ولااصطبار؟.

فابك الآن إن وجدتَ سبيلاً إلى البكاء، بكاء الوالهة الحزينة الموجعة الثكلى، بفقد أعزّة الألاّف، وفناء أجلّة الأخلاف، وإبادة ما مضى من الاكتناف، وذهاب مشايخ الاعتطاف، وورود بداية الاختطاف، وروادف عواصف الارتجاف، وتتابع قواصف الانتساف، وبواهر قواهر الاعتكاف، وثواقب ملامح الاعتراف.

فإلى أين موئلك، وإلى ما يبلغ مصدرك، والأحلام متمزقة، والقلوب متصدّعة، والعقول منخلعة، والأنباء كلها مرتفعة، وأنت في أوابد مندمسة، ونجوم منطمسة، وسبل ملتبسة؟ قد أضلك في اختلاف مناهجها ظلماؤها، وانطبقّت عليك أرضها وسماؤها، ثم أفضى بك ذلك إلى لجّة اللجج، والبحر الزاخر الغامر المختلج، الذي كل بحر دونه أو لجّة، فهو فيه كتَفْلَة أو مجَّة، فقد قذف بك في كثيف أمواجه، وتلاطم عليك بعظيم هوله وارتجاجه. فمن مستنقذك من متلفات المهالك، أو مخرجك مما هنالك؟.

(*) هذه الرسالة مستلة من **اللمع**، الطوسي ص ص٣١١-٣١٢

(١) العشار: الابل. والإشارة هنا إلى الآية القرآنية التي تصف - مع آيات آخر- هو يوم القيامة، وهي: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير/ ٤].

كتابي إليك أبا بكر، وأنا أحمد الله حمداً كثيراً، وأسأله العفو والعافية في الدنيا والآخرة. وصل إليَّ منك كتبٌ فهمتُ ما ذكرتَ فيها، ولم يمنعني من إجابتك عليها ما وقع في وهمك، وشقّ عليّ ما ذكرتَ من غمّك. وليس حالك عندي حال معتوب عليه، بل حالك عندي حال معطوف عليه، وبحسبك من بلائك أن أكون سبباً للزيادة في البلاء عليك، وإني عليك لمشفق.

وإنما منعني من مكاتبتك، لأني حذرت أن يخرج ما في كتابي إليك إلى غيرك بغير علمك. وذلك أني كتبت منذ مدة كتاباً إلى أقوام من أهل إصبهان، ففُتح كتابي، وأخذت نسخته، استعجم بعض ما فيه على قوم، فأتعبني تخلصهم، ولزمني من ذلك مؤنة عليهم. وبالخلق حاجة إلى الرفق، وليس من الرفق بالخلق ملاقاتهم بما لا يعرفون، ولا مخاطبتهم بما لا يفهمون، وربما وقع ذلك من غير قصد إليه، ولا تعمّد له. جعل الله عليك واقية وجنّة، وسلمنا وإياك.

فعليك، رحمك الله، بضبط لسانك، ومعرفة أهل زمانك، وخاطب الناسَ بمايعرفون، ودعهم مما لا يعرفون، فقلَّ من جهل شيئًا إلا عاداه. وإنما الناس كالإبل، المائة ليس فيها راحلة[1]. وقد جعل الله تعالى، العلماء والحكماء رحمة من رحمته، وبسطها على عباده. فاعمل على أن تكون رحمة على غيرك، إن كان الله قد جعلك بلاء على نفسك. واخرج إلى الخلق من حالك بأحوالهم، وخاطبهم من قلبك على حسب مواضعهم، فذلك أبلغ لك ولهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) يشير محققا **اللمع** وهما: د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور في الحاشية إلى أن النص يورد لفظ «المائة»، إلا أنهما يميلان إلى الظن بأنه «الهائمة»، والأفضل ترك اللفظ كما ورد مع تعديل في التنقيط، فتنقل الفاصلة إلى ما قبل لفظ «المائة» فيكون المعنى: إن الناس كالإبل، في كل مائة لا نجد واحدة صالحة للركوب والارتحال.

الرسالة السابعة

إلى أبي العباس الدينوري (*)

مَن استخلصه الحقّ بمفرد ذكْره وصافاه، يكون له وليًا متتخَبًا مكرَّمًا مواصَلاً. يورثه غرائب الأنباء[1] ويزيدهَ في التقريب زلفى، ويثبّته في محاضر النجوى، ويصطنعه للخلّة والاصطفاء، ويرفعه إلى الغاية القصوى، ويبلغه في الرفعة إلى منتهى، ويشرف به من ذروة الذرى، على مواطن الرشد والهدى، وعلى درجات البررة الأتقياء، وعلى منازل الصفوة والأولياء. فيكون كلّه متتظمًا، وعليه بالتمكين محتويًا، وبأنبائه خبيراً عالمًا، وعليه بالقوة والاستظهار حاكمًا، وبإرشاد الطالبين له إليه قائمًا، وعليهم بالفوائد والعوائد والمنافع دائمًا، ولما نصب له الأئمة من الرعاية لديه به لازمًا. وذلك إمام الهداة السفراء، العظماء الأجلة الكبراء، الذين جعلهم للدين عمداً، وللأرض أوتاداً.

جعلنا اللّه وإياك من أرفعهم لديه قدراً، وأعظمهم في محل عزّه أمراً، إن ربي قريب سميع.

(*) هذه الرسالة مستلة من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني ج١٠/ ص٢٦٥ .

(١) المطبوع: «الأنبياء»، وقد استبدلناها «الأنباء» ليستقيم المعنى.

الرسالة الثامنة

إلى بعض إخوانه(*)

الحمد للّه الذي استخلص لنفسه صفوة من خلقه، وخصّهم بالعلم والمعرفة به، فاستعملهم بأحبّ الأعمال إليه، وأقربها من الزلفى لديه، وبلّغهم من ذلك الغاية القصوى والذّروة المتناهية العليا، وبعد:

فإنّي أوصيك بترك الالتفات إلى كلّ حال ماضية، فإنّ الالتفات إلى ما مضى شغل عمّا يأتي من الحالة الكائنة. وأوصيك بترك الملاحظة للحال الكائنة، وبترك المنازلة لها، بجولان الهمّة للمتقى المستقبل، من الوقت الوارد، بذكر مورده، ونسق ذكر موجوده. فإنّك إذا كنت هكذا، كنت تذكر من هو أولى، ولا تضرّك رؤية الأشياء.

وأوصيك بتجريد الهم، وتفريد الذّكر، ومخالصة الرب بذلك كلّه. واعمل على تخليص همّك من همّك لهمّك، واطلب الخالص من ذكر اللّه جلّ ثناؤه بقلبك، وكن حيث يراك لما يراد لك، ولا تكن حيث يراد لك لما تريد لنفسك.

واعملْ على محو شاهدك من شاهدك، حتى يكون الشّاهد عليك شاهداً لك، بما يخلص من شاهدك. واعلم أنّه إن كنت كلّك له، كان لك بكلّ الكلّ فيما تحبّه منه. فكن مؤثراً له بكلّ من انبسط له منك، ومنه بدا لك ومنه به، يبسط عليك مالايحيط به علمك، ولا تبلغ إليه أمانيك وآمالك.

واذا بُليتَ بمعاشرة طائفة من الناس، فعاشرهم على مقادير أماكنهم، وكن مشرفًا عليهم بجميل ما آتاك اللّه وفضّلك به.

وصلّى اللّه على سيدنا محمدٍ النبيّ الأميّ، وعلى آله وصحبه وسلّم.

(*) هذه الرسالة مستلة من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني ج١٠/ ص٢٧٩ .

الرسالة التاسعة

إلى بعض إخوانه(*)

من أشار إلى اللّه، وسكَن إلى غيره، ابتلاه اللّه تعالى، وحَجَب ذكرَه عن قلبه، وأجراه على لسانه. فإن انتبه، وانقطع ممن سكَن إليه، كشف اللّهَ ما به من المحَن والبلوى. وإن دام على سكونه [إلى الخلق]، نَزَع اللّه من قلوب الخلق الرّحـمـة عليه، وألبس لباس الطمع، فتزدادُ مطالبتُه منهم، مع فقدان الرّحمة من قلوبهم، فتصير حياته عَجْزاً، وموته كَمَداً، ومَعادُه أسفًا. ونحن نعوذ باللهّ من السّكون إلى غير اللّه.

(*) هذه الرسالة مستلة من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني ج١٠/ ص٢٧٨، كما وردت في **طبقات الصوفية**، السلمي ص ص١٦٢-١٦٣ .

الرسالة العاشرة

إلى بعض إخوانه(*)

إنّ اللّه جلَّ ثناؤه لا يُخلي الأرض من أوليائه، ولا يعرّيها من أحبّائه، ليحفظ بهم من جعلهم سببًا لحفظه، ويحفظ بهم من جعلهم سببًا لكونه. وأنا أسأل المنّان، بفضله وطَوْله، أن يجعلنا وإيّاك من الأمناء على سرّه، الحافظين لما استحفظوه من جليل أمره، تجميلاً منه لنا بأعظم الرّتب، وإشرافًا بنا على كلّ ظاهرٍ ومُحْتَجَب.

وقد رأيتَ، اللّه تعالى وتقدّست أسماؤه، زيَّن بسيط أرضه، وفسيح سعة ملكه، بأوليائه وأولى العلم به، وجعلهم أبهج لامعٍ سطع نوره، وعن[1] لقلوب العارفين ظهوره. وهم أحسن زينة من السماء البهجة بضياء نجومها، ونور شمسها وقمرها.

أولئك أعلام لمناهج سبيل هدايته، ومسالك طرق القاصدين إلى طاعته، ومنارنور على مدارج السّاعين إلى موافقته. وهم أبين في منافع الخليقة أثرًا، وأوضح في دفاع المضار عن البريّة خبرًا، من النجوم التي بها في ظلمات البر والبحر يُهتدى، وبآثارها عند ملتبس المسالك يُقتدي. لأنّ دلالات النّجوم تكون بها نجاة الأموال والأبدان، ودلالات العلماء بها تكون سلامة الأديان. وشتّان مابين من يفوز بسلامة دينه، وبين من يفوز بسلامة دنياه وبدنه!.

(*) هذه الرسالة مستلة من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني ج١٠/ ص٢٨٠.

(١) عَنَّ: بدا وظهر.

الرسالة الحادية عشرة

إلى بعض إخوانه(*)

اعلم، رضي اللّه عنك، أنّ أقرب ما استُدعي به قلوب المريدين، ونُبّه به قلوب الغافلين، وزُجرتْ عنه نفوس المتخلّفين، ما صدّقته من الأقوال جميع ما اتبع به من الأفعال.

فهل يحسن يا أخي أن يدعو داع إلى أمر لا يكون عليه شعاره، ولا تظهر منه زينته وآثاره، وألاّ يكون قائله عاملاً فيه بالتحقيق، وبكلّ فعل بذلك القول يليق؟!

وأفكَ من دعا إلى الزهد وعليه شعار الراغبين، وأمر بالتَّرْك وكان من الآخذين، وأمر بَالجدّ في العمل وكان من المقصّرين، وحثّ على الاجتهاد ولم يكن من المجتهدين! ألا قلّ قبول المستمعين لقيله، ونفرت قلوبهم لما يرون من فعله، وكان حجة لمن جعل التأويل سببًا إلى اتّباع هواه، ومسهّلاً لسبيل من آثر آخرته على دنياه؟.

أما سمعتَ اللّه تعالى يقول، وقد وصف نبيّه شعيبًا، وهو شيخ الأنبياء، وعظيم من عظماء الرسل والأولياء، وهو يقول: ﴿ ...**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**﴾ [هود/ ٨٨]، وقول اللّه جلّ ذكره لمحمّد المصطفي ﷺ: ﴿**قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ**﴾ [سبأ/ ٤٧]، وأمْر اللّه له بالدعاء إليه، بقوله عزّ من قائل: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل/ ١٢٥]، فهذه سيرة الأنبياء، والرسل، والأولياء.

(*) هذه الرسالة مستلة من **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني ج ١٠/ ص ص ٢٦٠-٢٦١.

والذي يجب يا أخي على من فضّله اللّه بالعلم به، والمعرفة له، أن يعمل في استتمام واجبات الأحوال، وأن يصدق القول منه الفعل، بذلك أولاً عند الله، ويحظى به من اتبعه آخراً.

واعلم يا أخي، أنّ للّه ضنائن من خلقه، أودَع قلوبَهم المصون من سرّه، وكشف لهم عن عظيم أثرهم به من أمره. فهم بما استودعهم من ذلك حافظون، وبجليل قدر ما أمّنهم عليه علماء عارفون. قد فتح لما اختصّهم به من ذلك أذهانهم، وقرّب من لطيف الفهم عنه لما أراده أفهامَهم، ورفع إلى ملكوت عزّه همومَهم، وقرّب من المحل الأعلى بالإدناء إلى مكين الإيواء حبَّهم[1]، وأفرد بخالص ذكره قلوبهم. فهم في أقرب أماكن الزلفى لديه، وفي أرفع مواطن المقبلين به عليه. أولئك الذين إذا نطقوا فعنه يقولون، وإذا سكتوا فبوقارالعلم به يصمتون، وإذا حكموا فبحكمه لهم يحكمون.

جعلنا اللّه يا أخي ممّن فضّله بالعلم، ومكّنه بالمعرفة، وخصّه بالرفعة، واستعمله بأكمل الطاعة، وجمع له خَيْرَي الدنيا والآخرة.

(١) الأصل: «بحبهم»، ويستقيم المعنى إذا قرأناها «حبَّهم».

الرسالة الثانية عشرة

إلى بعض إخوانه (*)

صَفَا لك من الماجد الجواد جميل ما أولاك. وأخلصك بما خصّك به وحَبَاك. وكشف لك عن حقيقة ما به بَدَاك. وآثرك بما استأثر به عمَّن سواك. وقرّبك في الزّلفى لديه وأدناك. وبسطك بالتأنيس في محل قربه وناجاك. وانتجبك بجميل أمره وصَافَاك.

وأيّدك في عظيم تلك المواطن، وقريب تلك الأماكن، بالقوّة والتمكين والهدوء والدّعة والتسكين، لئلا تقوى عليك البداءة الواردة، والأنباء الغريبة القاصدة. فيلزمك لقوة ذلك عليك في ابتداء خلوصه، إبهاتُ الذّهْل لما لا يجد لما لا يقال منه محتمل. فكيف يُحتمل ذلك، أو تقف العقول بضبط ما هنالك، إن لم يمسكها بالكلاية، ويكنف سرائرها بالرّعاية؟.

فأين أنت، وقد أقبل بك كلّك عليه، وأقبل بما يريده منك لديه. وقد بَسَطَ لك في استماع الخطاب، وبَسَطَك إلى ردّ الجواب. فأنت حينئذ يُقال لك وأنت قائل، وأنت مسؤول عن أنبائك وأنت مُسَائل، في درر الفرائد[1]، وترادف الشّواهد، بدوام الزّوائد، واتّصال الفوائد، تهطل بعزّ من المَجيد عليك من كلّ جانب.

فلولا إحلاله عليك النعمة، وتمسيكه لقلبك بالسكينة، لذهلتْ عند كون ذلك القلوب، ولتمزّقتْ عند حضوره العقول. لكنه جلّ ثناؤه، وتقدّست أسماؤه، جاد بالفضل على من أخلصه، وعاد بالعطف على من اصطنعه. فحمل عنهم ما تحمّله إياه، وحملوا ما أراده لهم، وتفضّل به من إدراكهم له.

جعلنا اللّه وإيّاك من أقرب أوليائه[2] لديه منزلاً. إن ربّي سميع قريب.

---

(١) المخطوط رقم ٢٢٦ تصوف من ق ق٣أ- ٣ب. نشر عبد القادر ص ص١-٢

(١)خ: الفوائد. (٢)خ: أولياه.

الرسالة الثالثة عشرة

إلى بعض إخوانه (*)

لا زلتَ أيّها الموجود بباب الله راتبًا[١]، وبه منه إليه لما يحبّه منك طالبًا، وله في آلائه وغريب أنبائه راغبًا. فحبّك به عليه فيما يحبّه لك ويبلّغك إليه، باصطفائه إلى ما يريده منك، ليصطفيك فيما يولّيك، بما ينتخبه لك ويجتبيك. ثم يُبديك فيما يولّيك، ويخفيك في عزيزما يبديك. إعلاءٌ لك عن مصادفة النواظر لحقيقتك، وضنٌّ بك عن معرفة القلوب لمكانتك، وضمٌّ لك بالاشتمال عليك إلى مصون منزلتك.

فكنتَ عند ذلك بحيث أرمس المكان مكُوِّنَه، وطمس الدّلائل عليه من وهم متَوهِّمه. فكنتَ فيما هنالك بغيب لغيب، انتفت عن حقائقه الشكوك والرّيب. كما أنّ الحَقائق بحقّ اليقين تُعْلَم، وملاحظة[٢] العيان لها محتجبة لا تتوهّم. ومن وراء ذلك توحيد الموحّد، وربّانيّة الألوهيّة المتفرّد، على أوليّة أزليّة، وبقاء سرمد الأبديّة.

وهنالك ضلّت مقاليد الفهماء، ووقفت علوم العلماء، وانتهت إليه غايات حكمة الحكماء. وهذه غاية لما هذا نعته وسنا ذروه، وانتهت[٣] الصّفة إلى صفته، ومن وراء ذلك برزخ إلى يوم يبعثون.

وإذا بعث الخلق بعد انقضاء مدة برزخهم، وأحيوا[٤] لحقيقة البعث بعد ميتتهم، عرفوا إحياء الحي لمن أحياه، وتَرْكه في سرمد البقاء لمن أبقاه. وفيما أشرت به من ذلك شرح يطول وصفه، ولا يحتمل الكتاب نعته على كنهه.

(*) المخطوط رقم ٢٢٧، ق ق ٣٣أ-٣٤أ؛ نشر عبد القادر ص ص٣-٦

(١) راتباً: صاحياً. (٢)خ: وملاحظة. (٣)خ: انتهت. (٤)خ: واحا.

يا أخي ـ رضي اللّه عنك ـ وصل كتابك السّارّ ظاهره وباطنه، وأوّله وآخره. وسررتُ بما ضمّنتَه من علم غريب، وحكَم عزيزة، وإشارات واضحة منيرة. ولم يخف عليَّ ما عرّضت به، مع ما صرَّحتَ به. وكل ذلك على علمي به، وسَبْقي إلى فهم ما قصدتَ له، بيّنٌ عندي إلى أين موئله، وإلى أين نهايته ومصدره، ومن أين أوّله وآخره، وكيف جرى على من جرى الحكم به. لا عدمتَ استعصامك به [تعالى] منه، وقيام عصمتك به له.

غلبتْ غوالب قاهرة، وبَدَهَتْ بواده باهرة، أودت بقوّة سلطانها، تقاوم سلطانها بالتّقاهر فيما قام منها، ثم حمل بعضها على بعض، فركدت متوارية، وهي في الحقيقة بالقوّة متظاهرة، تحكّمت بمنيع عزّ التصاول، بلا أين ولا إلى أين، متكوّن بكنه نهاية، ولا هو[1] إلى مواضع[2] محدودة، فتعرف لها غاية، إبادتها إبادة مستظلمة، وسطوتها للكلّ منتظمة. هيه ثم ماذا بعد ذلك، نصبهم غرضًا للبلاء، وعرضهم للحين والجلاء، وأنفذ عليهم المكاره بماضي القضاء، وجرّعهم الموت صرفًا، وأجرى عليهم بقدرته ما يشاء. فمن بين متمانع مستعصم مغلوب، ومن بين مستسلم مسلوب. فلا[3] المستسلم فيها باستسلامه ناجيًا، ولا المتمانع بالاستعصام من طلبها خارجًا. حُبست أنفاسهم في أنفاسهم، فهم على فرط البلاء كاظمون[4]. وتغصّصوا بتجرّع المرّ المتلف، فهم على التّلف مشرفون. فلو أطلقت الأرواح أن تفيض لكان في ذلك راحتها، لكنه في الموت ألم مذاق الموت حابسها. لا يأملون بعد الموت فرجًا، ولا لهم قبل الموت من فرط البلاء مخرج[5].

يا أخي، هؤلاء قوم هذه بعض صفاتهم، وكرهت[6] الإطالة عليك في نعت حالهم، وسمع سامعون ببعض نعت ما بلغ القوم إليه، وما القوم من حقائق ذلك كائنون[7] لديه، فسموا بالهموم انتهاء إلى مطالبته، قبل النزول بالكون في محض حقيقته. وشبّه عليهم فيه كائنات المخطى[8]، وخفي عليهم المعزز[9] من كون

(١)خ: ولاه. (٢)خ: مواضح. (٣) المطبوع يضيف: كان.
(٤)خ: كاظمين. (٥)مخرجاً. (٦) المطبوع: وكزهت.
(٧)خ: كائنين. (٨)خ: المحطي. (٩)خ: المعزر.

التولّي، وجرت عليهم أحكام أولئك في أحكامهم، واستمر مترادف الزّلل على مضى أيامهم. وكان عندهم أنّهم أولئك وليسوا بأولئك، وقوي عليهم موهم حالهم أنّهم فيما هنالك. هيهات، هيهات، ما أبعد من ذلك منالهم. وما أعظم مايجري عليهم من الخلل في توهّم حالهم.

أعاذنا اللّه وإياك يا أخي من كلّ حال لا تكون لمحض الحقيقة متصادفة، ولاتكون لما أحكمه الحقّ مؤالفة. ومع ما ذكرته من هذه الحال وما فيها، فهي واسطة بين حالين، والذي جرى منها فرق إذا انكشفت بين منزلتين، وليس مراد الحق بها هي بعينها، لكنّ ذلك على صحّة كونه ليكشف بها ما وراءها. وعلم الأكابر، ومنازل العظماء، وأماكن الحكماء، وصريح حقيقة فهم الفهماء، بعد عبور ذلك، وتجاوزها إلى ما لو سنح سانح لتعبيره، وجري الحكم ببعض وصف تفسيره، ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه/ ١١١].

يا أخي لا عدمت إشارتك بالحق على ما بسط الحق إليك[١]، وقرّت عيني فيك ببلوغ النّهاية إلى ما أطلعك[٢] الحق عليه. أنت بعض أناسي، وشركاء رغبتي، وكبير من كبراء إخوتي، وخلٌ من أخلاء قلبي بخالص محبتي. ألست أحد من بقي من كبراء إخواننا، وأحد المشار إليهم من أبناء جنسنا، ومن عَظُمَتْ نعمة اللّه علينا فيه فيما وهبه لنا منه. لا تدع يا أخي، متفضّلاً متطوّلاً محسنًا، مكاتبتنا ومواصلتنا نستريح عند ذلك إلى طيب خبرك، ونتفرّج ببقاء أثرك، ونبتهج بعظم ما وهبه اللّه لك، فإن كان ذلك عندك مما نستحقّه فعلته، وإلا جعلت ذلك تطوّعًا منك علينا، وامتنانًا يصل منك إلينا. وعليك سلام اللّه، ورحمته، وعلى جميع إخواننا.

---

(١)خ: إليه. (٢)خ: اطلع.

الرسالة الرابعة عشرة

كتاب الشبلي إلى الجنيد (*)

كتب فيه:

«يا أبا القاسم، ما تقول في حال علا فظهر، وظهر فقهر، وقهر فبهر، فاستناخ واستقر؟ فالشواهد منطمسة، والأوهام خنسة، والألسن خرسة، والعلوم مندرسة، ولو تكاثفت الخليقة على من هذا حاله، لم يزدْه ذلك إلا توحشاً، ولو أقبلت الخليقة إليه تعطفًا، لم يزده ذلك إلا تبعدًا، فالحاصل في هذا الحال قد صُفد بالأغلال والأنكال، وغلبه على عقله فحال وحادّ الحق بالحق، وصار الخلق عقالاً، وكتب تحتها هذين البيتين:

يا هلالَ السَّمـا لطَرْف كليل فَـإذا مـا بَدا أضـا طَرَفَـيْـه
كُنتُ أبْكي عَلَيَّ مِنْهُ فَلمّـا أنْ تَـولّى بَكَيْتُ منهُ عليـه»

فترك الجنيد الرقعة عنده من الأربعاء إلى الأربعاء، وكتب تحتها:

« أبا بكر، اللّه اللّه في الخلق، كنا نأخذ الكلمة فننقشها، ونقرظها، ونتكلم بها في السراديب، وقد جئتَ أنت فخلعت العذار، بينك وبين أكابر الخلق ألفُ طبقة، في أول طبقة يذهب ما وصفتَ» .

(*) مستل من **اللمع**، الطوسي، ص ص٣٠٥-٣٠٦

المقدمة الأولى (*)

آثرك اللّه يا أخي بالاصطفاء، وجَمَعَك بالاحتواء، وخصّك بعلم أهل النُّهى، وأطلعك من المعرفة على ما هو أولى، وتمّم لك ما تريد منك له، ثم أخلاك منك له، ومنه له به، ليُفردك في تقلّبه لك، بما يُشهدك، من حيث لا يلحقك شاهدٌ من الشواهد يخرجك.

فذلك أول الأول، الذي مَحَا به رسوم ما ترادف مما غيّبته به عنك، بعلوّ مااستأثر به منه له، ثم أفردك منك لك، في أول تفريد التجريد، وحقيقة كائن التفريد. فكذلك إذا انفرد بذلك أباد، وأفني الإبادة ما سلف من الحقّ من الشاهد بعد إفناء محاضر الخلق، فعند ذلك يقع حقيقة الحقيقة من الحق للحق، ومن ذلك: ما جرى بحقيقة علم الانتهاء إلى علم التوحيد على علم تفريد التجريد، فقد عزره اللّه وحجبه عن كثير ممن ينتحله ويدّعيه ويتحقّقه ويصطفيه.

المقدمة الثانية (**)

موتك حقيقة الاختصاص عن لوائح الانتقاص، وآواك الحقّ في خفيّ من الملاحظه لحظّك، شغلا بالإجلال له عن ذكر نفسك وحالك في أوان ذكره. ثم أذكرك أنه ذكرك في قديم الأزل، قبل حين البلوى، وقبل حال البلوى، إنه فعالٌ لمايشاء، وهو قدير.

(*) المقدمة الأولي وردت في **اللمع**، الطوسي ص ٣١٣.
(**) **اللمع**، الطوسي ص٣١٣.

المقدمة الثالثة (*)

أكرمك بطاعته، وخصّك بولايته، وجللك بستره، ووفّقك لسنّة نبيه ﷺ، وأطلعك على فهم كتابه، وأنطقك بالحكمة، وآنسك بالقرب، وخصّك بالفوائد، ومنحك الزيادات، وألزمك بابه، وكلّفك خدمته، حتى تكون له موافقًا، ولكأس محبّته ذائقًا. فيتّصل العيش بالعيش، والحياة بالحياة، والروح بالروح، فتتمّ النعمة، وتَسْلَم من المَعْتَبَة، فتصح العافية، وتكمل السلامة.

المقدمة الرابعة (**)

بدت لك عجائب ما في الغيوب من أنبائها، وكشفت لك عن حقائق ما تكنّ من أكنانها، وأوضحت لك سرّ غرائب إخفائها، وخاطبتك بكل ما كمن من عطائها، بلسانه الذي ينطق به عن خفيّ مكانه، فأوضحُ مَنطق يوضح عن حُكم بيانه، ليس بماصرّح به من الفَصْح من لسانه، لكن بما أوقفه الحقّ من مراد إعلانه، وذلك غير كائن قبل حينه وأوانه. والمراد بفهم ذلك، هو المفْرَد الموجود من أهل دهره وزمانه.

المقدمة الخامسة (***)

حاطك اللّه بحياطته التي يحوط بها المستخلَصين من أحبابه، وثبّتك وإيّانا على سُبل مرضاته، وأولج بل قبابَ أنسه، وأرقاك في رياض فنون كرامته، وكلأك في الأحوال كلها كلاءة الجنين في بطن أمّه. ثم أدام لك الحياة المستخلَصة من قيموميّة الحياة على دوام ديمومية أبديته، وأفردك عمّا لك به، وعمّا له بك، حتى تكون فردًا به في دوامها [الحياة] لا أنت، ولا مالك، ولا العلم به، ويكون اللّه وحده.

(*) **اللمع**، الطوسي ص٣١٣ .
(**) **اللمع**، الطوسي ص٣١٤ .
(***) **اللمع**، الطوسي ص٣١٤ .

أشعار الجُنيد

أ

سُئل الجنيد عن التوحيد، فقال: سمعت قائلاً يقول: [من الهزج]

وغنّى لي من قلبي ... وغنيتُ كما غنّى

وكنا حيثما كانوا ... وكانوا حيثما كنا

[الرسالة القشيرية، ج٢/ ص٥٨٨،

طبقات الأولياء، ص١٣٥]

* * *

باء

أنشد أبو عمرو بن علوان للجنيد ـ رحمه الله ـ هذه الأبيات: [من الطويل]

تغرَّبَ أمري عندَ كُلّ غريبِ ... فَصرتُ عجيباً عندَ كُلّ عَجيبِ

وذاك لأنَّ العارفين رأيتُهم ... على طبقاتٍ في الهواء رُتوبُ

فأصبحَ أمري ليس يُدركُ غوره ... سِوَى أنني للعارفين خطيبُ

[ورد في اللمع، ص٣١٨]

سمع الجنيد جارية تغني، وروي عنها قولها شعراً: [من الطويل]

إذا قلت: أهدي الهجرُ لي حُلَل البلَى ... تقولين: لولا الهجرُ لم يَطِب الحبُّ

وإن قلتُ: هذا القلبُ أحْرقَهُ الهوى ... تقولين: بنيران الهوى شَرُفَ القلبُ

وإن قلتُ: ما أذنبتُ؟ قلتِ مجيبةً حياتُكَ ذنبٌ لا يقاسُ به ذنبُ

[وفيات الأعيان، ج١/ ص٣٧٤، وشذرات الذهب، ج٢/ ص٢٢٩
البداية والنهاية، ج١١/ ص ص١١٤-١١٥، مرآة الجنان، ج٢/ ص٢٣٢]

نقل الجنيد عن السري قوله: [من الخفيف]

كيفَ أشكو إلى طبيبي ما بي والذي بي أصابني من طَبيبي

[روض الرياحين، ص٢١٤]

يروي الجنيد عن إمرأة في الطواف قولها شعراً: [من الطويل]

أبي الحب أن يَخفَى وكم قد كتَمْتُهُ فأصبحَ عندي قد أناخَ وطَنَّبا
إذا اشتدّ شوقي هام قلبي بذكره فإن رُمتُ قُرباً من حبيبي تقَرَّبا
ويبدو فأفنَى ثم أحْيا به له ويُسعدُني حتى ألذَّ وأطْرَبا

[طبقات الشافعية الكبرى، ج٢/ ص٢٧٢
نشر المحاسن، ص١٨٨]

* * *

تاء

قال الجنيد: [من الطويل]

لقدْ تاهَ في تيه التوحُّدِ وحدَهُ وغاب بعزٍّ منك حين طلبْتَهُ
ظهرْتَ لمنْ أثبتَّهُ بعد بونِه فكان بلا كونٍ كأنك كنْتَهُ

[اللمع، ص ص٤٣٢-٤٣٣]

أنشد الجنيد يقول: [من الطويل]

إذا كنتَ قوتَ النفس ثم هجرتَها ... فلم تلبثِ النفسُ التي أنتَ قوته

[الحلية، ج١٠/ ص٢٧٦]

* * *

دال

سمع الجنيد شاباً يبكي ويقول: [من الوافر]

بحُرمةِ غُرْبتي! كم ذا الصُّدودُ! ... ألا تعطفْ عليّ! ألا تجودُ
سرورُ العيد قد عَمَّ النواحي ... وحزني في ازدياد لا يبيدُ
فإن كنتُ اقترفتُ خِلالَ سوءٍ ... فعُذري في الهوى أن لا أعودُ!

[طبقات الشافعية الكبرى، ج٢/ ص٢٧١
طبقات الأولياء، ص١٣٣]

أنشد الجنيد: [مخلع البسيط]

هل من سبيلٍ إلى حبيبِ ... أوقفني موقفَ العبيدِ
واللّه واللّه لو بدَا أني ... بكلِّ ضربٍ من الصُدودِ
ما كان لي من هواه بدٌّ ... ولو تقطّعتُ بالوجودِ

[الحلية، ج١٠/ ص٢٦٩]

أنشد الجنيد: [من البسيط]

الوجدُ يُطربُ من في الوجْد راحتُه — والوجْدُ عند حُضُور الحقّ مفقودُ
قد كان يُطربُني وجْدي فأشْغَلَني — عن رؤيةِ الوجْدِ ما في الوْجدِ

[التعرّف، ص ص١٣٤-١٣٥]

أنشدونا: [من البسيط]

تنفّس الشوقُ في قلبي فصعّدَهُ — كما تنفّسَ جَرْيُ الماءِ في العودِ
اللّهُ يعلمُ أنّي من محبيهِ — لم أبقِ شيئاً وقد بلّغتُ مجهودي

[Massignon,Recueil de texts.. 1929, pp. 49-51]

* * *

راء

أنشد الجنيد: [من البسيط]

يا موقدَ النار في قلبي بقدرته — إن شئتَ أطفأتَ من قلبي بك النارا
لا عارَ إن متُّ من خوف ومن حذرٍ — على فِعَالك بي لا عارَ لا عارا

[اللمع، ص٣١٨، كما ورد
في مَشْرَبِ الأرواح، ص٩١]

أنشد الجنيد: [من الطويل]

وإنّ امــــرءاً لـم يصفُ للّه قلبــــه لفي وحــشـــةٍ من كل نظرة ناظر
وإنّ امــرءاً لم يرتحلْ ببـضـاعــةٍ إلى داره الأخــرى فليس بتــاجــر
وإنّ امـرءاً بــاع دنيــــا بـدينـه لمنقلـب منـهـا بصـفـقـة خـاسـر

[طبقات الأولياء، ص١٣٥]

للجنيد: [من البسيط]

يا مُسْعري أسفاً يا مُتلفي شغفاً لو شئتَ أنزلْتَ تعـذيبي بمقـدار
حاشاكَ من استغاثاتي فكيف وقد أوليـتـني نعـمـاً طاحتْ بأذكـارِ

[اللمع، ص٣١٨]

سمع الجنيد مغني يغني: [من البسيط]

منازلٌ كنتَ تهواها وتألفها أيامَ أنت على الأيام منصورُ

[صفة الصفوة، ج٢/ ص٤٢١، الكواكب الدرية ص٥٨١، نشر المحاسن، ص٣١٣]

روي الجنيد عن إمرأة في الطواف قولها شعراً: [من الطويل]

يطـوفـون بالأحـجـارِ يبـغـون قُـرْبـةً إليك وهُم أقسى قلوباً من الصَّـخْـرِ
وتاهوا فلم يَدْروا من التِّـيـه مَن هُـمُ وحَلُّوا مَـحلَّ القُـرب في باطنِ الفكْرِ
فلو أخلصوا في الوُدِّ غابت صفـاتُهمْ وقـامت صِـفـاتُ الـودِّ للحقِّ بالذِّكـرِ

[طبقات الشافعية الكبرى، ج٢/ ص٢٧٢
نشر المحاسن، ص١٨٨]

يروي الجنيد عن سري قوله شعراً: [من البسيط]

ما في النهار ولا في الليل لي فَرَجٌ   فما أبالي أطالَ الليلُ أمْ قَصُرا

[اللمع، ص٣٢٢، النفحات، ق٤٧]

* * *

سين

أنشد الجنيد: [من المنسرح]

نَمَّ على سِرٍّ وَجْدِه النَّفَسُ   والدمعُ من مُقلتيه يَنْبَجِسُ
مُدلّهٌ هائمٌ له حُرَقٌ   أنفاسُه بالحنينِ تُخْتَلَسُ
مهذَّبٌ عارفٌ لهُ فطَنٌ   من نور أنْسِ الحبيب يُقْتبسُ
يا، بأبي الأشعثُ الغريبُ فتىً   ليس له دونَ سؤله أنسُ
يا، بأبي جسمُه الزَّكيُّ وإن   كان عليه خُلَيِّقٌ دنسُ

[اللمع، ص ص٣١٩-٣٢٠]

* * *

عين

يروى جعفر بن محمد بن نصير عن الجنيد قوله شعراً: [من المتقارب]

لساني كَتومٌ لأسرارِكمُ ودمعي   نَمومٌ لسِرّي مذيعُ
ولولا دموعي كتمتُ الهوى   ولولا الهوى لم تكنْ لي دموعُ

[مصارع العشاق، ج٢، ص١١٣]

يروي الجنيد لأبي الحسن النوري هذه الأبيات: [من البسيط]

قالوا غداً العيدُ ماذا أنتَ لابسهُ فقلتُ خلعةَ ساقٍ عبدَه جُرعا
فقرٌ وصبرٌ هُما ثوبايَ تحتَهُماَ قلبٌ يرَى ربَّه الأعيادَ والجُمَعَا
أحرَى الملابسَ أن تلقَى الحبيبَ بها يومَ التزاوُرِ في الثوبِ الذي خَلَعَا
الدهرُ لي مأتمٌ إن غِبتَ يا أملي والعيدُ ما دمتُ لي مرأى ومُستمعا

[التعرّف، ص١١٤]

فأنشد: [من الطويل]

طوارقُ أنوارٍ تلوحُ إذا بَدَتْ فتُظهر كتماناً وتُخبر عن جَمْع

[الرسالة القشيرية، ج١/ص١٩٥]

* * *

فاء

كان الجنيد كثيراً ينشد: [من البسيط]

علمُ التصوفِ عِلْمٌ ليس يعرفُه إلا أخو فطنةٍ بالحقّ معروفُ
وليس يعرفُه من ليس يَشْهَدُه وكيف يَشْهدُ ضوءَ الشمسِ مكفوفُ

[قوت القلوب، ج١/ص٣٢٤]

أنشد الجنيد: [من البسيط]

قد كان لي مشربٌ يصفو برؤيتكم فكدّرته يدُ الأيام حين صفا

[الحلية، ج١٠/ ص٢٧٩، طبقات الشافعية الكبرى، ج٢/ ص٢٧٣، طبقات الصوفية، ص١٦٣، طبقات الأولياء، ص١٢٩، صفة الصفوة، مج٢/ ص٤٢١]

أنشد جعفر الخُلدي للجنيد، هذين البيتين: [من الكامل]؟

مـا لي جُـفـيتُ وكنتُ لا أجـفـي ودلائـل الهـجرانِ لا تُـخـفـي؟!

وأراكَ تسـقـيـني وتَـمـزُجُنـي ولقـدْ عـهْـدتُكَ شـاربي صـِرفـاً!

[اللمع، ص٣١٩]

أنشد الجنيد: [من المنسرح]

لا الفقرُ عارٌ ولا الغنى شرفُ ولا شيءَ في طاعةٍ سَرَفُ

[طبقات الأولياء، ص١٣٦]

* * *

قاف

نقل الجنيد عن السري قوله: [من البسيط]

القلبُ محترقٌ والدمع مستبقٌ … والكربُ مجتمعٌ والصبر مفترقُ
كيف القرارُ على من لا قرارَ له … مما جناه الهوى والشوقُ والقلقُ
يا ربِ إن كان شيء فيه لي فرجٌ … فامنن عليّ به ما دام بيَ رَمَقُ

[الحلية، ج١٠/ ص٣٧١،
وروض الرياحين، ص٢١٤]

* * *

لام

يروي الجنيد عن جارية قولها شعراً: [من البسيط]

قالوا ألفت وقوفاً في منازلهم … ونفس مثلُك لا يفتي تحملها
فقلتُ والقلبُ قد ضجَّتْ أضالعُه … والروحُ تنزعُ والأشواقُ تبذلُها
منازلُ الحبِّ في قلبي معظَّمةٌ … وإن خلا من نعيمِ الوصلِ منزلُها
فكيف أتركُها والقلبُ يتبعُها … حبّاً لمن كان قبلَ اليومِ ينزلُها

[روض الرياحين، ص١٥٣]

[من الطويل]

غرسْتَ لأهلِ الحبِّ غرساً من الهوى ... ولم يكُ يدري ما الهوى أحدٌ قبلي
فأوْرَقَ أغصاناً وأينعَ ... صبوةً وأعقبَ لي مُرّاً من التمّر للْمَحْلِ
وكلُّ جميعِ العاشقين هواهُم ... إذا نسبوه كان من ذلك الأصلِ
جريْتُ مع العشّاقِ في حَلْبَةِ الهوى ... ففُقتُهُم سبْقاً وجئتُ على رَسْلي

[Massignon,Recueil de texts indeits.. 1929, pp. 29-51]

كان الجنيد ـ رحمه الله ـ ينشد هذين البيتين كثيراً : [من الطويل]

ومن بعد هذا ما تدق صفاتُه ... وما كتمه أحظى لديه وأعدلُ
ألا إنّ للرحمن سراً يسره ... إلى أهله في السرِّ والستُر أجملُ

[قوت القلوب، ج٢/ ص١١٧]

كان الجنيد ـ رحمه الله ـ ينشد أبياتاً يشير بها إلى أحوال العارفين : [من الطويل]

سرت بأناس في الغيوب قلوبُهم ... فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراصاً بقرب الله في ظل قُدْسه ... تجولُ بها أرواحُهم وتنقلُ
مواردهم فيها على العزِّ والنهى ... ومصدرهم عنها لما هو أكْملُ
تروحُ بعز مفرد من صفاته ... وفي حللَ التوحيد تمشي وتَرْفُلُ
ومن بعد هذا ما تَدقُ صفاتُه ... وما كَتْمه أولى لَديه وأعدلُ
سأكتمُ من علمي به ما يصونُه ... وأبذلُ منه ما أرى الحقَ يبذلُ
وأعطي عبادَ الله منه حقوقَهم ... وأمنع منهُ ما أرى المنعَ يفضلُ
على أنَّ للرحمن سراً يصونُه ... إلى أهله في السرِّ والصونُ أجملُ

[إحياء علوم الدين، ج٤/ ص ص٣٣٦-٣٣٧]

أنشد الجنيد: [من الطويل]

سـرت بناس في الغـيـوب قلوبُهـم وجـالوا بقـرب الماجـدِ المتـفـضل
ونالـوا مـن الجـبّـار عطفـاً ورأفـةً وفـضـلاً وإحـسـاناً وبراً يُعـجلُ
أولئك نحـو العـرشِ هامتْ قلوبُهم وفي ملكـوت العـز تـأوى وتنزلُ

[الحلية، ج١٠/ ص٢٨٤]

يروي الجنيد عن السري السقطي قوله شعراً: [من الوافر]

ومـا رُمْتُ الدخُـولَ عليـه حـتى حَلَلْتُ مَـحَلةَ العَـبْدِ الذليـلِ
وأغْـضَـيْتُ الجـفـونَ على قَـذَاها وصُنْتُ النفسَ عن قـال وقـيلِ

[اللمع، ص٣٢٢]

قال أبو بكر ختن الجنيد: أنشدني الجنيد بن محمد: [من الطويل]

أنـاس أمنـاهم فنمـّوا حـديثنـا فلمـا كـتـمنا السـرّ عنهم تقـولوا
ولـم يـحـفظوا الـودّ الـذي بيننـا ولا حين همـّوا بالقطيـعـةِ أجـملوا

[الحلية، ج١٠/ ص٢٦٩]

* * *

ميم

[من الطويل]

وما قلتُ غير أني أعرتُها ... لساني فأومْت للهوى يتكلم

فأسرارُها منها علمت وعندها ... شكرت جليسي شرها منه يعلم

[مرآة الجنان، ج٢/ ص٢٣٣]

أنشد الجنيد: [من الكامل]

ذهبت محاسنها وبان هجونها ... والدهر لا يبقي مكاناً سالماً

فاستبدلت من أنسها بتوحش ... ومن السرور بها عزاء راغماً

[روض الرياحين، ص١٥٣،

مرآة الجنان، ج٢/ ص٢٣٤]

أنشدالجنيد: [من الطويل]

تحمّل عظيمَ الجرمِ ممن تُحبُّه ... وإن كنتَ مظلومًا، فقل أنا ظالم

[الحلية، ج١٠/ ص٢٦٩]

* * *

نون

سمع الجنيد، حادياً يحدو في البادية: [من الرجز]

أبكي، وهل يُدريك ما يُبكيني ... أبكي، حذارا أن تفارقيني

وتَقْطعي حبلي وتَهجريني

[الرسالة القشيرية، ج٢/ ص٦٣٤،
اللمع، ص٣٠٧، النفحات، ق٤٨]

يروي الجنيد هذا الشعر الذي سمعه من جارية تغني خلف أسوار دار في الكوفة: [من الوافر]

ألا يا دارُ لا يدخلْك حزنٌ ... ولا يَعْبَثْ بساكنكِ الزمانُ

فنعمَ الدارُ أنت لكلِّ ضيفٍ ... إذا ما الضيف أعْوَزَه المكان

[روض الرياحين، ص١٥٢،
مرآة الجنان، ج٢/ ص٢٣٤]

يروي الخلدي عن الجنيد: [من الكامل]

نون الهوان من الهوى مسروقة ... فصريع كلِّ هوىً صريع هوانِ

[طبقات الأولياء، ص١٣٠]

قال أحد أصحاب الجنيد غير المعروفين، يرثيه : [من مُخلَّع البسيط]

وا أسفي من فراق قومٍ　　همُ المصابيحُ والحصونُ
والمُدْنُ والمُزْنُ والرواسي　　والخيرُ والأمنُ والسكونُ
لم تتغيّرْ لنا الليالي　　حتى توفَّتْهمُ المنونُ
فكلُّ جمرٍ لنا قلوبٌ　　وكلُّ ماءٍ لنا عيونُ

[طبقات الشعراني، ج١/ ص٨٦، تاريخ بغداد
مج٧/ ص٢٤٩، طبقات الأولياء، ص١٣٥]

[من الطويل]

ذَكَرْتُكَ لا أنّي نسيتُكَ لمحةً　　وأيْسَرُ ما في الذِّكْرِ ذكْرُ لساني

[التعرّف، ص١٢٤؛ كما تنسب إلى
الشبلي، الرسالة القشيرية، ج٢/ ص٤٦٧]

يقول الجنيد : [من مجزوء الرمل]

فَتَحَقَّقْتُكَ في سرّي فناجاكَ لساني
فاجْتَمعْنا لمعَانٍ وافتَرَقْنا لمعَاني
إنْ يكنْ غَيَّبَكَ التَّعْظيمُ عن لَحظِ عياني
فَلَقدْ صَيَّركَ الوَجْدُ من الأحْشاءِ داني

[اللمع، ص٢٨٣، الرسالة القشيرية، ج١/ ص٢١٠]

يروي الجنيد عن امرأة في الطواف قولها شعراً: [من مجزوء الرَّجَلْ]

لـولا التُّــــقَــى لـم تَـرنــيِ أهـجُـــرُ طِيـبَ الـوَسَـــنِ
إن التُّــــقــي شَــرَّدَنـــيِ كـمـــا ترى عـن وطَنـــيِ
أفِـــرُّ مِـن وَجْـدي بِــهِ فـحـــبُّـه هـيَّـمَــنـيِ

[طبقات الشافعية الكبرى، ج٢/ ص٢٧٢،
نشر المحاسن، ص١٨٨]

* * *

هـاء

بيتان للشبلي وردا في رسالته للجنيد: [من الخفيف]

يا هلالَ السَّـــمـــا لطرْف كليل فَـإذَا مــا بَدا أضــا طَرَفَــيْــهِ
كُنْتُ أبْكي عَلَيَّ مِنْهُ فَلمَّـــا أنْ تَـولَّـى بَـكَـيْـتُ منهُ علَيـــهِ

[اللمع، ص٣٠٦]

أنشد الجنيد: [من المديد]

حـاضـرٌ في القلب يعـمُـره لستُ أنسـاه فــأذكـــرُهُ
فــهـو مــولايَ ومُـعْـتـمـدي ونـصـيــبي منه أوفـرُهُ

[الرسالة القشيرية، ج٢/ ص٥٩٦]

يـــاء

يروي الجنيد شعراً لسري: [من الطويل]

ولما ادَّعيتُ الحبَّ قالت: كذَبْتَني ... فمالي أرى الأعضاءَ منك كواسيا
فما الحبُّ حتى يلصقَ الجلدُ بالحشا ... وتذبلُ حتى لا تُجيبَ المناديا
وتنحلُّ حتى لا يُبقى لك الهوى ... سوى مقلةٍ تبكي بها وتناجيا

[نشر المحاسن، ص٦٠، الرسالة القشيرية،
ج٢/ ص٦١٩، اللمع، ص ص٣٢١-٣٢٢]

يقول الجنيد: [من مُخلَّع البسيط]

تريد مني اختبار سرّي ... وقد علمتَ المراد مني
فليس لي من سواك حظٌّ ... فكيفما شئت فامتحني
كل بلاء عليَّ مني ... ياليتني قد أخذت عني

[الحلية، ج١٠/ ص٢٨٤]

* * *

أدعية ونجوى



أدعية ونجوى

الدعاء الأول(*)

«اللهمّ إني أسألك يا خير السامعين، وبجُودك ومجْدك يا أكرَمَ الأكرمين، وبكرمك وفضلك يا أسْمحَ السامحين، وبإحسانك ورأفتك يا خير المعطين.

أسألك سؤال خاضع، خاشع، متذلل، متواضع، ضارع، اشتدّت إليك فاقتُهُ، وأنزلَ بك على قدر الضرورة حاجتَهُ، وعَظُمتْ فيما عندك رغبتُهُ، وعَلم أن لايكون شيءٌ إلا بمشيئتك، ولا يشفع شافع إليك إلا من بعد إذنك. فكم من قبيح قد سترتَهُ، وكم من بلاء قد صرفتهُ، وكم من عشرة قد أقَلتها، وكم من زلة قد سَهَلْت[1] بها، وكم من مكروه قد رفعتَه، وكم من ثناء قد نشرتَهُ.

أسألك ياسامع أصوات المستغيثين، وعالم خفيِّ إضمار الصامتين، ومطّلع في الخلوات على أفعال المتحركين، وناظر إلى ما دَقّ وجلّ من آثار الساعين.

أسألك أن لا تحجب، بسوء فعلى، عنك صوتي. ولا تفضحني بخفيّ مااطَّلعتَ عليه من سرّي. ولا تعاجلني العقوبة على ما علمتَه من خلواتي. وكن بي في كلّ الأحوال رافقًا، وعليَّ في كل الأحوال عاطفًا.

إلهي وسيدي وسَنَدي أنا بك عائذ، لائذ، مستغيث، مستجير، من تكاثف مخاوف علل سرّي، ومن لزوم ذلك ضميري وقلبي، حتى يكاد ذلك أن يملأ صدري، ويَوقف على الانبساط إلى ذكْرك عقلي ولساني، ويمنع من الحركة في الخدمة جسمي، فأنا في حبس ما يعارضَني من ذلك من النقص والتقصير.

(*) الدعاء الأول مستل من **اللمع**، ص٣٢٩- ٣٣٠.

(١) سهلت: تساهلت، تسامحت.

أسألك أن تخرج ذلك عن ذكري، وتمنعه من قلبي، واجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورةً، وبخدمتك وعبادتك موصولةً، حتى يكون الورود ورودًا واحدًا، والحال حالاً واحدًا، لا سآمة فيه، ولا فتور، ولا ملَلَ، ولا تقصير، حتى أسرع به إليك في حين المبادرة، وأسرح بذلك إليك في ميادين المسابقة. وارزقني من طعم ذلك اللذائذ السابغة، يا أكرم الأكرمين».

الدعاء الثاني(*)

إلهي، وسيدي، ومولاي، من أحسنُ منك حُكمًا لمن أيقنَ بك؟ ومَنْ أوسعُ منك رحمةً لمن اتّقاك وقصدك؟ ومن أسرعُ منك عطفًا ورأفةً لمن أرادك وأقبل على طاعتك؟

فكلهم في نعمائك يتقلّبون، ولك بفضلك عليهم يعبدون. سرتْ همومهم بك إليك، وانفردت إرادتهم لديك، وأقبلت قلوبهم بك عليك، وفنيت حظوظهم من دونك واجتمعت لك وَحْدَك. فهم إليك في الليل والنهار متوجهون، وعليك في كلّ الأحوال مقبلون، ولك على الأحوال مؤثرون.

فأنا أسألك إلهي، وسيدي، ومولاي، أن تكون لي بفضلك كالئًا، كافيًا، عاصمًا، راحمًا. فإني إليك لاحٍ، وبك مستغيث، وإليك راغب، ومنك راهب، وعليك في أمور الدنيا والآخرة متوكل، ﴿**أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء/ ٨٧].

(*) الدعاء الثاني مستل من **اللمع**، ص٣٣٣.

الدعاء الثالث

جاء رجل فشكا إلى الجنيد الضيق، فعلّمه، وقال قل:

«اللهمّ إني أسألك منك ما هو لك، وأستعيذك من كلّ أمر يسخطك. اللهمّ إني أسألك من صفاء الصفاء، صفاءً أنال به منك شرف العطاء. اللهمّ ولا تشغلني شغل من شغله عنَك، ما أراد منك إلا أن يكون لك. اللهمّ اجعلني ممن يذكرك، ذكر من لا يريد بذكْره منك إلا ما هو لك. اللهمّ اجعل غاية قصدي إليك، ما أطلبه منك. اللهمّ املأ قلبي بك فرحًا، ولساني لك ذكراً، وجوارحي فيما يرضيك شغلاً.

اللهمّ امح عن قلبي كلّ ذكر إلا ذكرك، وكلّ حبّ إلا حبّك، وكلّ ودّ إلا ودّك، وكلّ إجلال إلا إجلالك، وكلّ تعظيم إلا تعظيمك، وكلّ رجاء إلا لك، وكلّ خوف إلا منك، وكل رغبة إلا إليك، وكلّ رهبة إلا لك، وكلّ سؤال إلا منك.

اللهمّ اجعلني ممن لك يعطي ولك يمنع، وبك يستعين وإليك يلجأ، وبك يتعزز ولك يصبر، وبحكمك يرضى. اللهمّ اجعلني ممن يقصد إليك قَصْدَ من لا رجوع له إلا إليك. اللهمّ اجعل رضائي بحكمك فيما ابتليتني في كلّ وقت متصلاً غير منفصل. واجعل صبري لك على طاعتك صَبْرَ من ليس له عن الصبر صَبْرٌ إلا القيام بالصبر. واجعل تصبّري عما يسخطك فيما نهيتني عنه تَصَبُّرَ من استغنى عن الصبّر بقوة العصمة منك له. اللهمّ واجعلني ممن يستعين بك. استعانةَ من استغنى بقوّتك عن جميع خلقك. اللهمّ واجعلني ممن يلجأ إليك لَجْأَ من لا ملجأ له إلا إليك. واجعلني ممن يتعزّى بعزائك ويصبر لقضائك أبداً ما أبقيتني.

اللهمّ وكلّ سؤال سألته، فعن أمْر منك لي بالسؤال، فاجعل سؤالي لك سؤال محابّك، ولا تجعلني ممن يتعمّد بسؤاله مواضع الحظوظ، بل يسأل القيام بواجب حقّك».

(*) الدعاء الثالث مستل من **حلية الأولياء** ج١٠ / ص٢٨٢.

الدعاء الرابع (*)

الحمد لله، إلهي، حمداً كإحصاء علمك، حمداً يرقى إليك على الألسنة الطاهرة، مبرأ من زيغ وتهمة، معرّى من العاهات والشبهات، قائمًا في عين محبتك بحنين صدق إخلاصه، ليكون نور وجهك العظيم غايته، وقدس عظمتك نهايته، [حمداً] لا يستقر إلا عند مرضاتك، خالصًا بوفاء إرادتك نصب إرادتك، حتى يكون لمحامدك سائقًا قائداً.

إلهي ليس في أفق سمواتك، ولا في قرار أرضك، [ولا] في فسحات أقاليمها، من يجب أن يُحْمَد غيرك. إذ أنت منشئ المنشآت، لا تعرف شيئًا إلا منك. وكيف لا تعرفك الأشياء ولم يقرّ الخلق إلا لك، وبدؤه منك، وأمره إليك، وعلانيته وسره محصى في إرادتك؟

فأنت المعطي والمانع، وقضاؤك الضار والنافع. وحلمك يمهل خلقك، وقضاؤك يمحو ما تشاء من قَدَرك. تُحدث ما شئت أن تحدثه، وتَستأثر بما شئت أن تستأثره. وتخلق ما أنت مستغن عن صَنعه، وتصنع ما يبهر العقول من حسن حكمته. لا تُسأل عما تفعل، لك الحجة فيما تفعل. وعندك أزمة مقادير البشر، وتصاريف الدهور، وغوامض سرّ النشور. ومنك فهم معرفة الأشخاص الناطقة بتفريدك، لا يغيب عنك ما في أكنّة سرائر الملحدين، ولا يتوارى عن علمك اكتساب خواطر المبطلين، ولا يهيم في قضائك إلا الجاهلون، ولا يغفل عن ذكرك وشكرك إلا الغافلون، ولا تحتجب عنك وساوس الصدور، ولا وهم الهواجس، ولا إرادة الهمم، ولا عيون الهمم، التي تُخرج بصائر القلوب.

إلهي كيف أنظر -إن نظرتُ- إلا إلى رحمتك، وإن غضضتُ فعلى نعَمك. فمن فضلك جعلتَ حكمك يحتمل على عطفك، ومن فضلك جعلتَ نعمكَ تَعمّ جميع خلقك. فهب لي من لدنك ما لا يملك غيرك، مما تعلمه يا وهّاب، يا فعّال لما يريد. واجعلني من خاصة أوليائك، يا خير مدعو، وأكرم راحم، إنك أنت على كلّ شيء قدير.

(*) الدعاء الرابع مستل من **حلية الأولياء** ج١٠/ ص٢٨٣ .

الدعاء الخامس (*)

كان الجنيد يدعو بهذا الدعاء، على ممر الأيام:

الحمد للّه حمداً دائمًا، كثيرًا، طيبًا، مباركًا، موفورًا، لا انقطاع له ولا زوال، ولا نفاذ له ولا فناء، كما ينبغي لكريم وجهك، وعزّ جلالك، وكما أنت أهل الحمد في عظيم ربوبيتك، وكبريائك. ولك من كلّ تسبيح، وتقديس، وتمجيد، وتهليل، وتحميد، وتعظيم، ومن كلّ قول حسن زاك جميل ترضاه، مثل ذلك.

اللهمّ صلِّ على عبدك المصطفى، المنتخب، المختار، المبارك، سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وعلى أشياعه وأتباعه وأنصاره وإخوانه من النبيين.

وصلِّ اللهمّ على أهل طاعتك أجمعين، من أهل السموات والأرضين.

وصلِّ على جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، ورضوان، ومالك.

اللهمّ صلِّ على الكروبيّين، والروحانيّين، والمقرّبين، والسيّاحين، والحَفَظَة، والسَفَرة، والحَمَلَة.

وصلِّ على ملائكتك، وأهل السموات، وأهل الأرضين، وحيث أحاط بهم علمك في جميع أقطارك كلّها. صلاة ترضاها وتحبّها، وكما هم لذلك كلّه أهل.

وأسألك اللهمّ بجودك، ومجدك، وبَذْلك، وفضلك، وطَوْلك، وبرّك، وإحسانك، ومعروفك، وكرمك، وبما استقلّ به العرش من عظيم ربوبيتك. أسألك يا جوّاد، يا كريم، مغفرة كلّ ما أحاط به علمك من ذنوبنا، والتجاوز عن كلّ ما كان منا. وأدّ اللهمّ مظالمنا، وقم بأودنا في تبعاتنا، جوداً منك ومجداً، وبذلاً منك وطَوْلاً، وبدّل قبيح ما كان منّا حسنًا، يا من يمحو ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب.

(*) الدعاء الخامس مستل من **حلية الأولياء** ج ١٠/ ص ص ٢٨٤-٢٨٧.

أنت كذلك ولا كذلك غيرك، اعصمنا فيما بقي من الأعمار، إلى منتهى الآجال، عصمة دائمة كاملة تامة. وكرّه إلينا كلّ الذي تكره، وحبّب إلينا كلّ الذي ترضاه وتحبّه، واستعملنا به على النحو الذي تحبّ، وأدم ذلك لنا إلى أن تتوفانا عليه. أكّد على ذلك عزائمنا، وأسدد عليها نياتنا، وأصلح لها سرائرنا، وابعث لها جوارحنا، وكُن وليّ توفيقنا، وزيادتنا، وكفايتنا.

هب لنا اللهمّ هيبتك، وإجلالك، وتعظيمك، ومراقبتك، والحياء منك، وحسن الجدّ، والمسارعة والمبادرة إلى كلّ قول زكيّ حميد ترضاه. وهب لنا اللهمّ ما وهبت لصفوتك، وأوليائك، وأهل طاعتك، من دائم الذكر لك، وخالص العمل لوجهك، على أكمله وأدومه وأصفاه وأحبّه إليك. وأعنّا على العمل بذلك إلى منتهى الآجال.

اللهمّ وبارك لنا في الموت إذا نزل بنا، اجعله يوم حباء وكرامة وزلفى وسرور واغتباط، ولا تجعله يوم ندم ولا يوم أسى. وأوردنا من قبورنا على سرور وفرح وقرة عين، واجعلها رياضًا من رياض جنتك، وبقاعًا من بقاع كرامتك ورأفتك ورحمتك. لَقِّنّا فيها الحجج، وآمنّا فيها من الروعات، واجعلنا آمنين مطمئنين إلى يوم تبعثنا.

يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، لا ريب في ذلك اليوم عندنا، آمنّا من روعاته، وخلّصنا من شدائده، واكشف عنا عظيم كربه، واسقنا من ظمئه، واحشرنا في زمرة محمدﷺ، المصطفى الذي انتخبته، واخترته، وجعلته الشافع لأوليائك، المقدّم على جميع أصفيائك، الذي جعلت زمرته آمنة من الروعات.

أسألك يا من إليه لجأنا، إليه إيابنا، وعليه حسابنا، أن تحاسبنا حسابًا يسيراً، لاتقريع فيه، ولا تأنيب، ولا مناقشة ولا موافقة. عاملنا بجودك ومجدك كرمًا، واجعلنا من السرعان المغبوطين، واعطنا كتبنا بالأيمان، واجزنا الصراط مع السرعان، وثقّل موازيننا يوم الوزن، ولا تُسْمعنا لنار جهنم حسيَسًا، ولا زفيراً، وأجرنا منها، ومن كلّ ما يقرّب إليها من قولَ وعمل. واجعلنا بجودك ومجدك وكرَمك في دار كرامتك وحبورك، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

واجمع بيننا وبين آبائنا، وأمهاتنا، وقراباتنا، وذريّاتنا، في دار قدسك ودار حبورك، على أفضل حال وأسرّها، وضمّ إلينا إخواننا الذين هم على الفتنا، والذين كانوا على ذلك، من كلّ ذكر وأنثى. بلّغهم ما أمّلوه، وفوق ما أمّلوه، واعطهم فوق ما طلبوه، واجمع بيننا وبينهم في دار قدسك ودار حبورك على أفضل حال وأسرها.

وعمّ المؤمنين والمؤمنات جميعًا برأفتك، ورحمتك، الذين فارقوا الدنيا على توحيدك. كن لنا ولهم وليًا كالئًا، كافيًا، وارحم جفوف أقلامهم، ووقوف أعمالهم، وما حلّ بهم من البلاء، والأحياء منهم، تُب على مسيئهم، واقبل توبتهم، وتجاوز عن المسرف منهم، وانصر مظلومهم، واشف مريضهم، وتُب علينا وعليهم، توبة نصوحا ترضاها. فإنك الجواد بذلك، المجيد به القادر عليه. وكن اللهمّ للمجاهدين منهم، وليًا وكالئًا وكافيًا وناصرًا، وانصرهم على عدوهم نصرًا عزيزًا، واجعل دائرة السوء على أعدائك وأعدائنا، أسفك اللّه دماءهم، وأبح حريمهم، واجعلهم فيئًا لإخواننا من المؤمنين.

وأصلح الراعي والرعية، وكلّ من ولّيته شيئًا من أمور المسلمين، صلاحًا باقيًا دائمًا. اللهمّ أصلحهم في أنفسهم، وأصلحهم لمن ولّيتهم عليهم، وهب لهم العطف والرأفة والرحمة بهم، وأدمْ ذلك لنا فيهم ولهم في أنفسهم.

اللهمّ اجمع لنا الكلمة، واحقن الدماء، وأزل عنا الفتنة، وأعذنا من البلاء كلّه، تقول ذلك لنا بفضلك، من حيث أنت به أعلم، وعليه أقدر. ولا تُرنا في أهل الإسلام سيفيْن مختلفيْن، ولا تُرنا بينهم خلافًا. اجمعهم على طاعتك، وعلى مايقرب إليك، فإنك وليّ ذلك وأهله.

اللهمّ إنّا نسألك أن تعزّنا ولا تذلّنا، وترفعنا ولا تضعنا، وتكون لنا ولا تكن علينا، وتجمع لنا سبيل الأمور كلها: أمور الدنيا التي هي بلاغ لنا إلى طاعتك، ومعونة لنا على موافقتك. وأمور الآخرة التي فيها أعظم رغبتنا، وعليها معولنا وإليها منقلبنا. فإن ذلك لا يتم لنا إلا بك، ولا يصلح لنا إلا بتوفيقك.

اللهمّ وهب لنا هيبتك، وإجلالك، وتعظيمك، وما وهبت لخاصتك من صفوتك، من حقيقة العلم والمعرفة بك. مُنّ علينا بما مننت به عليهم، من آياتك وكراماتك، واجعل ذلك دائمًا لنا، يا من له ملكوت كلّ شيء، وهو على كلّ شيء قدير.

اللهمّ هب لنا العافية الكاملة في الأبشار، وجميع الأحوال، وفي جميع الإخوان، والذريّات، والقرابات. وعمّ بذلك جميع المؤمنين والمؤمنات، إجْرِ علينا من أحكامك أرضاها لك، وأحبّها إليك، وأعونها على كلّ مقرب من قول وعَمل.

يا سامع الأصوات، ويا عالم الخفيّات، ويا جبّار السموات، صلِّ على عبدك المصطفى محمد، وعلى آل محمد، أولاً وآخراً، ظاهراً وباطنًا، واسمع واستجب، وافعل بنا ما أنت أهله، يا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين.

الدعاء السادس (*)

إذا سأل إنسان الجنيد أن يدعو له، كان يقول:

«جمعَ اللّه همَّك، ولا شتَّت سرَّك، وقطعك عن كل قاطع يقطعك عنه، ووصلك إلى كل واصل يوصلك إليه، وجعل غناه في قلبك، وشَغَلَك به عمّن سواه، ورزقك أدبًا يصلح لمجالسته، وأخرج من قلبك ما لا يرضي، وأسكن في قلبك رضاه، ودلّك عليه من أقرب الطرق».

(*) الدعاء السادس مستل من **طبقات الشافعية الكبرى**، ص٢٧٠. كما ورد في **الكواكب الدرية** ص٥٨٣.

الدعاء السابع (*)

كان الجنيد يدعو:

« بموضعك في قلوب العارفين دُلَّني على رضاك ، وأخرج من قلبي ما لاترضاه، وأسكِن في قلبي رضاك» .

نجوى (**)

يقول الجنيد:

«يا ذاكر الذاكرين بما به ذَكَروه، ويا بادئ العارفين بما به عَرَفوه، ويا مُوفِّقَ العابدين[1] لصالح ما عَمِلوه، من ذا الذي يَشْفَع عندك إلا بإذنك؟ ومن ذا الذي يَذْكُرك إلا بفضلك؟» .

(*) الدعاء السابع مستل من **طبقات الشافعية الكبرى**، ص٢٦٩

(**) هذه النجوى مستلة من **طبقات الصوفية**، للسلَمي، ص١٥٧ .

(١)كما وردت في **حلية الأولياء** ج١٠ ص٢٧٩ ورد «وَيا موفق العاملين».



ملحق



كتاب السّر في أنفاس الصوفيّة

من كلام سُلطان الحقيقة ومَلِك الطّريقة أبو القاسم الجنيد نور اللّه ضريحه(*)

□□ صفة الأنفاس

قال أبو القاسم الجنيد بن محمد ـ رحمة اللّه عليه ـ: الحمد للّه الذي بذكره نفتتح الكلام، وبحمده خاتمة التمام، وبتوفيقه السداد، وفي طاعته الرشاد. وصلى اللّه على المختار، وعلى آله الطيبين الأخيار.

إن اللّه خلق القلوب وجعل داخلها سرّه، وخلق الأنفاس وجعل مخرجها من داخل القلب بين سر وقَلب، ووضع معرفَته في القلب، وتوحيدَهُ في السِّر، فما من نَفَس يخرج إلا بإشَارة التوْحيد على دلالة المعرفة في بَساط الاضْطرار إلى الربوبية، وكلٌ نَفَسٍ خلاَف هذا، فهْو ميّت وصاحبه مَسْؤوَل عنه.

وقال: النَّفَسُ ريح اللّه سُلّطَ على نار اللّهِ، التي في داخل القَلْب.

قال: النَّفْسُ هتف النور.

(*) تنسب هذه المخطوطة الكتاب للجنيد البغدادي، وكذا بروكلمان ينسبه للجنيد في لائحة الكتب التي يعددها له، إلا أنه بعد الاطلاع على مضمون هذا المخطوط، تبين لنا أنه عبارة عن أقوال مجموعة لعديد من رجال التصوّف منهم: الشبلي، وذو النون، وأبو يزيد البسطامي، وابن عطاء، والروذباري، والنُّوري، وبعض الصحابة والتابعين. . ولا نعرف لهذا المجموعْ الصوفي مؤلفاً . . وحيث إننا لا نضع هذا الكتاب بين مؤلفات الجنيد ارتأينا أن نثبته في ملحق بكتابنا إتماماً للفائدة، علماً بأننا التزمنا في الملحق بأقوال الجنيد وحده، وأسقطنا أقوال غيره وأشرنا إلى مكانها بالشكل الآتي.[...] أما رقم المخطوط المنسوب للجنيد ومكان وجوده، فهما: القاهرة- دار الكتب للوثائق القومية المصرية- قائمة المخطوطات رقم٣٤٥/ ١ تصوف-٩٢ .

وقـال : أصْلُ النَّفْس من خـمـسَـة : مِن نار، أو من نـور، أو على نور، أو عـلى ظلمة، أو من ظلمةٍ، أو من نار النُّور.

وقـال : مَـا عَبَدَ اللّه أحَدٌ بمثل مَـا عُبِـدَ بالأنفَاسِ، ومَـا عَصَىَ [اللّه أحـد] بمثل ماعُصِيَ بالأنفاس.

[. . .]

قـال الجنيد: النَّفْسُ الرحمَاني ّإذا هَاج منَ السِّرِّ يمُوت القلْب والصَّدْر والنفس، ولا يمُر على شيءٍ إلا احْتَرق ذلِكَ الشيء حتى العَرش.

[. . .]

وقـال الجنيد: ليس شيء أشَدّ على أولياء اللّه من حفظِ الأوقَات عند الأنْفاس.

وقـال الجنيد: إذا عاين القُدْرَة وتَنَفّسَ صَاحبُه يُكره ذلك، وإذا عاين العظمة نُهي عن النَّفْسِ، وإذا عاين الهيْبة فتنفس فقَدْ كفر.

[. . .]

وقـال الجنيد: نَفَسٌ يخرُج بـالاضطرار يخرق الحـجبَ والذنُوبَ التي بين العَبْد وبين ربّه، فإذا نظر صَاحبُهُ بعَيْن القلب إلى ربّه يجدُ رَبَّهُ رؤوفاً رحيماً، فإذا استُحق به فيَـرى اللّه أقـرب، أقـربُ إليـه من حَبْل الوَريد، فـإذا أيقن به فـيَـرى اللّه قـائدَهُ وسَائقَـه، فـإذا نظر هَذا ينقطع إلَيْـه ويتـعلّق به، فـإذا عَـاين هذاَ لَـمْ يثق إلى غَـيْـره ولايَنْسَاه، فإذا وجَد هذا يَعْلم أنه عبْدٌ واللّه رَبٌّ، فإذا علم هَذَا قامَ بشروط الوفاء، فإذا وَفي يُظْهرُ عندَهُ لهُ مقَاماً، فإذا ظهر المقَامُ اعتذَر إلى سيّده فيَعذره وعَرضَ علَيه التَوحيدَ، فإذَا قَبل التوحيدَ يُعْطي له لواء المعرفة، فإذا عرَفْ وصَار موحّداً لا يكون له قرارٌ ولا سكوَنٌ في الدّنيا والآخرة، ثم المزيدَ عند اللّه، قال اللّه تعالى ﴿ **وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾.

[. . .]

وقال الجنيد: صَاحِبُ التعظيم صَاحب الأنفاس، والتنفّس عنده ذَنْبٌ ولا يقدر عن الكفِّ عَنْهُ؛ وصَاحَب الهيْبَة صَاحِبُ حمدٍ، وهذا عندَهُ ذنبٌ، ولا يقدر أن يتنفَّس.

[. . .]

وقال الجنيد: ما أحسن التنفّس بالندامَة، وهوَ أدنى التنفّس، وَهُو أكبر منْ عِبادة الكون.

[. . .]

قال الجنيد: اللحظة كلامُ القلب، والخطرة كلاَمُ السِّر، والإشارة كلام الخفَاء.

وقال أيضاً: أهل القلُوب ابتُلُوا باللحظات، وأهل السِّر ابتُلُوا بالخطرات، وأهل الخفَاء ابتُلُوا بالإشَارات.

وقال: إنّ للّه عباداً يرَوْن ماوراءهم من الأشياء، يَروْن أحوال الدُّنيا بلحظات قلوبهم، وأحوال الآخرة بخطَرات سرِّهم، وأحوال ما عند اللّه بإشارات خفيّهم.

[. . .]

وقال الجنيد: تقصير المحبّين بلحظة تقع في الأوقات، وذلك فَضْل اللّه عليهم ليزيد في خوفهم واضْطرارهم ومقرهم. وتقصير العارفين بخطرات سرّهم، وذلك تنبيه من اللّه لهم لكي لاَ يأمنوا من مكْر اللّه، لأن المكْر يظهر في هذا المَقام. وتقصيرُ الموحِّدين بالإشارات الخفي، وذلك بشَارَةٌ من اللّه لهُم لكي يسكنوا به، لأن ذلكَ مقام النفي، والنفي هلاك البدن، ويزيد بإشارتهم قوّة.

[. . .]

وقال الجنيد: اللحظة كفران، والخَطْرة إيمَان، والإشارة غفران.

[. . .]

□□ المكر

قال الجنيد: في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾، قال: في طريق الله (عز وجل) ألَف قصْر، في كل قصْر ألف قاطع من قطّاع الطّريق سُلِّطوا على المريد السّالك، ومع كل واحد موكّل غَدْرٍ ومكْر خلاف الآخر؛ فإذا جاء السّالك غَدَرَ الموكّل معه بشيء يُعطي بهِ شيئاً، ويمنعه عن الطريق، ويحجبه عن الله.

وقال الجنيد: الرجال خمسةٌ: واحدٌ من الخارج يدخل فيمنعه المانعون، ويغدرُه بشيء ويَرْجع من الباب، إلا أن يكون عَاقلاً يَعْقل ذلك ولا ينظر إليه. ورجلٌ من الداخل يخرج، فيبقَى من الخارج، ولاَ يقدرُ على الرجوع إذا نظر إلى شيء دون الله. والثالث يحيى الملكَ فيه حلةٌ من الخارج، بغير مَنْع مَانع مع المسْتور. والرابع يدخل من طريق أصعب وأهول وأشدّ شأنا، لا يكون فيه المانعُ ولا الغادرُ، بالتشمر والتجلّد على المخاطرة، فبلغ، ويعذر على الباب، فإن أذن له، وإلاّ صَرخَ من محبته، فيَسْمع المَلك أنينه ويُدْخله، فإذا دخَل في الدار، فلا بُد من القبوُل، وهؤلاء أهْل التصوف الذين طريقهُم عَلَى المخاطرَة، فلا يميلُون إلى الخلق ولا إلى الدنيا ولا إلى أنفسهم ولا إلى أهْلهم، وإن نظرُوا أوْ تميلوا مُنعوا وحُجرُوا. والخامسْ من الداخل يظهَر، ومن الداخل يقبل، ومن الداخل يسكن، وهَو نديم المَلكَ، وذاك الحبيب محمد ﷺ؛ وخلافُ ألف مقام، ولكل مقام عذر.

وقال الجنيد: الكرامة بداية حجاب ومكرْ.

وقال: من نظر إلى الكرامة فقَدْ كفَر بصَاحِب الكرامة.

[...]

وقال الجنيد: المكر في الصّلاة أظهرُ من غَيْره.

[...]

وقال الجنيد: المعرفة مكْر اللّه.

وقال: المقامَات كلّها حجاب ومكر: للقُرب مكرٌ، وللبَعيد حجاب.

وقال: اخترنا طريق التصوف، سلامةً من مكْرِ اللَّه.

وقال أيضاً: إن مَذْهَب الصُّوفيَّة لا يخلو من المكْر، وهو فيه أظهَرُ، وَهم يَعْلمون لأنهمُ أكيسَ الناس.

[...]

وقال الجنيد: الخوف من المكر فرط دائم إلى الأبَد، وَما أمن من المكر إلا هالك.

وقال أيضاً: الأمْن من المكر للمُريد من الكباير، والأمن من المكْر للواصِلْ من الكفر.

[...]

وقال الجنيد: المكرُ إن يُضاف إلى شيء وإلى غيره موجُود.

وقال أيضاً: المَكْر طَلَب الشيء والسكون إلى غَيْره.

[...]

□□ المشاهدة

قال الجنيد: المشاهدة ثلاثة: مشاهدة الرّب، ومشاهدة من الرّب، ومشاهدة بالمَوْت.

و قال: المشاهَدةُ مُعَاينة للسِّر مَعَ فِقْدَانك.

وقال: المشاهَدة إقامَةُ العبوُدية بإزاء الربُوبيَّة، مَعَ فقدان ما دُونَه.

[...]

وقال الجنيد: من لم يُعاين صفات اللَّه أجْمَع دقايقه ولطايفهُ، لم يُوحِّد اللّه، ولم يَعْرفه. فالطّريق من داخل المعرفة.

[...]

وقال الجنيد: إنّ للّه تسعة وتسعين اسماً، فمن أقرّ بها فهُو المُسْلم، ومَنْ عرفها فهوَ المؤمن، ومن عامَل اللّه بها فهو العَارف، ومن عامَل بها ولم يسكن إليها وَطلب المسّمى فهو الموحّد، وله المشاهَدَةُ.

[...]

وقال: رأيت الغَدا بعيْن الوجه مَع التحيّر الذي رَأيته اليَوْم بعين السرّ مَع الحَيْرة.

[...]

وقال الجنيد: من كان أبعَدُ فرُؤْيته أخفى، غداً رؤية الوجه، لأنهُ لا حجاب بين العباد وبين السيِّد، واليوم رؤْيَة السرِّ لأن الحجاب قائمٌ، ورأى محمد ﷺ بفؤاده، لأن الحجب كانت هُناك حجابان.

[...]

وسُئل الجنيد: هَل عاينت أو شَاهَدْتَ؟ قال: لَوْ عاينت لتزندَقْت، ولَوْ شَاهَدْتُ لتحيّرت، ولكن حَيرةً في تيهٍ، وتيهٍ في حيرةٍ.

□□ في العلم وما يلزم علمه

قال الجنيد: العلم أن تُدركَ قَدْرك بذاته.

وقال: مَنْ عرف قَدْرَ نفسهِ هَانَتْ عليه العبُوديّة.

[...]

وقال الجنيد: إن اللّه أرادَ من العبَاد علمَين: مَعْرفةُ عِلمِ العبُوديّة، ومَعْرفةُ عِلمِ الرّبوُبيّة، ومَا سِواهُما فهُوَ حظ أنفُسهِمَ.

[...]

قال الجنيد: العِلْم الأكبر عِلْم القيام بالدوام وعلم الحال بغير احتيال.

[...]

وقال الجنيد: العلم شيء بمحيط، والمعرفة شيء بمحيط، فأين الله؟ فأين العبُودية؟

[...]

قال الجنيد: العلْمُ والمعرفةُ لازم على العبْد، وهُما ليْسَ من صفات العبْد، فإذا عَرف وَعَلِم، فانظرَ كيف كان.

وقال أيضاً: أوَّلاً العلمُ، ثم المعرفة، ثم العلم بالمعرفة، ثم المعرفةُ بالعلْم، ثم الجحود بالمعْرفة، ثم الإنكَار بالجحود، ثم الإقرار بالإنْكار، ثم العلم بالإقرَار، ثم المعرفة بالعلم، ثم الإنكار بالمعرفة، ثم الجحود بالإنكار، ثم الأوقاتُ بالإنكار، ثم المعرفة بالإنكار، ثم الجحُود بالإنكار، ثم التُّقى، ثم الغرقُ، ثم الهلاك، فإذا دققت النظر، فكل ذا حجاب.

وقال الجنيد: الإثبات مكرٌ، والعلم بالإثبات مكرٌ، والحركات غدرٌ، والعلِم بالحركاتِ والموجود من دَاخِل المكر غَدَرٌ.

[...]

□□ المحبة

قال الجنيد: محبةُ المحبّة كحُب الحبيبِ.

وقال: المحبَّةُ، نهاية المحبّة عند هيجان الربوبيَّة.

[...]

وقال الجنيد: إن المحبّ إذا ذَكَر حَبيبه، حُرم محبّته.

[...]

قال الجنيد: تحريك المحبّة كلّهُ أمرهُ.

[...]

قال الجنيد: المحبّة أمانةُ اللّه، ولكن المحبّة الدائمة لا الفرعيّة.

[. . .]

□ □ في الغيرة

قال الجنيد: الغيرة لا تجوز إلا في ثلاثة أوقات: عند الذكر والغفلة، وعند المحبة إذا رأى صاحبه مَع علاقة، وعند التعظيم.

[. . .]

□ □ صفة الحقيقة

قال الجنيد: حقيقة العَبْد ترك الاشتغال، والاشتغال بالشُّغل الذي هُو أصْل الفراغة.

[. . .]

قال الجنيد: قولَه (عز وجل) (عباد)حقيقة، وقولُه (عبادي) حقيقة الحقيقة.

[. . .]

□ □ في الهمّة والإرادة

قال الجنيد: الهمةُ إشارةُ اللّه تعالى، والإرادة إشارةَ الملك، والخطرة إشارة المعرفةُ، والنِّيةُ إشارة الشيطان، والشهْوةُ إشارةُ النفس، واللهوُ إشارةُ الكفر.

وقال: مَا عاتبَ اللّهُ صاحب هِمَّةٍ، وإن عصَاهُ.

[. . .]

وقال الجنيد: من لهُ همّة فهوَ في ديوان البَالغين، ومن له إرادة فهو في ديوان المريدين، ومن لهُ منيَّةٌ فهوَ في ديوان العَاصين شَاء أو أبىَ.

[. . .]

وقال الجنيد: الهمة تسري لأوليائه، كما أن الوَحْي يَسْري لأنبيائه.

وقال أيضاً: من لهُ همةٌ فيبْقى، ومن لهُ إرادة فيعمى.

[...]

قال الجنيد: الهمّةُ لسَان السِّرّ، ومن ليس له نُطقُ السِّر، ويعجز عن الظّاهر لأنه كَلامٌ للسِّرِّ مَع الرَّبّ من الربُوبيَّة. فكيف يدخُل فيه التحريك، فيه كفرٌ.

- آخر كتاب السر -

□□□□

المراجع



مصادرنا في جمع النصوص الكاملة للجنيد البغدادي

المخطوطات:

١ - الجامي، عبد الرحمن. **نفحات الانس**. مخطوط المكتبة الوطنية- باريس. R.٣٣٠٤

٢ - الجنيد البغدادي، **داء الأرواح**. [٣ ورقات]. رقم١٥١ تصوف. معهد المخطوطات-القاهرة. وهي صورة للمخطوط شهيد على الموجود في مكتبته. رقم١٧٧٤/ ٤ .

٣- الجنيد البغدادي، **دواء الأرواح**. دار الكتب المصرية. مخطوط رقم٧٥مجاميع.

٤ - الجنيد البغدادي، **دواء التفريط**. برمنغهام:

Mingana, Arabic N.905, Selly Oak library. England.

٥ ـ الجنيد البغدادي، **رسائل في الألوهية**. [١١ورقة]. رقم٢٢٦ تصوف. معهد المخطوطات-القاهرة. مصورة عن مخطوط اسطنبول-السليمانية- شهيد على. رقم١٣٧٤/ ٦ .

٦- الجنيد البغدادي، **رسائل في التوحيد والتصوف**. [١ ـ ٥٧ق]. رقم٢٢٧تصوف. معهد المخطوطات-القاهرة. وهي مصورة عن مخطوط اسطنبول-السليمانية- شهيد على. رقم١٣٧٤ .

الكتب المطبوعة:

١ - ابن الجوزي، أبو الفرج. **صفة الصفوة**. (الجزء٢). تحق: محمود فاخوري و محمد رواس قلعة جي. دار المعرفة. بيروت: لبنان. ط ٣: ١٩٨٥م.

٢- ابن خلكان، أحمد. وفيات **الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. (المجلد١). تحق: إحسان عباس. دار صادر. بيروت: لبنان. ١٩٧٧م.

٣- ابن كثير، أبو الفداء. **البداية والنهاية**. (المجلد١١). مكتبة المعارف. بيروت: لبنان. ط ٢: ١٩٧٧م.

٤- ابن الملقِّن، أبو حفص. **طبقات الأولياء**. تحق: نور الدين شربيه. مكتبة الخانجي. القاهرة: مصر. ط ١: ١٩٧٣م.

٥- الأسنوي، جمال الدين. **طبقات الشافعية**. (الجزء١). دار الكتب العلمية. بيروت: لبنان. (د. ت).

٦- الأصبهاني، أبو نعيم. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**. (الجزء١٠). مطبعة السعادة. مصر. ومكتبة الخانجي. القاهرة: مصر. ١٩٣٨م.

٧- البغدادي، الخطيب. **تاريخ بغداد**. (المجلد٧). دارالكتاب العربي. بيروت: لبنان. (د. ت).

٨- الجنيد، أبو القاسم. نصوص ورسائل. ترجمها إلى الفرنسية: Roger Deladrière في كتابه **Junayd. Enseignement spirituel** (**Collec. Islam**); Sindbad. Paris,1983 :نشر

٩- الحنبلي، ابن العماد. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. (الجزء٢). تحق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة. منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت: لبنان. (د. ت).

١٠- الحنبلي، القاضي بن أبي يعلى. **طبقات الحنابلة**. خرّج أحاديثه وحواشيه: أسامة بن حسن و حازم بهجت. دار الكتب العلمية. بيروت: لبنان. ط ١: ١٩٩٧م.

١١- الذهبي، محمد. **سيَر أعلام النُّبلاء**. (الأجزاء١٠/ ١٢/ ١٣/ ١٤). تحق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة. بيروت: لبنان. ط ١: ١٩٨٢م.

١٢- السبكي، أبو نصر. **طبقات الشافعية الكبرى**. (الجزء٢). تحق: عبد الفتاح الحلو و محمود الطناحي. دار إحياء الكتب العربية. (د.ت).

١٣- السُّلَمِيّ، أبو عبد الرحمن. **طبقات الصوفية**. تحق: نور الدين شريبه. مكتبة الخانجي. القاهرة: مصر. ط ٢: ١٩٦٩م.

١٤- السَّهْرَوَرديّ، أبو حفص. **عوارف المعارف**. ضبطه وصححه: محمد الخالديّ. دار الكتب العلمية. بيروت: لبنان. ط ١: ١٩٩٩م.

١٥- الشعراني، عبد الوهاب. **الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار**. (الجزء١). مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. ط ١: ١٩٥٤م.

١٦- الشيرازي، رُوزْبِهَان البَقْلي. كتاب **مَشْرَب الأرواح**. عني بتصحيحه: نظيف خواجة. مطبعة كلية الآداب. اسطنبولَ. ١٩٧٣م.

١٧- الطوسي، أبو نصر سراج. **اللمع**. تحق: د. عبد الحليم محمود و طه سرُور. دارالكتب الحديثة. مصر. ١٩٦٠م.

١٨- عبد القادر، على حسن. (رسائل الجنيد). منشورة ضمن كتابه.

The life, Personality and Writings of AL-Junayd:

Printed for the Trustees of the "E.J.W. Gibb memorial" and Published by: Luzac and company ltd. London, W.C.I 1962.

١٩- الغزالي، أبو حامد. **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة. بيروت: لبنان. (د.ت).

٢٠- القارئ، أبو محمد. **مصارع العشاق**. (الجزء٢). دار صادر. بيروت: لبنان. (د.ت).

٢١- القشيري، أبو القاسم. **الرسالة القشيرية**. تحق: د. عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف. دار الكتب الحديثة. مصر. ط ١: ١٩٦٦م.

٢٢- الكلاباذي، أبو بكر محمد. **التعرّف لمذهب أهل التصوف** «لولا التعرّف لما عُرف التصوّف». قدمه: محمود النوّاوي. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة: مصر. ط ٢: ١٩٨٠م.

٢٣- المكي، أبو طالب. **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد.** (جزءان). مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. ١٩٦١م.

٢٤- المناوي، محمد. **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**. (الجزء١). تحق: محمد الجادر. دار البشائر. دمشق. دار صادر. بيروت: لبنان. (د. ت).

٢٥- النبهاني، يوسف. **جامع كرامات الأولياء**. (الجزء١). دار صادر. بيروت: لبنان. (د. ت).

٢٦- النووي، محيي الدين. **بستان العارفين**. تحق: محمد الغرفي. إدارة الطباعة المنيرية. مصر ١٣٤٨هـ.

٢٧- الهجويري، أبو الحسن. **كشف المحجوب**. دراسة وترجمة: د. إسعاد قنديل. دار النهضة العربية. بيروت: لبنان. ١٩٨٠م.

٢٨- اليافعي، أبو محمد. **روض الرياحين في حكايات الصالحين**. مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالأزهر الشريف. مصر. ط ١ (د. ت).

٢٩- اليافعي، أبو محمد. **نشر المحاسن الغَالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية** (الملقب كفاية المعتقد ونكاية المنتقد). تحق: إبراهيم عوض. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. ط ١: ١٩٦١م.

٣٠- اليافعي، أبو محمد. **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**. (الجزء٢). مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت: لبنان. ط ٢: ١٩٧٠م.

فهرس الكتاب

I - أقوال الجنيد

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

II - كتب الجنيد

III - رسائل الجنيد

IV - أشعار الجنيد

V - أدعية ونجوى

VI - ملحق

المصادر والفهرس

رقم الإيداع ٢٠٠٣/١٩٢٨٣
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 09 - 1015 - 5

مطابع الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت: ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

تاج العارفين

الجُنَيْدُ البغداديّ

فى أوج عصر النّهضة العربيّة الإسلاميّة ، وفى زمن تكوّن العلوم والمعارف ، عاش الجنيد البغدادى، وساهم فى بناء واحد من أهمّ العلوم الإسلاميّة ، وهو العلم الصوفىّ .. وحتى نتمكّن من تبيان ماهيّة هذا الرّجل ، ومكانته ودوره فى عصره والعصور اللّاحقة ، كان هذا الكتاب .

وعلى الرّغم من المكانة المهمة التى احتلّها الجنيد فى زمنه وفى العصور اللاحقة وصولاً إلى اليوم ، فإن معرفتنا بالشّخص وبأفكاره - لا تزال مبهمة ، ويسودها إرباك ناتج عن تبعثر أعماله وتناثرها فى كتب الطبقات والتراجم .

لذلك ، جهدتُ فى أن أجمع الإرث العلمىّ للجنيد البغدادىّ فى كتاب واحد ، يأخذ مكانه فى مكتبة العلوم الإسلاميّة، ويُساعد القارئ على الإحاطة بملامح الجنيد ، وبتفاصيل تجربته الوجدانيّة .

وقد رجعتُ إلى عشرات من كتب الصوفيّة والتّراجم والتّاريخ، و تتبّعتُ فيها اسم الجنيد ، ونقلتُ جميع ما وقع تحت يدى من أقواله.. سواء منها ما كان نصا يخصّه، أو نصّاً يرويه عن غيره ..

د . سعاد الحكيم



دار الشروق

50.00